

الدكتور أحمد شلبي
أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة

عصر في عربين

٧٣ - ٦٧

دراسة مقارنة



لاستاد

مصرفي حربيين

١٩٦٧ و ١٩٧٣

دراسة مقارنة لبيانه أسباب الهزيمة ودعائهم النصر

الطبعة الثانية مع مزيد من الوثائق والدراسات

وَلِللَّهِ وَالْعَالَمِينَ

لصاحبها، محمد عبد الرزاق
١٩ كنيسة الأمن من ش. الجيش
هاتفون ١٠ ٩٢٤٩٨٠

مَصْرٌ فِي عَرَبَيْنِ

(١٩٦٧ و ١٩٧٣)

دراسة مقارنة لبيان أسباب الهزيمة وعائم النصر

تأليف

الدكتور أحمد شبلي

دكتوراه في الفلسفة من جامعة كمبودج
أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامي والحصار الإسلامية
بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

(الطبعة الثانية مع مزيد من الوثائق والدراسات)

الناشر



مكتبة النشر والكتاب

مكتبة النهضة المصرية
بإشراف د. محمد حسن عبد الوكيل
٩ شارع عبد الله بالأنشاس

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى فبراير سنة ١٩٧٥

الطبعة الثانية يوليو سنة ١٩٧٥

ترقبوا الكتاب التالي

« ثورة ٢٣ يوليو بين عهدين »

دراسة تاريخية موثقة

لحوالي ربع قرن مع الثورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً
إليه يصعد الكلمُ الطيبُ
والعملُ الصالحُ يرفعه
والذين يمسكون السيئات لهم عذابٌ شديد
ومكرٌ أولئك هو يبور

قرآن كريم
(سورة فاطر الآية العاشرة)

أرسلتُ لعبد الناصر خطاباً قلت له فيه « اتق الله » فاعتقلني
ثلاثة أشهر .
(من شهادة كمال الدين حسين بالمحكمة)

وَصَلَ الوُضْعُ بعبد الناصر إلى أكثر مما وصل إليه فرعون في زمانه ،
أو اللورد كرومر في عصره . (من شهادة عبد اللطيف البغدادي بالمحكمة)

اقرأ في هذا الكتاب :

ملحة

- ٢٦ حقيقة الثورات وتأثير ثورة ٢٣ يوليو على المؤرخ المصري .
- ٦٦ ملك التعذيب .
- ٦٩ نصيب المفكرين والكتاب من الظلم .
- ٧١ محكمة الدجوى وكيف سُكّلت بقرار مزيف .
- ٧٩ الأبرياء فى مستشفى الأمراض العقلية .
- ٩٦ الثقة أهم من الكفاءة .
- ١٠٠ المشير عامر والذهب .
- ١٠٦ الحراسة وسيلة للتعذيب والمكسب الحرام .
- ١١٨ الإنسان بضاعة فى طرد .
- ١٢٠ كيف كانت العلاقة بين عبد الناصر ومشيريه من أسباب الهزيمة .
- ١٢٢ مواهب المشير عامر كما يراها هيكمل طاهى للسياسة .
- ١٢٤ إبعاد الضباط الأكفء عن الجيش .
- ١٢٥ الاستيلاء على أكياس الذهب بالبن وجواهر القصور بمصر .
- ١٢٨ قادة النصر محمد دون المشلول عن هزيمة ١٩٦٧ .

صفحة
١٣٢ هزيمة ١٩٦٧ لم تسكن مصادفة ، فن المسئول عن أرواح الشهداء

وضياع الأرض والاضطراب الاقتصادي ؟

١٣٥ ماذا قال عبد الناصر عن ملوك العرب ورؤسائهم .

١٣٩ حرب اليمن ونتائجها السياسية والاقتصادية .

١٤٩ جبل مضلل بمصر ... لماذا ؟

١٦٦ سياسة عبد الناصر وهل جلبت الجلاء أو الاحتلال ؟

١٨٦ عهد في الميزان أو حصيلة عشرين عاما .

١٨٩ صور سرثية من عهد عبد الناصر .

١٩٨ صور صوتية عن حكم مصر من فاروق إلى السادات .

٢٠٣ الفاروق التي ضللت بعض الأنفوة العرب .

٢٩٢ « مراكن القوى » تعبیر يرفضه التفكير الإسلامي ؟

٢٦٥ ماذا قال هيكل وخالد عبد الناصر عن أسباب انتصارات ١٩٧٣

٢٨٣ مرتبات ومخصصات ومال لمن لا يستحقه .

(الفهرس الكامل في آخر الكتاب)

كتب للمؤلف

أولاً - موسوعة التاريخ الإسلامى

دراسة تحليلية شاملة فى ثمانية أجزاء لتاريخ العالم الإسلامى كله من مطلع الإسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى أسهم بها المسلمون فى ترقية العمران ، وتطوير الفكر البشرى ، ومحتويات الأجزاء هى :

١ - الجزء الأول : (الطبعة السابعة)

— مقدمة الموسوعة : نطاق التاريخ الإسلامى - تفسير التاريخ - هل التاريخ علم ؟ . فلسفة التاريخ - فائدة التاريخ - صراحل تدوين التاريخ - قضية الالتزام فى كتابة التاريخ الإسلامى - علم التاريخ بين المسيحية والإسلام ...
— تاريخ العرب قبل الإسلام : البدو والحضر - حياة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

— السيرة النبوية المطهرة . — الدعوة الإسلامية وفلسفتها .

— عصر الخلفاء الراشدين .

٢ - الجزء الثانى : (الطبعة الرابعة)

الدولة الأموية والحركات العسكرية والثورية فى عهدها .

٣ - الجزء الثالث : (الطبعة الخامسة)

الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الأول ، وبدور المسلمين فى خدمة الدراسات الإسلامية والحضارة العالمية .

٤ - الجزء الرابع : (للطبعة الرابعة)

— الأندلس الإسلامية ، وانتقال الحضارة الإسلامية لى أوروبا عن طريقها .
— المغرب - الجزائر - تونس - ليبيا (من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر) .
— السنوسية : مبادئها وتاريخها .

٥ - الجزء الخامس : (الطبعة الثالثة)

— مصر وسوريا من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر .
— الحروب الصليبية : دوافعها - أدوارها - نتائجها .
— الإمبراطورية العثمانية (تركيا) منذ نشأتها حتى الآن .

٦ — الجزء السادس : (الطبعة الثانية)

- الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن
- دراسة عن وسائل انتشار الإسلام :
- مراكز العمال — هجرات عربية — هجرات غير عربية — التجار — الطرق الصوفية — مراكز داخلية .
- الدول الإسلامية قبل الاستعمار الأوربي :
- فان — مالي — سنغلي — دول الهوسا — برنو — باجريمي — واهلي — الفونج — مقدشو — مملكة الزنج .
- الدول الإسلامية الحالية :
- موريتانيا — السنغال — جامبيا — غينيا — مالي — النيجر — نيجيريا — تشاد — السودان — الصومال .

٧ — الجزء السابع :

- الإسلام والدول الإسلامية بالجزيرة العربية والعراق
- دول الجزيرة العربية من مطلع الإسلام حتى الآن :
- المملكة العربية السعودية — اليمن — جمهورية اليمن الجنوبية — عمان — دولة الإمارات العربية — قطر — البحرين — الكويت —
- العراق من مطلع الإسلام حتى الآن .

٨ — الجزء الثامن :

- الدول الإسلامية غير العربية آسيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن :
- إيران — أفغانستان — الباكستان — بنجالاديش — ماليزيا — اندونيسيا .
- (ترجعت أكثر أجزاء هذه الموسوعة لعدة لغات) .

دراسات تفصيلية في تاريخ مصر المعاصر

٩ — ثورة ٢٣ يوليو بين همدين :

دراسة تحليلية موثقة عن حوالى ربع قرن مع الثورة .

١٠ — مصر في حربين (١٩٦٧ - ١٩٧٣) :

دراسة مقارنة لبيان أسباب الهزيمة ودعائم النصر .

كتب للزوارف

ثانياً - موسوعة النظم والحضارة الإسلامية

دراسة تحليلية شاملة في ستة أجزاء ، تبرز الاتجاهات الحضارية التي جاء بها الإسلام لهداية البشرية ، في شئون الفكر ، والسياسة والاقتصاد ، وفي مجال الحياة الاجتماعية والتربوية والعسكرية ، وتشمل :

١١ - الفكر الإسلامى : منابعه وآثاره : (الطبعة الخامسة)

(مترجم عن الإنجليزية مع مقدمة ضافيه المترجم) .

١٢ - المجتمع الإسلامى : (الطبعة الرابعة)

أسس تكوينه - أسباب ضعفه - وسائل نهضته .

١٣ - تاريخ التربية الإسلامية : (الطبعة الرابعة)

دراسة عميقة وشاملة لفلسفة التربية عند المسلمين ، ولما بهج التعليم وأمكانته ، وحالة المدرسين المالية والاجتماعية ، والإجازات العلمية ، والعقوبات ، والجوائز والمكافآت ، وملابس المدرسين ، ونقابة المعلمين
وتكافؤ القرس بين التلاميذ ، وتوجيههم حسب مواهبهم
وغير ذلك من الدراسات التربوية الرائعة .

١٤ - السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامى : (الطبعة الرابعة)

دراسة شاملة لسياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامى مع المقارنة بالاتجاهات السياسية والاقتصادية الحديثة .

١٥ - الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامى : (الطبعة الثالثة)

- في نطاق الأسرة : كالتناتن وتحديد النسب وعمل المرأة

- وفي نطاق المجتمع : كالأفراح والمآتم والموسيقى والغناء

- وفي نطاق المال : كهندائق التوفير والبنك الإسلامى والربا

١٦ - الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامى : (الطبعة الثانية)

بحث على يبرز اتجاهات الإسلام في مشكلات الحرب ، كالاستعداد للجهاد

ووسائله ، وأخلاق الجهاد ، والخدمة في الحروب ، والشبات والفرار ،

والتجسس والخيانة ، والرباط ، والهدنة والأسرى

(ترجمت أكثر أجزاء هذه الموسوعة لعدة لغات)

كتب للمؤلف

ثالثاً - مقارنة الأديان

سلسلة من الكتب في مقارنة الأديان ، تعتمد على أدق المراجع
بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق وتشمل :

١٧ - اليهودية : (الطبعة الرابعة)

- دراسة لشي المسائل اليهودية في التاريخ من عهد إبراهيم حتى الآن :
- السيونية ، أنبياء بني إسرائيل ، عقيدة بني إسرائيل ، يهودا ، بني إسرائيل ، التعدد والتوحيد في الفكر اليهودي ، التابوت والهيكل ، المكنة والقرايين .
- مصادر الفكر اليهودي : العهد القديم ، التلمود ، يروتوكولات حكماء صهيون
- اليهود في الظلام : الماسونية ، الروتاري ، الاغتيال ، التجسس ، البالية والبهاية
- من صور التعريب في اليهودية .

١٨ - المسيحية : (الطبعة الرابعة)

- المسيح والمسيحية في نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة
- بواس واضح المسيحية الحالية : الثلاث ، صلب المسيح ، التكفير عن خطيئة البهر
- شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية ، المعامع ، طبيعة
- المسيح والآراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهينة والأديرة ، حركة
- الاصلاح الديني ونتائجها ونقدتها .

١٩ - الإسلام : (الطبعة الرابعة)

- أمة في التفكير الإسلامي ، النبوة في التفكير الإسلامي ، الروح والمادة
- في التفكير الإسلامي ، فلسفة العبادات في الإسلام ، غير المسلمين في المجتمع
- الإسلامي ، الدين المعاملة ، المرأة في الإسلام ، الرق وموقف الاسلام
- منه ، السياسة والاقتصاد في الاسلام .

٢٠ - أدبان الهند الكبرى والهندوسية - الجينية - البوذية : (الطبعة الرابعة)

- تقديم عن : جغرافية الهند ، سكان الهند ، اللغات في الهند ، الأديان في الهند
- دراسة الكتب المقدسة الهندية : الوبدا ، مهابهارتا ، يوجا واستها ، كيتا
- أهم العقائد الهندية : السكارما والتناسخ ، الانطلاق والرفانا ، وحدة
- الوجود . تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعها ...
- ترجمت هذه السلسلة الآوردية والإنجليزية والفرنسية والإندونيسية

كتب للمؤلف

رابعاً — كتب في الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

٢١ — كيف تكتب بحثاً أو رسالة : (الطبعة التاسعة)

دراسة منهجية لكتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه .

٢٢ — رحلة حياة : مشاهد وتجارب مثيرة وهادفة ، تعرض أهم قضايا العصر :
مصرية وعربية وإسلامية .

٢٣ — تطور النظم الاقتصادية في العالم عبر العصور

باللغة الإنجليزية :

٢٤ — ISLAM : Belief - Legeslation - Morals . (مكتبة النهضة المصرية)

٢٥ — History of Muslim Education (دار الكشف بيروت والقاهرة)

باللغة الاندونيسية والماليزية :

٢٦ — Negara dan Pemerintahan dalam Islam

٢٧ — Masjarakat Islam

٢٨ — Hukum Islam

٢٩ — Sedjarah dan Kebudajaan Islam . I -

" " " " II - ٣٠

" " " " III - ٣١

٣٢ — Perbandingan Agama (Jahudi) -

" " (Masjhi) - ٣٣

" " (Islam) - ٣٤

" " (Agama2 yang - ٣٥

٣٦ — Terbeser di India: Hindu - Jaina - Buddha)

٣٧ — Sedjarah Pendidikan Islam -

٣٨ — Politik dan Ekonomi Dalam Islam -

٣٩ — Social dalam Islam -

٤٠ — Perkembangan Keagamaan dalam Islam dan Masehi)

Perang Salib

- ٤٠

Nabhan
(Surabaja)
Dan Pustaka
National
(Singapore)

Sjamsijah
(solo)

كتب للمؤلف

خامساً — تعليم اللغة العربية لغير العرب

وقواعد اللغة العربية

- برنامج شامل ميسر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب .
- أول سلسلة من نوعها في المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ .
- دراسات شاملة سهلة لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
- تضم هذه السلسلة الكتابين التاليين :

١ ٤ — تعليم اللغة العربية لغير العرب : (الطبعة الثانية) .

يبدأ هذا الكتاب من المرحلة الأولى : مرحلة الهجاء ، ويتطور للقراءة — فالتعبير — فالإملاء — فالخط والمحفوظات ، ثم يقفز بالطلاب إلى مرحلة متقدمة في القراءة والمحادثة والكتابة ، مستعملاً موضوعات جادة من الفكر الإسلامي والعربي اختيرت من أمهات الكتب العربية ثم صيغت في أسلوب مناسب مع أسئلة وتمارين مفيدة .

٢ ٤ — قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها : (الطبعة الثانية)

- عرض لجميع أبواب النحو العربي بطريقة تربوية سهلة .
- ودراسة واضحة لأهم أبواب الصرف .

هذا الكتاب ضروري للثقف العربي وغير العربي

كتب نفدت ولم يعد طبعها :

٣ ٤ — في قصور الخلفاء العباسيين :

أكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٣ من هذه القائمة .

٤ ٤ — الحكومة والدولة في الإسلام :

وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٤ من هذه القائمة .

مقدمة الطبعة الأولى

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَا بِلَادِي ؛

انقد عانيت فترة كالحة مريرة ، نتعرض لها اليوم بالبحث والدراسة :

فترة هزائم متصلة : ١٩٥٦ - حرب اليمن - ١٩٦٧

فترة قطعية من أكثر الدول العربية والإسلامية .

فترة ذعر وخوف من المبعوض والمعتقلات والتعذيب .

فترة اضطراب اقتصادي وصل أحياناً إلى الجوع والحرمان .

واحتمل الشعب كل هذه الآلام حتى جاء عهد النور والأمل .

فلتقف وقفة ندوّن فيها تاريخ الماضي ونتمياً للمستقبل ، داهين الله

ألا يجعل في بلادنا سلطاناً لمن يرتدون أمام العدو ويستأسدون

أمام الشعب الأهل .

وداعين الله أن يكمل لنا مسيرة النصر التي نخطونها فيها خطوة

حالية مباركة . إنه سميع الدعاء

وننتهي في هذه المقدمة لنحجب عن سؤالين مهمين هما :

١ - لماذا نكتب عن الماضي ونثير الغبار ؟

٢ - وإذا كان الماضي سيمسُّ تاريخ جمال عبد الناصر

فلماذا لم نكتبه في حياته ؟

والسؤالان يترددان أو قد يترددان ، ولذلك نجيب عنهما بدقة
ووضوح مع الإيجاز :

فمن السؤال الأول نقرر أن هذا هو ضرورة التاريخ ، وليس
هناك عاقل يريد أن يهدر التاريخ ويسدل عليه ستاراً من السكتان ،
وإذا كنا ندرس تاريخ الفراعنة ، أو العهد القبطى بمصر ، أو العهد
الإسلامى ، وندرس تاريخ أوروبا والعالم كله ، فكيف لا نكتب
تاريخ فترة عشناها ورأينا فيها الأحداث ؟ . إن التاريخ أمانة أودعها
الزمن فى يد المؤرخ ، والذي يكتم أمانة التاريخ أو يخونها لا يقل ذنبه
عن يخون أمانة المال .

ونكتب كذلك تاريخ الماضى لحماية الحاضر والمستقبل ، فإذا
أدرك أى رئيس أن أعماله سيثبتها التاريخ وتناقلمها الأجيال ، وأن
الزيف لن يقوى أمام الحياة والنقد ، إذا أدرك ذلك فإنه يُحسن
عمله ، فنستخدم بدراسة الماضى إنسان الحاضر والمستقبل ، ويقول
Hearnshaw ^(١) فى ذلك : إن دراسة التاريخ كانت على مر
الأجيال من أجل خدمة الحاضر ، وإلهامه سبيل الرشاد .

(١) علم التاريخ : الترجمة العربية الأستاذ عبد الحميد المبادئ ص ٢٤ .

ويقول Joseph Horse^(١) : إن الحياة تعلم العيش ، وإن ملاحظة أعمال الناس في الماضي ونفائجها تضيف خبرة إلى خبرتنا ، وتلدننا إلى تصرف أحسن .

أما الإجابة عن السؤال الثاني فنستطيع أن نبدأها بسؤال هو : من قال إننا لم نكتب هذا التاريخ في حياة عبد الناصر ؟ لقد كتبناه في حياته يوما بعد يوم ، ولكننا لم نستطع نشره ، فقد كان جمال عبد الناصر لا يحب النقد ، وكان قاسيا مع من خالفوه في الرأي ، فكم بذلك الأفواه المصرية ، وأخلق صحيفة من كبريات الصحف العربية وهي صحيفة « المصري » ولو حاول إنسان أن ينشر في عهده شيئا من هذا النوع ماوصلت سطورره إلى الناس ، لأن الرقابة كانت شديدة العنف ، تمنع كل كلمة غير مرغوب فيها من الظهور ، وسنرى نماذج من ذلك في دراستنا بهذا الكتاب .

وبعد ، هذه دراسة علمية تاريخية قصدت بها خدمة بلادى ، وأشهد الله أن الإنصاف كان رائدى فى كل كلمة كتبتها ، وهى أمانة المؤرخ ، يؤدبها لهذا الجيل والأجيال التالية . وبالله التوفيق للمعادى فى الرابع من ديسمبر سنة ١٩٧٤
دكتور أحمد سليمى

مقدمة الطبعة الثانية

باسم الله العلي العظيم أقدم الطبعة الثانية لكتايبى « حرب ٦٧ - ٧٣ دراسة مقارنة » بعد تحوير قليل فى عنوانه ليصبح :

مهصر فى حربين : دراسة مقارنة

وقد سعدت بهذا الكتاب سعادة هائلة لأنه قام بدور كبير فى تصحيح أفكار الجماهير حول فترة من أهم فترات جيلنا ، وكان البعض يرى أن هذا الكتاب بجراسته صدر قبل أوانه ، ولكن الحس التاريخى هو الذى أكد لى أن أى تأخير فى نشر تلك المعلومات كان سيؤدى تخلفاً عن المسيرة العلمية ، وتقصيراً فى أداء الواجب ، وكانت الطمأنينة تملأ نفسى بأن العصر الجديد مهصر يحترم حقاً حرية الكلمة وحرية الرأى ، وأن الشعب الذى نعيش له والذى كان يعيش فى الظلام يتطاع إلى أشعة من الضوء لتبوير له تاريخه وحياته ، وهكذا أقبلت على إصداره دون تردد ، وصدقَ حدسى فى الجانبين ، فإن أحداً ممن يهدم السلطة لم يعترض على عملى ، وأقبلت الجماهير عليه إقبالا فاق كل تصوورى ، حتى لقد أصبح حديث الناس فى كل منزل ومندقى ، واسمته (٢)

الصحافة المصرية والعربية أروع استقبال، وتلقيت عنه الأسئلة والخطابات، كما قرأت صوراً من النقد وصوراً من التأييد.

واتضح لى أن هذا الكتاب ليس ككتبي السابقة أستريح عقب نشره ، وإنما هو كتاب يحتاج بعد نشره لمتابعة ومدارسة ، فأخذت أجيب عن الأسئلة التى انصلت به ، وأشكر أصحاب الخطابات التى تؤيد ، وأرد على النقد الذى نشر ، وكانت هذه الحركة إثراء لفكرة ، ودعماً لها ، مما جعل الطبعة الثانية منه أكثر وضوحاً وأشد عمقاً .

ويجدر بى أن أورد هنا دراسات موجزة عن بعض الملاحظات المهمة التى كانت مثار تساؤل ، والتى ربما لاتزال مثار تساؤل :

عنوان الكتاب :

لم يكن عنوان هذا الكتاب سائناً عند عدد من القراء ، وكانت حجتهم فى ذلك أن العنوان طويل ، وأن به أرقاماً ، وأن من يقرأ العنوان يحس لأول وهلة أن الكتاب حديث عن الحرب ، وقد كتَبَ الكثير عن الحروب وبخاصة بواسطة العسكريين .

وربما كانت هذه الاعتراضات سليمة عند النظرة السريعة ، ولكن وجهة نظرى التى أحرص عليها هى أن هذا العنوان واضح الدلالة لما

أردت أن أكتبه ، والمطابقة بين العنوان ومادة الكتاب شيء مهم جداً لدى الباحثين ، فالقاعدة أن من يطلع على العنوان يدرك إجمالاً محتويات الكتاب ، لأن العنوان عبارة عن مؤشر يتحتم أن يكون واضحاً ، فهو كاللغة شارع أولافنة على مدخل وزارة أو كلمة تخبرهما بالداخل^(١) وعنوان هذا الكتاب كان من هذا النوع ، إنه :

حرب ٦٧ - ٧٣

دراسة مقارنة لبيان أسباب الهزيمة ودعائم النصر

وذلك هو كل ما أردت وما دونت في الطبعة الأولى ، ومع هذا فإني أجريت في العنوان تحويراً قليلاً في الطبعة الثانية ، أرجو أن يجعله أكثر يسراً وقبولاً ، وبما ساعدني على هذا التعديل ، ما لاحظته ولاحظه معي كثيرون من أن دراسة حرب ٦٧ و ٧٣ هي في الحقي دراسة لتاريخ مصر كله كما سنرى بعد قليل ، وليست الدراسة مقصورة على المعارك الحربية .

دراسة الحروب :

من الأسئلة التي اتصلت بهذه الكتاب السؤال التالي :

لماذا اهتمت كل هذا الاهتمام بدراسة الحروب ؟

(١) اقرأ ما كتبه عن ذلك في كتابي « كيف تكتب بحثاً أو رسالة » .

والإجابة تتمثل في عدة نقاط :

أولاً - دراسة الحروب بوجه عام وحربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ بوجه خاص ترتبط ارتباطاً وثيقاً بدراسة الأمة كلها وأحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وسنرى كل ذلك واضحاً فيما سنعرضه من دراسات .

ثانياً - تعتبر الحروب في التاريخ كبيرة الأهمية، لامن أجل دوراتها وأحداثها الخسب ، بل لأنها تسبقها انفعالات صارخة وتعتبر الحروب قمة الانفعالات ، وتتبعها تحولات كبيرة فهمى - بنتائجها - قذ التحولات ، وإيضاحاً لذلك أقرر أن أنور السادات بكفاءته ومواهبه تولى رئاسة الجمهورية من سنة ١٩٧٠ ولكن التحولات الضخمة لم تبدأ إلا بعد انتصارات أكتوبر ، فالتحولات بدأت مع الانتصار ، كما ارتبط الانكشاف فيما قبل بالهزائم .

ثالثاً - كانت الحروب موضع دراسات طويلة على مر التاريخ ، والفى يدرس سيرة سيدنا رسول الله بعد الهجرة يدرك أن دراسة الغزوات تستوعب كثيراً من الجهد وتغضى مساحة كبيرة من نشاط هذه الفترة ، ومثل هذا يقال عن معركة صفين التى وضع نصر بن مزاحم

كتاباً عنها به حوالى ألف صفحة، ومثلها. كذلك موقعة اليرموك والزلاقة والحروب الصليبية .

١٠ أسباب الحقيقة لا نؤمنها الوقتها :

يرى البعض أن ما نعانى من أزمات اقتصادية سببه زيادة السكان . وأنا أعجب لهذا الاتجاه وبخاصة إذا صدر من مصرى ، فنحن فى مصر نوشك أن نعانى من نقص فى الأيدى العاملة ، فعال البناء ، وعمال ميكانيكا السيارات، وعمال الكهرباء ، والنجارون، أصبحوا من الندرة لدرجة تهدد أصحاب الأعمال . فأتى زيادة السكان ؟

إذا قيل إن الزيادة فى الجامعات أو فى المسكن . قلنا إن ذلك سوء تخطيط تسأل عنه الحكومة .

وقد اندفع السكان من كل المهن للخارج يعملون ويكدحون ويكسبون العملة الصعبة ، وما علينا إلا أن ننظم عملهم ، وألا ندع أحداً يستغلهم ، وحينئذ يصبح السكان خيراً وفيراً لاعتبارنا قتيلاً .

ثم إننا نذكر القديين يقولون هذا بأن الأزمات الاقتصادية سببها آلاف الملايين من الجنميات التى أنفقت على الحروب الخاسرة ، وعلى تثبيت عروش متهاوية ، أو محاربة نظم خارجية ، أو السرقات والتهرب ، ويوم تعرف هذه الأرقام ستثير الدهول والاشمئزاز .

مصادر هذا الكتاب :

مصادر هذا الكتاب مصادر أصيلة مباشرة أو كما يقول الغربيون (First hand information) فهي عبارة عن رؤيته كشاهد عيان ، أو عن سماعى سمعاً متواتراً من الثقات . ومن يعيد تقليب صفحات هذا الكتاب يتضح له ذلك تماماً :

- خطوط حرب يونيو وشهدتها يوماً بيوم وشاهدها معى الملايين .
- المؤتمر الذى عقده جمال عبد الناصر فى ٢٨ مايو شاهدهه على الشاشة الصغيرة وشاهده معى ملايين الناس .

- الخماس الحزين عاصرته وعاصرت أحداثه وما به من آلام وضجاع ، كما رأيت ورأى الناس معى كيف حوله أنور السادات إلى يوم بهيج حين حذده لإحادة فتوح القناة سنة ١٩٧٥ .

- طائرات العدو التى ضربت فى عمق البلاد ضربت المعادى وحول المعادى حيث أعيش وضربت « أبو زعبل » فى طريقى إلى قريب

- بُصِلت من الجامعة مع من فصلوا من الأساتذة وحكم علينا بالبطالة والجوع ردحاً من الزمن ، وهنا أرد على شبهة قديميها البعض ، فأقرر :
أولاً - أن فصلى من الجامعة كان مطالع ما حصلت عليه من نجاح مady وأدبى .

وثانياً — أن هذه الدراسة موضوعية موثقة لا دخل للعواطف فيها .

— سمعت جمال عبد الناصر وهو يفخر بأنه قبض على ثلاثين ألفاً في نصف ساعة ، وسمعت بهاريق متواتر ما نزل بهؤلاء من ضرر .
— اليمين ، وعلاقتنا بالدول العربية ، وادعاء الاشتراكية . . .
واستغلال بيروت لسياسة عبد القاصر ، كلها حقائق ثابتة ، ذكرنا منها القليل ولا يزال هناك للكثير والكثير .

— إجراءات عملية ١٩٦٧ بكل جوانبها؛ من عدم الاستعداد الحقيقي للمعركة، ومن هزيمة جيشنا بدون معركة، ومن قرار الانسحاب المشؤم، ومن ضحاياها في الرجال والعتاد . . . كل ذلك أعلنه جمال عبد الناصر بنفسه وسمعته منه .

وإذا كان جيانا قد عايش هذه الأحداث أو قرأ عنها في الصحف فإن الأجيال القادمة لن تجد هذه الصحف ، ثم إن هناك فرقاً كبيراً بين الكتابة الصحفية التي قد تنبض بكتابة أخرى ، وبين الكتابة العلمية التي تخضع لقوانين محددة ، وهذه الكتابة العلمية قد تمتد بس من الصحف ولكن بعد حماية اختبار دقيقة ، كما أنها تلاحظ الفرق بين الآراء الشخصية الصحفية من جانب وبين البحوث والأخبار المنشورة بالصحف

من جانب آخر ، ثم إن الوثائق والبحوث العلمية لا تفقد قيمتها إذا نشرت في الصحف ، فمثلاً إذا نشرت الصحف أسباب الحكم في قضية كشيخ ، فإن ذلك لا يقلل من قيمة هذه الوثيقة الخطيرة ، وإذا نشر الأستاذ إبراهيم بغدادى وثيقة عما رآه وهو محافظ المنوفية عن أحداث هذه المحافظة فإن هذه الوثيقة لا تفقد قيمتها لأنها نشرت في الصحف ، وإذا نقل الأستاذ موسى صبرى إلى الصحافة ما داربقة المحكمة عن عبد الحكيم عاسر وأنباء الذين كانوا يحفرون أرض الحقائق لإخفاء الذهب وأوراق النقد الأجنبي يوم ٧ يونيو سنة ١٩٦٧ فإن نشر ذلك في الصحف لا يقلل من قيمة هذه الحادثة الشنيعة .

ومثل هذا يقلل عن موظفى وزارة الخارجية الذين تاجروا فى العملة المصرية عقب إلغاء الورقة ذات الخمسين جنيها والورقة ذات المائة جنيها ، ويقال كذلك عن الأقوال التى أدلى بها المرحوم المشير أحمد اسماعيل عن أن الدفاع عن سيناء قبل معارك ١٩٦٧ كان قد ضعف بسبب سحب بعض قواتها المدربة تدريجاً عالياً إلى اليمن ، وأن التعاون بين سوريا ومصر لم يكن حقيقة ، وأن قرار الانسحاب كان مخاطرة ومجازفة غير محسوبة النتائج ضاعت من حجم الخسائر

وأطمئن القارئ من ناحية أخرى أنني اطلعت مباشرة على أكثر الوثائق التي ذكرتها .

وحول هذا الكتاب هناك أسئلة أرسلت لي في رسائل خاصة وأجبت عنها برسائل خاصة كذلك ، وأسئلة نشرت في بعض الصحف وأجبت عنها في مقالات بنفس الصحف ، وربما خطر ببالي أن أخيف هذه المقالات لهذه الطبعة ، واسكن آثرت - بعد تفكير - أن اقتبس من هذه الردود كل جديد فيها لأضعه في مكانه من الكتاب ، وعلى هذا فالقارئ سيجد مزيدا من الدراسات من حين لآخر لتصبح نقاط البحث أكثر وضوحا وعمقا .

ولعل بذلك أكون قد قاربت الهدف الذي سعيت إليه ، وهو خدمة بلادي الحبيبة بكل الود وكل التفاني .
وعلى الله قصد السبيل .

دكتور أحمد سليمي

المعادي في الثالث من يوليو سنة ١٩٧٥

حقيقة الثورات

وتأثير ثورة ٢٣ يوليو على المؤرخ المصرى

ينحرف الحكم أحياناً فى أى بلد من البلاد ، ويشهد ضغط الحاكم على المحكوم ، قهراً ثورة تزيل الحاكم الظالم وتأخذ السلطان من يده ، وعلى الثورة أن تسرع عقب ذلك فتعيد الحق إلى نصابه ؛ فإذا كان الحاكم الظالم ديكتاتوراً كان على الثورة أن تعيد للشعب ، وإذا كان إقطاعياً استبد بالثراء كان على الثورة أن تعيد الأموال لأصحابها ، وتستقر الأمور عقب ذلك التصحيح لتسير الحياة فى مسارها الطبيعى وتنتهى مهمة الثورة .

أما إذا بقيت الثورة وفرضت نفسها على الجماهير فإنها حينئذ تسلب سلطان الشعب وتستبد بالأمر دون تفويض من الناس ، وكأنا بذلك تدعو لقيام ثورات ضدها ، كما قامت هى ضد المنحرفين السابقين .

وثورة ٢٣ يوليو كانت ضرورية فى وقتها ؛ عملت لتخلص مصر من ملكٍ انحرف وحاشية ضلّت ، وكان لها برنامج طموح صوّق له الشعب ، وكان من الطبيعى أن تزيل كل العقبات التى تقف دون تحقيق هذا البرنامج كالاستعمار والملكية والإقطاع ، ثم أن تترك

ذلك هو الوضع الطبيعي لثورات من الناحية العلمية ، ولم يكن هذا الوضع بعيداً عن فكر قادة الثورة ، يؤكد ذلك ما قاله محمد حسنين هيكل الذى يسميه فؤاد مطر « كبير الطهارة فى مطبخ السياسة المصرية فى عصر عبد الناصر »^(١) فإنه يروى أن بعض القانونيين افتوا بأن الثورة انتهت يوم ٢٣ يوليو، وأن دورها انتهى بالتخريف الذى أحدثته، وأن محمد نجيب بناء على ذلك أخذ يستبعد فكرة ثورة ، وأصدر تعليمات إلى

(١) صحيف القاهرة في ١ / ٦ / ١٩٧٥.

المصحف باستعمال كلمة «نهضة»^(١) ويقرر هيكل كذلك أن رجال الثورة استندوا ومصطفى النحاس من أوروبا بصفته زعيم الأغلبية ، وأن مقابلات تمت بين عبد الناصر وبينه ، وبين عبد الناصر وفؤاد سراج الدين وكتبت هيكل هي د وحاول عبد الناصر إقناع فؤاد سراج الدين بأنه مستعد لإعطائهم الحكم على شرط أن يوافقوا على تطبيق الإصلاح الزراعي^(٢) ، . وهذا يوضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك طبيعة الثورات ، وأنها تنتهى عقب تحقيق أهدافها الكبرى ، ولكن جمال عبد الناصر رأى أن يبقى فى الحكم ليحقق برنامجاً كله ، وقد كان معارضه على مصطفى النحاس وعلى فؤاد سراج الدين بدافع الوضع الصحيح للثورات ، ولكنه كان عرضاً مشروطاً بقبول كان يعرف سابقاً أن زعيم الأغلبية لا يمكن أن يقبلها ، فقبوله لها خضوع لسلطة غير سلطة الشعب وذلك مالا يرتضيه زعيم الشعب ، وبناء على ذلك بقى جمال عبد الناصر فى الحكم فترة طويلة حتى يقيم جيشاً قوياً ويحقق العدالة الاجتماعية . . .

وتنفيذاً لهذا الوضع أصبح قائد الثورة رئيساً للدولة ، وتكوّنت له بطبيعة الحال حاشية وأعوان ، لهم نفوذ وساطان ، وظل اسم الثورة قائماً فترة طويلة كان تأثيرها شديداً الواقع على الناس بوجه عام ، وعلى المشتغلين بتدوين التاريخ بوجه خاص .

(١) ص ٤٣ . (٢) ص ٤٦ و ٥٠ .

وكدت - كؤرخ - أعانى هذا الإحساس عندما وصلت فى كتابة تاريخ مصر إلى الفترة التى أعاصرها ، إذ كانت الثورة تمدُّ أطناها حولى ، ومن أجل ذلك لم أستطع كتابة تاريخ هذه الفترة ، واكتفيت بأن قلتُ عن تاريخ مصر من مطلع الثورة حتى سنة ١٩٧١ ما يلى (١) :

« المؤرخ المعاصر إذا كان مخلصاً دقيقاً من جانب ، وكامل الحرية من جانب آخر ، يُعتبر أهم مصدر لتاريخ أحداث عصره ، وهناك تاريخ يدوِّنه المؤرخ من الرواية أو من المراجع ، ولكنه إذا دوّن من الرؤية والمشاهدة كان كلامه أدق وأشمل ، وأذكر أننى كنت أقتبس من كتاب العبر لابن خلدون عن تاريخ « مالى » وسرت مع هذا المؤلف حتى تاريخ عصره ، وحينئذ كنت شديد الغبطة ، وأنا أنقل عن المؤرخ المعاصر ، وأحسست كأنى أرى الأحداث بنفسى .

« ومع هذا فإنى كؤرخ معاصر لا أستطيع أن أقوم بدورى فى كتابة تاريخ بلادى ، لأن أمامى عقبتين لا أستطيع تخطيها :

العقبة الأولى - قلة الوثائق التى تنير لى السبيل ، فهناك أحداث لم تنشر وثائق عنها حتى الآن ، ومن هذه الأحداث حرب الين ، والهزيمة الساحقة

(١) انظر الجزء الخامس من « موسوعة التاريخ الإسلامى » المؤلف .

في معركة ١٩٦٧، والمحاكمات التي تلت هذه الحرب وقلة الوثائق في هذه الأحداث ونظائرها ، لا يلقى الضوء على المشكلات ، فلا يتيح الفرصة لدراستها وإبداء الرأي فيها بدقة .

« والعقبة الثانية - أننى لا أعاصر فترة هادئة من التاريخ ، ولكنى أعاصر ثورة لها منهاجها تجاه الصحافة والبرلمان ، تجاه الكلمة المقولة ، والكلمة المكتوبة ، وهذا المنهج لا يتيح الحرية الكاملة للباحث .

« من أجل هذا لا أستطيع أن أدون تاريخ هذه الحقبة ، ا هـ .
ثم ظهرت بعد ذلك وثائق تعين على البحث ، وهب نسيم من الحرية على بلادي ، وتراخت أو أرجو أن تكون فُكَّت الأغلال عن الأقلام ، فكان على أن أنزل الميدان وبخاصة أننى كتبت تاريخ العالم الإسلامى كله من مطلع الإسلام حتى الآن ، فكيف لا أكتب تاريخ بلادي في فترة هشتما ورأيت فيها الأحداث ؟ .

وقد هزّت أحوال الماضى والحاضر كل الذين أخذوا الفكر والقلم مهنة لهم ، وكتب كل منهم متأثراً باتجاهه ، فصور الأستاذ إبراهيم عبده أحاسيسه في كتابه « رسائل من نفاقستان » فجاء هذا الكتاب عملاً يساقو تخصص الكاتب الذى كان أستاذاً للصحافة بجامعة القاهرة .

وكتب الروائي الكبير الأستاذ نجيب محفوظ رواية «الكرنك» ،
فأبرز في أحداث هذه الرواية بعض مشاهداته من أحداث العصر .
وأخرج الأستاذ توفيق الحكيم « عودة الوعى » فحمله مشاهدته
ومشاعره دون الاستناد إلى مرجع آخر كما قال في مقدمته .

وأنا أيضاً أكتب عن الماضى والحاضر ولكن باتجاهى الخاص
كمؤرخ ، فأعرض الوثائق والأحداث ، وأمهّد لها ، وأعلق عليها ،
فأكون بذلك نمطاً جديداً وإن اتفقتُ فى الهدف مع الآخرين .

فاللهم أسألك العون والتوفيق والهداية حتى نذكر كلمة الحق
ليكون التاريخ بحق شعاعاً من الماضى ينير الحاضر والمستقبل ،
ويذكر حاكم اليوم وحاكم الغد أن كل شئ سيمتد يوماً ، وأن كلمة
الحق ستعلو ، وأن خرس الألسنة لن يدوم ، وتكبير الناس سينتصر عليه
الناس ، وسيصبح الظالم يوماً بدون سلطان يحميه ، ولاسان يدافع عنه ،
فى حين ينطق المظلوم بدون التاريخ ويرفع صوته بقوله تعالى « والله
ما فى السموات وما فى الأرض أيعجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى
الذين أحسنوا بالحسنى » .

ولست أنكر أن هناك من يتردد فى الكتابة بعد أن هب نسيم
الحرية ، فالإنسان الذى عاش فى الأصفاد والأغلال حوالى عشرين

عاماً لا يستطيع أن ينطلق في سير طبيعي إذا تحطمت عنه الأصفاذ والأغلال ، ويغلب أن يظل بعد تحطيمها قصير الخطا ، لأن رجليه - بعد أن أثقلها القيد فترة طويلة - ان تستطعا الانطلاق بسرعة ، ولأن نفسه التي أقرعها الأمر ، ان تستطع بسهولة أن تتخلص من آثاره ، فسكانه بذلك يحرم نفسه من الحرية التي مُنِحها .

وإذا استطاع الكاتب أن يتخلص من تأثير الأصفاذ فهل يستطيع القارئ أو السامع أن يتخلص كذلك من تأثيرها ؟ لقد عاش طيلة عشرين عاماً لا تقع عينه ولا تسمع أذنه إلاّ نمطاً خاصاً من الكلمات ، فإذا يكون ردّ الفعل عليه إذا سمع كلاماً من نوع جديد ؟

على أن هناك بعض المتفائلين الذين يرون أن الكاتب من جانب ، والقارئ أو السامع من جانب آخر سيفتحان صدورهما بسرعة لتسييم الحرية بعد هذا السكبت الطويل ، وهذا هو اتجاه لا يحكمه إلاّ صالح الدين والوطن ، وأرجو أن يكون كذلك اتجاه قارئ ومريدي .

فباسم الله نبدأ ، ومنه نرجو العون .

حرب ١٩٦٧

أحداثها - نتائج الزعمية فيها - الأسباب الحقيقية للزعمية

البداية بنتائج الهزيمة أو أسبابها ؟

هل نبدأ حديثنا عن هزيمة حرب ١٩٦٧ بالكلام عن أسباب الهزيمة ؟ وننتدرج في ذلك سبباً بعد سبب ويوماً بعد يوم حتى نصل إلى المعركة فنصفها ونصف الهزيمة فيها ؟

أو نتكلم عن دوران المعركة وعن الهزيمة فيها ثم نبحث عن أسباب الهزيمة ؟

وبعبارة أسهل : هل نبدأ بالحديث عن أسباب الهزيمة أو عن أحداث الهزيمة ؟

اتجاهان يعرضان للباحث ، ويكثر أن يتجه المؤلف إلى دراسة الأسباب قبل دراسة النتائج ، فذلك هو الطريق الطبيعي في البحث ، ولكننا في هزيمة ١٩٦٧ نجدنا في وضع مختلف ، فأسباب الهزيمة كانت خافية خلف أبواب الدعاية والادعاء ؛ وكانت هناك زجاجة من القيادة المصرية ، وصرخات مدوية توحى بأن النصر مؤكد في يد القادة ، وتجهل الفشل بعيد التوقع ، ومن أجل هذا أراني أميل إلى ضرورة عرض دوران المعركة ونتائجها ، وتصوير الهزيمة فيها ، ثم بعد ذلك نعود إلى الوراء ، نحقق ، ونبتدأ كره ، لنكشف الستار عن الأسباب

- ٣٦ -

الحقيقية التي دعت لهذه الهزيمة الشنيعة التي مست كرامتنا في الصميم .
وهذا الاتجاه هو الذي اتبعته في الجزء الثالث من موضوعه التاريخ
الإسلامي عند الكلام عن نكبة البرامكة ، فقد كانت النكبة غير
متوقعة ، وكان الرشيد يمضي مع جعفر البرمكي أمسية من أمسياتهما
الباسمة ، واتفقا بعد شطار من الليل ، وما إن وصل جعفر إلى
قصره حتى اتفحمه عليه مسرور جلاد الرشيد يطلب رأسه ، وتمت النكبة .
وكانت خطتي في تصوير نكبة البرامكة أن وصفها ، ووصفت
أحداثها ، ثم رحلت أناس الأسباب التي دعت إليها .
ونحن أمام حادث مماثل ، فلنبداً في تصوير أحداث الحرب ونتائجها ،
ثم نعود بعد ذلك لنعرف على أسبابها الحقيقية ، وعلى الجذور التي غرست
الهزيمة قبل ذلك بعدة سنوات .

يوميات حرب يونيو ١٩٦٧

في شهر مايو سنة ١٩٦٧ وخلال الأيام التالية له من شهر يونيو
الحزين ، حدثت تلك الكارثة الكبرى ، وتلك الهزيمة القاسية ،
التي لا تزال حديث الناس ، وفي يوميات محدّدة يمكن أن نستعرض
أبرز هذه الأحداث :

— ٣٧ —

٧ — لإبريل قامت إسرائيل بغارة على سوريا انتقاماً لما أنزلها بها
الفدائيون العرب القادمون من جهة الشمال .

— تحرك جمال عبد الناصر حسين عقب ذلك ، كما أنما كان
ينتظر ذلك العمل الأحق من إسرائيل ليقضى عليها قضاء تاماً ،
كما فهم من تصرفاته وتهريباته آنذاك .

— ١٤ مايو أصدر جمال عبد الناصر أوامره لقوات مصر
أن تزحف لسيناء ، وفي اليوم التالي طلب من السكرتير العام
للأمم المتحدة إنهاء عمل قوات الطوارئ الدولية في الأرض المصرية ،
تلك القوات التي اتخذت أمكنتها منذ سنة ١٩٥٦ ، ولم يكن أكثر
المصريين يعرفون أن قوات دولية تعيش على أرضهم ، وقد استجاب
السكرتير العام للأمم المتحدة لهذا الطلب ، وسحب قوات الطوارئ
الدولية ، إذ أن قبول الدولة المضيفة شرط لبقاء هذه القوات .

— وما إن سُحبت هذه القوات حتى أخذت القوات المصرية تحتل
مواقعها ومن ضمنها موقع شرم الشيخ الذى يشرف على مضيق
تيران ويسيطر على الملاحة فى خليج العقبة ، وتنازمت الأمور تازماً
شديداً .

— ٢٠ مايو أعلن يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة أنه سيحضر للقاهرة لمحاولة الوصول بالأزمة إلى تسوية .

— ٢٣ مايو قطع جمال عبد الناصر خيط الأمل ، ولم ينتظر وصول السكرتير العام ، وأصدر قراراً بإغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية ، وأمام البضائع الإستراتيجية الموجهة إلى إسرائيل ، حتى لو كانت على ظهر بواخر غير إسرائيلية ، وأعلن أن ذلك عودة لما كانت عليه الأمور قبل عدوان ١٩٥٦ .

— أحدثت هذه التصرفات هلعاً في العالم ، وتمّ اجتماع عاجل بين ويلسون رئيس وزراء بريطانيا وجونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، واتضح من الاجتماع إصرارهما على مناصرة إسرائيل علناً ، وفتح خليج العقبة ولو بالقوة أمام الملاحة الإسرائيلية ، وقد علق جمال عبد الناصر على موقف أمريكا وبريطانيا بقوله : أمريكا هي إسرائيل ، وإسرائيل هي أمريكا ، وبريطانيا تابعة لأمريكا .

وفي تعليق موجز على هذه النقطة نقرر الدهشة لمن يدرك هذه الحقيقة ثم يتصدى لصراعٍ ضد هذه الدول ، وليس من يفعل ذلك إلا كن يرى أن من الشجاعة أن يتصدى لأسدٍ محصور فيفتلك به الأسد .
ونذكر القارئ بأن الاتحاد السوفيتي بمكانته وقوته وجبروته

تراجع أمام أمريكا في قضية الصواريخ في كوبا ، ولم يقبل مواجهة أمريكا ، وفكّ الصواريخ بإشراف أمريكا وعاد بها أدراجها ، ولسكن جمال عبد الناصر لم يشأ أن يتراجع ولم يعط فرصة للوساطة مما جعلنا نظن أن في يده عصا سحرية يحقق بها ما يشاء دون تردد أو خوف .

- ٢٤ مايو وصل يوثانت إلى القاهرة ، والنقى بجمال عبد الناصر اللقاء طويلا مساء ذلك اليوم ، حيث شرح الرئيس للسكرتير العام أسباب ما قام به من تصرف ، ولسكن اللقاء لم يكن مشمراً لأن الرئيس لم يدع فرصة لتحقيق حل وسط .

نم أذاع يوثانت تقريره ، وهو تقرير عادل إلى حد كبير ، وردّ بوضوح على الذين اعتقدوا أنه تسرع في الاستجابة لمصر عندما سحب قوة العاوارىء ، وأعاد جذور الخلاف إلى مدى أبعد من سحب قوة العاوارىء وقفل خليج العقبة ، فتحدث عن أعمال التخريب وحقوق الزراعة في المناطق المتنازع عليها في المنطقة المنزوعة السلاح بين سوريا وإسرائيل ، وذكر أن جذور الخلاف أبعد جداً من هذا المدى أيضاً ، إنها ترجع إلى قيام إسرائيل ، وطرد العرب ، وعدم الاستماع لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين ، وكثرة الاعتداءات الإسرائيلية على كل جيرانها العرب .

٢٨ مايو والمؤتمر الصحفي :

— في هذا اليوم عقد الرئيس جمال عبد الناصر مؤتمراً صحفياً حضره عدد كبير من الصحفيين من مختلف بقاع العالم ، وقد استقبله الرئيس ببيان تمهيدى وضح فيه أن المشكلة التي يعيشها العالم ليست مشكلة مضايق تيران ، وليست مشكلة سحب قوات الطوارئ الدولية ، فهذه عوارض طارئة لمشكلة أكبر وأخطر ، هي مشكلة العدوان الذي وقع ولا يزال واقفاً على وطن من أوطان شعوب الأمة العربية في فلسطين ، وما يعنيه ذلك من تهديد قائم باستمرار ضد أوطانها جميعاً ، وذكر الرئيس أن الاستعمار خلق إسرائيل ودعمها وشجع عدوانها حتى ضد مبادئ وقرارات الأمم المتحدة ، واستعملها أداة للعدوان في عدة مناسبات ، وأضاف أنه الآن مستعد لاسترداد حقوق العرب .

وبعد البيان التمهيدى أجاب الرئيس على أسئلة الصحفيين وكانت إجاباته مثيرة وبعيدة عن الدبلوماسية ، وفيما يلي خلاصتها :

— إذا قامت حرب بين إسرائيل وحدها وبيننا وحدنا فإنها يمكن أن تكون مقصورة على الشرق الأوسط وحده .

— الدول الكبرى لا تقرر لنا مصيرنا ولست تحت وصاية أحد .

— إن أمريكا انحازت انحيازاً كاملاً لإسرائيل ضد العرب ،
ولقد قرأت اليوم تصريح نائب الرئيس الأمريكي الذي يتحدث فيه عن
إسرائيل « كمنارة للعالم » ، وكل ذلك في سبيل الأصوات وعلى حساب
المبادئ .

— كنا نتصور يوماً أن أمريكا سوف تكون سنداً لحركات
التحرير ، ولكنها تحولت إلى قوة راغبة في السيطرة والحكم ، وتصور
أنها تستطيع أن تخط أقدار الشعوب ، وهي تقف ضد الأمة العربية مائة
في المائة .

— إن الضجة التي تثار الآن حول سحب قوات الطوارئ
وإغلاق خليج العقبة أمام إسرائيل ضجة مصطنعة تثيرها الولايات المتحدة
الأمريكية تشجيعاً ودعماً للعدوان الإسرائيلي . . . وهذه الأشياء كلها
من آثار مؤامرة السويس صحتها وأعدائها إلى وضعها السليم ونحن
نستطيع ذلك اليوم .

— إن مضيق تيران عرضُ ثلاثة أميال أو أربعة ، والقسم الصالح
للسلاح في عرضه ميل واحد ، وممر على جانبي المضيق (تيران -
شرم الشيخ) فيأهه مصرية مائة في المائة .

— لا يمكن أن يبقى العدوان الصهيوني على أرضنا ، لقد ذه
الاستعمار الصليبي ، ولم يبق منه إلا أطلال أثرية يزورها السواح .

— إننا لا نقيم حساباتنا على احتمال التدخل الأمريكي عسكرياً
وإذا وقع ذلك فإننا سنقاوم وندافع عن حقوقنا وسيادتنا ، ونحن لانخ
جنرالات أمريكا ، ولا نخضع لتهديد أمريكا ، لأن ذلك معناه التض
عن حقوقنا .

— نحن لانريد أن تحدث مواجهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات
المتحدة الأمريكية ، فإن مثل هذه المواجهة سوف تكون حرباً نوو
وذلك أمر لا نتصوره ولا نتمناه .

وتعليق خفيف هنا يتحتم علينا أن نثبتة هو أن هذا الكلام يما
أن يصدر عن إنسان يملك إحداث هذه المواجهة ، فإذا لم يملك ذل
فإن هذا الكلام يصبح لامدلول له ، وقد هاجمتنا إسرائيل وأيد
أمريكا ولم يتحرك الاتحاد السوفيتي .

— نحن متأثرون من موقف كندا وموقف رئيس وزراء
الذي حصل على جائزة نوبل للسلام ، وهو الآن يؤيد العدوان ويتبع
ضدنا ويقواطئ مع السياسة الأمريكية .

— إذا كانت الحرب مع إسرائيل وحدها فسوف تظل قناة السويس مفتوحة ؛ وأما إذا كانت الحرب مع غير إسرائيل فلن يستطيع المعتدون أن يمرروا من قناة السويس .

— لا أوافق على تدمير المصالح والمنشآت الأمريكية بالبلاد العربية في حالة العدوان ، واقدرحبت باقتراح وزير خارجية الكويت الذى أكد فيه أن الكويت سوف توقف تدفق البترول إذا حدث شيء ، ونحن فى انتظار موقف السعودية ، وعلى أية حال فإن أى بلد عربى تتأخر حكومته عن أداء دورها فإن المسؤولية تنقل إلى الشعب فتتصرف جهاهيره بوحى ضميرها القومى .

وهنا أيضاً مكان لتعاليق ضرورى هو : هل كان عبد الناصر يملك تدمير المصالح والمنشآت الأمريكية بالبلاد العربية ؟

وهل كانت الشعوب العربية تتخطى حكامها لتأمر بأمره ؟
واليس فى هذا الكلام مايفيد إثارة الشعوب العربية ضد حكامها ؟
وبعد ذلك سئـل جمال عبدالناصر عما إذا كانت صحته تسمح له خوض معركة جديدة بالإضافة إلى ماعاناه من معارك ، فأجاب بأنه يستطيع ذلك ، وأنه ليس « خـير ع » مثل إيدن رئيس وزراء بريطانيا أيام العدوان الثلاثى الذى لم يحتمل نتيجة الحرب التى أعلنها .

وسئل عما إذا كان الاقتصاد المصري يحتمل الصمود لمحنة ؟
فأجاب : إن اقتصادنا متين ، والمصحفون الأجانب يمسكون أن يشاهدوا
آثار ذلك في حياتنا اليومية . وقال : ألا يأكل هؤلاء الكهاب والسكفة
في بلادنا ؟

— في يوم ٢٩ مايو بدأت جلسات مجلس الأمن بعد تقرير أوثانت ،
وقد طلبت مصر من المجلس ألا يقصر بحثه على مضيق تيران ، وأن
يبحث المشكلات الأخرى حول فلسطين وأن يبحث كذلك اعتداءات
إسرائيل المتعددة .

— في يوم ٣٠ مايو حضر الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية
إلى القاهرة ، ووقع مع الرئيس جمال عبد الناصر اتفاقية للدفاع المشترك .
— في يوم ٤ يونيو انضمت جمهورية العراق لاتفاقية الدفاع
المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والأردن .

مشاعر الناس حتى الرابع من يونيو :

وقبل أن أصل إلى الخامس من يونيو لابد أن أتف وقفة أصور فيها
مشاعري ومشاعر الناس حتى الرابع من هذا الشهر .
والحق أن وسائل الإعلام هونت علينا كل شيء ، وكان تأثيرها بتجاهاتها

شديداً ، حتى أننا أحسنا أن جمال عبد الناصر في يده أقدار الأرض ، فقد استهان بجنرالات أمريكا ، وبقوة بريطانيا ، وسخر من كندا ، فلا بد أنه واثق من خطته واثق من قوته ، وكانت « تل أبيب » على كل لسان كهدف يسعى له الثأرون ، ويلتقى فيه المناضلون ، وقد أطمعنا في ذلك أن الرئيس رجل عسكري ومعه نائبه ومشيره وهو عسكري كذلك ؛ وكانت القوة المصرية تُستعرض في المناسبات فيمتلئ الجو بأزيز الطائرات وجلبة الدبابات ، وكان قادتنا يكررون أننا نملك الصواريخ ، وأن لدينا أعظم قوة ضاربة في الشرق .

وحق أولئك الذين مسهم الفخر من حكم عبد الناصر صفعوا له قبل الخامس من يونيو ، فإذا كان عبد الناصر سيئاً لنا من إسرائيل ، وسيئاً جبروت إسرائيل ، فإن كل خطيئة له تُغفر ، وكل ذلة تنسى .

وأشهد لقد رأيت الشبان يتهافون على السفر إلى سيناء ليكون لهم شرف الزحف إلى تل أبيب ، ورأيت السكحول والشهوخ وقد تجدد فيهم الشباب ، وراحوا يصفقون للرجل الذي بعثته الأقدار ليقود نضال العرب ، وارتبط في أذهان المتقنين اسم الناصر صلاح الدين باسم الناصر الجديد ، ولم يكن الشعب وحده هو الذي خُدع بالفضجيج ووسائل الإعلام ، بل إن كثيراً من الدول وقعت في هذه الهوة

كذلك ، فلم يكن الملك حسين ليغامر بدولته وجيشه لولا أنه خُذع في قوتنا الضاربة كما خُذعت الجاهيل .

الخميس الحزين والمعركة الخاسرة :

وصرت الأيام قبل الخامس من يونيو ونحن في فرح وبهجة وأمل عميق ، ليطلع علينا يوم الخامس الحزن بتحول سرير ، ففي صبيحة ذلك اليوم ، استيقظ الناس على أنباء ببدء الحرب ، وكانت إسرائيل قد قامت في الصباح الباكر بهجوم سريع بالطائرات ، واتخذت المطارات المعربة هدفاً لها ، ويقال إن رجال الطيران كانوا في حفل راقص مساء هذا اليوم امتد بهم حتى خيوط الفجر ، فلما أووا للفرش انطلقت إسرائيل فدمرت المطارات والطائرات وهي رابضة في أمكنتها ، وقد تم ذلك في سرعة مذهشة ، وكان نذير سوء ترك البلاد تحت رحمة العدو .

وعندما تعطل سلاح الطيران المصري أصبح الزحف الإسرائيلي على مصر آمناً فاجتاحت جيوش العدو سيناء ، وكان من الممكن أن تدور معارك رهيبة بين الجيش المصري بسيناء وبين المهاجمين ، ومن المعروف أن قوة الطيران تضعف في حال الاشتباك ، ولكن جمال عبد الناصر لم يكلف جيش إسرائيل مثونة الاشتباك ونتائجه ، إذ

أصدر أمراً لجيوشنا في سيناء بالانسحاب ، فكان ذلك فرصة انتهزها العدو ، فراح يضرب المنسحبين دون رحمة ، وعلى هذا انهارت الجبهة المصرية في سرعة عجيبة وحُصِبَتْ تلك هزيمة على جيشنا مع أن هذا الجيش لم يدخل معركة حقيقية ولم يقاتل العدو في صراع ، ولكنه كان ضحية القيادة التي جازتها التوفيق تماماً ، وقد قال موسى ديان تملقاً على النصر الذي أحرزه دون قتال : إن ما حققناه من نصر كان أكثر بكثير مما تمنيناه ، ولو أن أكبر أعداء مصر قد وضع تخطيطاً لسحق جيش مصر ما استطاع أن يحقق ما حققته سياسة جمال عبد الناصر .

ويقسم الناس : هل كان زحفنا إلى سيناء تخطيطاً مدروساً أو كان مجرد مظاهرة ؟

إن تصرف جمال عبد الناصر عقب تأميم القناة في سنة ١٩٥٦ يشبه تصرفه في مايو ١٩٦٧ ، فكلاهما اندفاع بدون خطة ودفْعُ الجنود والمعدات بدون نظام ، وبشكل يسميه الأستاذ توفيق الحكيم « التهويش ^(١) » وفي كلا الحالتين لم يُنْجِز التهويش شيئاً ،

(١) عودة الوعى من . . .

وأمرع جمال عبد الناصر يصدر أوامره بالانسحاب الجيش ، ولكن
الانسحاب سنة ١٩٥٦ حماء اتفاق الاتحاد السوفيتي وأمريكا ضد المعتدين ،
فسرعان ما صدرت أوامر القوتين الكهبريتين لـ إنجلترا وفرنسا
وإسرائيل بالانسحاب العاجل ، واستسلمت القوى المعتدية أمام صرخة
القوتين الكهبريتين ، وما إن انسحب المعتدون تحت ضغط أمريكا
وروسيا حتى انطلقت أبواق الدعاية عندنا تهتف بانتصار مزعوم
حققناه ، ويبدو أن قادتنا وقموا في شبكة الخديعة التي نصبوها للجماهير
فاعتقدوا فعلا أنهم انتصروا ، وحاولوا تكرار التهويش سنة ١٩٦٧ .
ولكن الحال هنا كان مختلفاً ، فإن مستخري جمال عبد الناصر بأمريكا
وجنرالات أمريكا جعل هذه الدولة تهادى في تأييد إسرائيل ، وبالتالي
يطول بقاء إسرائيل في بلادنا الحبيبة .

لقد كان قرار عبد الناصر بالانسحاب بمثابة قرار بالهزيمة ، وبتسليم
الأسلحة الضخمة إلى العدو ، وبسبب الزحف بدون نظام والانسحاب
بدون نظام ضاعت أسلحتنا وسقط رجالنا بعامل الجوع والجهد والعطش ،
كما سقطوا برشاش العدو والمواد الحارقة التي ألقيها العدو على المنسحبين
والعائدين .

والمعجيب أن المزايم في سيناء كانت تقم ، وإذاعات مصر سادرة في ضلالها ، فقد كانت هذه في جانب وميادين القتل في جانب آخر ، كانت القوة المصرية تنهار بينما تذيب الإذاعة أننا أسقطنا المئات من طائرات إسرائيل ، وأن انتصارنا حق لا شك فيه .

ويقولون عن هذه الحرب إنها حرب الأيام الستة ، والواقع أن الجبهة المصرية انهارت في ساعات ، وسرعان ما احتل العدو سيناء وغزة ، ثم راح بعد ذلك يزحف على الضفة الغربية للأردن فاستولى عليها ، كما استولى على مرتفعات الجولان جنوبي سوريا ، وكان انهيار مصر من أهم ما قضى على جبهة الأردن والجولان .

مصرى الهزيمة :

وقد وقفت الدول العربية وقفة موحدة أمام هذه النتيجة المريرة ، فقد أصدرت كل الدول العربية المنتجة للبترول قرارات بوقف ضخ البترول ، ووقف تصديره إلى أمريكا وبريطانيا ، وقطعت أكثر الدول العربية علاقاتها مع أمريكا وبريطانيا ، وتعطلت قناة السويس ، وقررت حكومة السودان الدخول في معاهدة للدفاع المشترك مع مصر ، وأوقفت كل المطارات والموانئ العربية في وجه وسائل المواصلات الأمريكية والبريطانية .

— ٥٠ —

وفي أثناء المعركة قرر مجلس الأمن وقف الحرب، ولكن المعركة كانت تُحدّد في الميدان، وقد أعلنت أكثر الدول العربية وإسرائيل قبولها لهذا القرار، ولكن إسرائيل ظلت تعتدى وتزحف، ولم يتوقف عدوانها حتى يوم السبت العاشر من يونيو حين تم لها احتلال المناطق التي أشرنا إليها .

وفي ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ اتخذ مجلس الأمن قراراً بضرورة انسحاب إسرائيل إلى حدود الرابع من يونيو، ولكن إسرائيل لم تنفذ هذا القرار حتى كتابة هذه السطور .

لقد كانت الدول العربية تتطلع إلى انتصار أكيد، ولذلك كانت الهزيمة قاسية إلى أبغ حدود القسوة وزاد من قسوتها هذا الانهيار السريع الذي أصابنا، فنزلت علينا الضربات دون أن نقاوم بطريق أو بآخر، حتى أخذ العالم في الشرق والغرب يعلن - كما ذكر ذلك الرئيس أنور السادات بعد ذلك - أننا شعب غير مقاتل .

جمهورية ١٠ يونيو ١٩٦٧

وفي هذه الساعات الحالكّة استقال المشير عبد الحكيم عامر المسئول عن القوات المسلحة، ثم أعلن جمال عبد الناصر مساء الجمعة

التاسع من يونيو صورةً لنتائج المعركة ، وتلمس عبد الناصر الوسائل للدفاع عن هزيمته ، فأعلن أنه كان ينتظر أعداءه من الشرق فجاءوه من الغرب ، وعلق الزعيم الحبيب بورقيبة على هذا التعليل بقوله : الزعيم الذى يقول إنه كان ينتظر أعداءه من الشرق ، فإذا بهم يميثون من الغرب لا يصح أن يكون زعيماً ، ولا يصح أن يبقى فى مكانه لحظة واحدة (١) .

وختم عبد الناصر حديثه بأن أعلن قراره بأن يتخلى عن السلطة .
ولكن سيارات نقل كانت قد أعدت ليركبها بعض العمال من المصانع الحكومية وبعض الفلاحين من أتباع الاتحاد الاشتراكي ، وأخذت هذه اللوريات تطوف شوارع القاهرة فى التاسع والعاشر من يونيو لتزعم بتمسكها بالرئيس المنهزم ليكمل الشوط ١١١

وتعبر « يكمل الشوط » تعبير خداع لأن عبد الناصر فى الحق لم يسر فى الشوط خطوة ، وإنما تراجع بالجيش والبلاط أشواطاً وأشواطاً كما سرى ، ولكن أبواقه كانت دائماً تحاول أن تجعل الباطل حقاً ، ورغم الناس على السير فى الباطل .

(١) مجلة الفجر القطرية المأذونة فى ٢١/٦/١٩٧٥

ويقول الأستاذ الدكتور إبراهيم عبده^(١) : « لقد حُشِرَ المأجورون في الفطر والسيارات ليزحوا العاصمة مقبلين من كل فج عميق ليحجموا الهزيمة صامحين صارخين . . . » .

وقد نقلت الأنباء أنه عندما كانت جماهير التاسع والعاشر من يونيو تهتف ويدوي هتافها في العاصمة الجريمة كان جنود إسرائيل المنتصرة يقبلون تراب سيناء في جلال مهيب ١١١
يا لله لقد ظل هؤلاء مخدوعين حتى في هذه الأوقات المصيبة وبعد هذه الضربات الأليمة .

واستجاب عبد الناصر لهذه الهتافات المصنوعة ، وقرر أن يبقى في منصبه ليعمل على القضاء على آثار العدوان وإعادة بناء الحياة العسكرية والسياسية ١١١

وموضوع ٩ و ١٠ يونيو يحتاج إلى مزيد من الإيضاح ، وقد سأني بعض طلابي عنه وقالوا إنهم انضموا إلى هذه المسيرة من تلقاء أنفسهم . وأجبت هؤلاء : بأن المظهر الذي وصفته آنفاً رأيتُه بعيني ورآه معي الكثيرون ، فقد رأينا - ونحن نسكن في المعادي - سوارات نقل قادمة من حلوان تحمل حشوداً من عمال المصانع ، متجهة

(١) وسائل من نفاستان ص ١٧٥ .

إلى القاهرة لهذا الغرض ، وسمعنا العمال بها يصرخون .
وعندما كنت أجيب هؤلاء بتلك الإجابة طلب طلاب آخرون
الكلمة وأقسموا في جمع حاشد من زملائهم أنهم كانوا ضمن من دُفعَ
بهم لسيارات النقل من قِراهم ليقوموا بهذه المهمة .
والذي أعتقد أنه هناك جماعات دُفعوا لهذه المسيرة وأهدت لهم
سيارات لهذا الغرض ، وجماعات أخرى اندفعت من تلقاء نفسها
بوحى من الرهبة التي كانت تشمل الجميع ، أو بحكم أنهم من الجيل
المفضل الذي سنحدث عنه فيما بعد

مؤتمر القمة بالخرطوم :

وفي أغسطس سنة ١٩٦٧ اجتمع مجلس قمة الملوك والرؤساء
العرب في الخرطوم ، وعمل على تصفية المشكلات الداخلية بين الدول
العربية^(١) لتتحد في مواجهة العدو المشترك ، وفي هذا الاجتماع أعلنت
الملكة العربية السعودية وليبيا والكويت استعدادها لتعويض بعض
الخسائر المادية لمصر والأردن ، فتقرر أن تدفع هذه الدول دوماً مالياً لها
حتى إزالة آثار العدوان^(٢) ، وكانت الدول العربية في هذا الاجتماع

(١) ستحدث فيما بعد عن هذه المشكلات .

(٢) توفيت ليبيا من دغم نصيبها من الدعم عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣

تصدّر عن فكر عربي رائع متناسية الخلافات بينها ، تلك الخلافات التي كانت عميقة التأثير كما سنراها فيما بعد ، ولكن الملوك والرؤساء كانوا أسمى من النشفي والانتقام ، فنسوا أو تناسوا كل شيء ، واتجهوا للتعاون للصالح العربي العام بقدر الإمكان .

وقد كنتُ بالخرطوم قبل هذا الاجتماع وخلالها ، وأستطيع هنا أن أترجم بعض المشاعر حول هذا المؤتمر :

أولاً - شاهدتُ الجهود الكبيرة التي بذلها الرئيس السوداني الراحل إسماعيل الأزهرى ورئيس الوزراء محمد أحمد محبوب إيتيم انعقاد هذا المؤتمر في ذلك الوقت ولينجح في اتخاذ قرارات مفيدة .

ثانياً - كان عبد الناصر قبل المزمجة يهاجم بقسوة الحكومات الملكية ويعتبرها بالرجعية ، ولكن الدول التي حملت العبء المالى في هذا المؤتمر كانت من هذا النوع (المملكة العربية السعودية - المملكة الليبية - دولة الكويت) .

ثالثاً - بعد فترة قصيرة من هذا المؤتمر هبت ثورتان في الدول التي كان لها نصيب كبير من نجاح هذا المؤتمر هما السودان وليبيا ، ومن المؤسف أن جمال عبد الناصر نسي الدور الذى قام به رؤساء هذه وتلك

مصر في أخرج الأوقات، وكان - كما يقول محمد حسنين هيكل -
 دأ بالثورة في السودان ، فلما قامت ثورة ليبيا كان تقديره أن
 نخضع وأهم ، وقد فرح جداً عندما شرح له هيكل استنتاجه
 'تجاه الثورة' (١) .

كان من الوفاء أن ينسى عبد الناصر بهذه السرعة عون
 نوا بجانبه وقت الضيق والشدة ؟
 يس معنى هذا أننى أعارض الوضع الجديد هنا أو هناك ،
 كنت أوتر أن يهتبت عبد الناصر ، ويترك كل قطر هربى
 ثواباته الداخلية على النحو الذى يراه .

مصر الفارسة في هذه الحرب :

نوفمبر ١٩٦٧ أعلن جمال عبد الناصر أن الطريق إلى القاهرة
 نتوحاً أمام إسرائيل ، ولم يكن هناك جندي مصرى واحد
 ى تقدم لإسرائيل ، وأزه هو المسئول عن هذه النتيجة .

أعلن أرقاماً فادحة عن خسارة مصر في هذه المعركة المشؤومة ،
 مصر خسرت في هذه الحرب ٨٠٪ من سلاحها و ١٠ر٠٠٠

مراحة عن عبد الناصر ص ١٧٢

— ٥٦ —

جندى ، و ١٥٠٠ ضابط ، وأسر ٥٠٠٠ جندى و ٥٠٠ ضابط لم يعد
أكثرهم .

وعند ما نرى هذه الأرقام الهائلة مع أنها أقل من الواقع بكثير ،
وربطها بقول الرئيس إنه المسئول ، يحق لنا أن نتساءل : ما معنى
المسئولية ؟ وكيف وفى بها هذا المسئول ؟ .

ولنعد إلى هذه الهزيمة المشينة للصومقناجها وآلامها التى كانت
شديدة الوقع على حياتنا :

نتائج هزيمة ١٩٦٧

كانت هزيمة ١٩٦٧ ضربة قاسية متعددة النتائج ، وسلم هنا
إلى إدامة سرية النتائج المريعة التي عاينناها خلال سنوات الهزيمة الحافلة
بالسكابة والعناء :

النتائج العسكرية :

أثارت هذه الهزيمة الشكوك حول جيشنا وأحاطت مستقبلنا
المسكرى بظباب كثيف ، فقد كان قادة عصر الهزيمة يفخرون بالجيش
ويهددون به ، فلما انهار في ساعات قصار ، قلّ الأمل في إعادة بنائه ،
وبالتالى قلّ الأمل في النصر ، لأننا لم نعرف أسباب الهزيمة حتى نتحاشاها .
وتحت ضغط الرأي العام المكبوت ، وثورة طلاب الجامعات سنة ١٩٦٨ ،
أجريت محاکمات ولكنها كانت سرية ، وكانت الأحكام التي صدرت
يُشاع عنها الكثير مما يوحى بأنها ليست أحكاماً جادة ، وليست إلاّ
وسائل لتخدير الناس .

وأصبح الناس يخافون أن يرسلوا أولادهم إلى الجيش حتى لا يساقوا
إلى الموت دون إعداد أو رعاية أو نظام ، وذلك أقصى ما يمكن أن

يقترض له بلد من هوان ، وقد رأيت بعض الطلاب بالفرق النهائية بالجامعة يتخلفون عن الامتحان في بعض المواد أو يصطنعون الرسوب حتى لا يتخرجوا فيُدفع بهم إلى حياة عسكرية لا يعرفون مصيرها ، وأشهد أنني رأيت الطلاب سنة ١٩٥٦ ، ورأيتهم حينما جدد الجدد سنة ١٩٧٣ يتزاحمون على الالتحاق بالجيش والاستمتاع بشرف الجندي .

وأصبحت بلادنا مفتوحة أمام العدو يسرح فيها ويمرح ، يضرب في العمق ، ويصيب منطقة حلوان ، ومصانع أبي زعبل ، ومدرسة بحر البقر ، وتلعب طائراته في أجوائنا ، ولا نملك إلا الصراخ لمجلس الأمن الذي يزداد منا سخرية كلما شكونا إليه .

وحتى الكليات العسكرية لم نستطع حمايتها نبعثنا بطلابها إلى الأقطار العربية ، ونفتحنا هذه الكليات هناك ، وتندّر بعض الناس بهذا التصرف فقالوا لماذا لا نرسل جيشنا للخارج لنحميه من غارات إسرائيل ؟

وكان جيشنا يدعى أنه يحمل عبء الدفاع عن العرب أجمعين ، ويهدد من يعتدى عليهم ، فلما انهار هذا الجيش ، انطلق العدو إلى أرض العرب بنطرسية وعجرفة شديدين ، فهو يدخل أرض لبنان كأنما يذهب إلى نزهة ، ويقبض الأردن بدون مبالاة ، ويضرب طائرة

ليبية مدنية على حافة سيناء فيقفى على عدد من المدنيين الأبرياء ، وقد اضطرت بعض الدول العربية أن تعمل على القضاء على المقاومة الفلسطينية حتى لا تتعرض لهجوم إسرائيل .

الأضرار الأدبية :

كانت الأضرار الأدبية التي ألقت بنا مريرة جداً ، فقد أصبح العالم كله يستهين بنا ، ويتجاهل تاريخنا ، وينسى ما أحرزناه من انتصارات عسكرية عبر التاريخ ، وما حققناه من أدوار حضارية بعيدة الشأن في تقدم العالم ، ووصل الحال في تدهور سمعة مصر أن حكومات الكثير من دول أوربا كانت تتجاهل مصر ، وتقول السيدة زوجة وزير الخارجية المصري الأستاذ إسماعيل فهدى : إن اسم مصر قد هبط في نظر المجتمعات الأوروبية ، لدرجة أن باغ من تجاهلهم لنا أنهم كانوا يفعلون اسم مصر في كل الدعوات الرسمية ، ونجاهلوا دعوة السفير وجرمه ، وفقاً للبروتوكول والعرف الدبلوماسي المتبع (١) .

وليست أوربا فقط هي التي استهانت بمصر ، بل إن مصر عانت الكثير من العالم العربي نفسه ، وواجهت صوراً من الإهمال وعدم التقدير ، بل

(١) مجلة صباح الخير ١٤ مارس ١٩٧٤

وصل الأمر أحياناً إلى نوع من العدوان ، ولم روى الأساتذة المصريون الذين يعملون بالبلاد العربية من مواقف مريرة تعرضوا لها كانوا كآسهم هم الذين تسببوا في هذه المزيمة النكراء .

الأضرار الاقتصادية :

ونزل بنا ضرر اقتصادى بالغ المدى ، فلقد توقفت قناة السويس ، وقات أو انقطعت وفود السياح ، وضاعت منابع البترول التى كانت تتدفق من سيناء ، ودمر العدو محطات تكرير البترول بالسويس ، كادمر الحياة فى مدن القناة ، وهرع الملايين مهجرين من هذه المدن هائمين على وجوههم .

وفى الداخل عانى الشعب أزمة اقتصادية طاحنة ، فالأجور والمرتبات كانت ضئيلة بالنسبة لنفقات العيشة التى ارتفعت ارتفاعاً باهظاً ، وانهارت أسعار عملتنا انهياراً شديداً ، واختفت أكثر السلع الضرورية من السوق ، وعاش شعبنا فى حرمان لم يشهده فى أقسى فترات التاريخ ، وشهدت مصر حقبة وصفتم فى كتابى « رحلة حياة » بحقبة المفارقات العجيبة ، فقد كانت مصر — كالعهد بها — حافلة بالمفكرين والمؤلفين فى مختلف فروع المعرفة ، ولكن ورق الطهاة

وما كينت الطباعة الحديثة قليلة بها أو قل غير موجودة ، وفي مصر أطباء من أرقى المستويات ولسكن صيدايات القاهرة خلت من الأدوية الضرورية ، وفي مصر أعظم المهندسين المعماريين ولكن أدوات البناء نادرة ، وفي مصر يوجد الخياطون المهرة للرجال والنساء ، ولكن القماش اللازم غير موجود .

وإنما كانت أسواق القاهرة وحياة القاهرة على هذا النحو كانت أسواق « دبی » و « أبو ظبی » و « الكويت » تزخر بأحدث ما أنتجه العقل البشرى من وسائل الترف والنعيم .

الضرر النفسى والاضطرابات :

وانعكست هذه الهزيمة على المجتمع فظهر فيه الفساد والانحراف ؛ واضطرب الناس نفسياً واجتماعياً ؛ فأخلاق انهارت ، واللامبالاة ظلمت ، والسخط قد انتشر ، بل بدا المستقبل مُظلماً قاتماً ، وباسم الاستعداد للمعركة كُتِبَت الحريات ، وأُخْفِت الأصوات ، وكان هناك سيف مصمت ضد من نُعتُوا بأنهم « قوى مضادة » أو « أصوات تعلق على صوت المعركة » مع أن المعركة كانت دائماً ولا تزال كل شيء بالنسبة للجميع ، وقد يوجد خلاف حول وسائل الاستعداد لها وإدارتها ، ولكن لم يوجد خلاف على

الإطلاق حول ضرورتها ، وأنها قمة ما نحرص عليه .
 واتخذ الآثمون فرصة كبت الحريات وعدم إباحة النقد فعاثوا في
 الظلام ، وانتشرت الاختلاسات والسرقات ، وكثرت الحرائق التي
 يصطنعها الآثمون لغطائية هذا المنكر ، بل أذيت أخيار عن ملايين
 الجنيمات الاسترلينية كان أعلى القيم من أصحاب النفوذ قد حولوها
 إلى بنوك سويسرا ، وأودعوها هناك تحت أرقام سرية (١) .
 ونحن هنا ننتهز هذه الفرصة لنطالب بإيضاح شامل حول هذه
 النقطة ، ونسأل :

- من هم الذي أودعوا هذه النقود ؟
 - ما مقدارها ؟
 - ما موقف الحكومة منها ؟
- ونؤكد أن الجماهير يمزقها أن يشاع ذلك عن قادة كانوا موضع
 ثقتها يوما ما ، وتريد أن تعرف وجه الحقيقة فيه .
- تلك لحظة سريعة ، وخطوط عريضة ، عن نتائج هذه الهزيمة النكراء
 فما هي أسباب هذه الهزيمة التي حققت لإسرائيل أعظم الأمانى ؟
 هذا ما سنجيب عنه فيما يلي :

(١) أخبار اليوم في ١٦/٣/١٩٧٤

الأسباب الحقيقية للمزمنة

إن الأسباب الحقيقية لهذه المزمنة ليست تلك التي تطفو على السطح وتخدع بعض الناس ، إن بعضها عميق الجذور شديد الغور ، وبعضها مباشر واضح ، ويمكن على العموم أن تنقسم هذه الأسباب كالآتي :

- ١ - أسباب ترتبط بالجبهة الداخلية وتصدعها
 - ٢ - وأسباب ترتبط بالجيش وسوء قيادته
 - ٣ - وأسباب ترتبط بعلاقاتنا الخارجية
- وستكون هذه الأقسام موضع دراساتنا فيما يلي :

١ - الجبهة الداخلية

كانت الجبهة الداخلية في العقد الخامس والسادس من هذا القرن تعاني الكثرة من الآلام التي طحنت الشعب طحناً ، وبعض هذه الآلام ارتبط بالفزع الذي كنا نعيش فيه ، وبعضها ارتبط بغياب العدالة ، ووضع القانون في إجازة كما قال قادة ذلك العهد ، وبعضها ارتبط بالدمار الاقتصادي الذي فرضه علينا سوء التصرف في أموالنا مما تَرَ كُنّا في مرارة الحرمان والعوز

وسندرس فيما يلي ماعائقه الجبهة الداخلية من جراح كانت من أهم أسباب ما حاق بنا من هزائم في هذه المعركة المريرة .

الفزع والهلوع

مئات البيوت أو آلاف البيوت المصرية عرفت الفزع والهلوع فترات طويلة من حياتها خلال هذه الحقبة ، لأن عائلها قد قبض عليه ولا يُعرف مصيره ، وآلاف أخرى كان سكانها يبستون في اضطراب وقلق خوفاً من مستقبل يحفّشه الغموض ، وخوفاً من توجس المجهوم ، وإذا سمع هؤلاء دقات على الباب انتفضوا جميعاً خوفاً من زوار الليل

الذين كانوا كالقدر المحموم ينقضون على البيوت فيسلبون الرجال ويلقون بهم في الجحول .

ولقد سمعنا جميعاً خطاب عبد الناصر الذى افتخر فيه بأنه قبض على ثلاثين ألفاً فى نصف ساعة ، وكان هؤلاء يُلقون فى السجون والمعتقلات ويهملون إهمالاً تاماً إلا من التكنيل والتعذيب ، ولقد اختفى بعض هؤلاء ولم يظهر لهم أثر ، وعاد بعضهم بعد أن مسه الضرر ، وبعد أن علموه قبل أن يطلقوه أن يذكر للناس أنه كان فى ضيافة كريمة ورعاية طيبة حتى أطلق سراحه ، وهددوا بالولايات كل من يروى أية صورة من الصور البعيدة عن الإنسانية التى كانت تزدهم بها هذه المعتقلات وتلك السجون ، ولم يعرف الناس ماجرى خلف هذه الأسوار إلا بعد زوال هذا العصر المريع ، وحسبك أن تقرأ ما دونه الأستاذ نجيب محفوظ فى روايته « الكرنك » لترى إلى أى مدى هانت النفوس البشرية بدون أدنى سبب عند هؤلاء الزبانية والشياطين ، وسترى كذلك أن العقاب القاسى والتكنيل البشع كانا ينزلان بالإنسان قبل أن يثبت عليه أى جرم ، وقد يظهر بعد حين أنه برىء ، ولكن الزبانية لا يريدون أن يثبتوا على أنفسهم أنهم ظلموا بريئاً ، فيختمون له الجرائم التى لا أساس لها حتى يبقى يرسف فى الأغلال .

ومن بين الذين ألقى القبض عليهم ، وعانوا التعذيب والتنكيل عدد من الوزراء الذين شغلوا مناصب الوزارة حتى في عهد جمال عهد الناصر نفسه .

ومن الذين ألقى القبض عليهم يمكن أن نذكر الأستاذ عبد اللطيف المردنلى الذى كان عضواً بمجلس النواب واعتقل سنة ١٩٦٥ ، وكانت جريمته أنه اشترك في تشييع جنازة الزعيم مصطفى النحاس ، واستمر المردنلى معتقلاً أكثر من خمس سنوات ولم توجه إليه أية تهمة ، ولم يُدْعَ للتحقيق طوال مدة اعتقاله ، حتى مات في سجن لبنان طره .

ملك التعذيب :

وكان هناك رجل تفنن في أساليب التعذيب واستورد بعض صورها وبعض أجهزتها من الخارج حتى سُمِّيَ « مَلِكُ التعذيب » ذلك هو حمزة بسيوني ، الذى كان يُدْكَرَ فتقشعر الأبدان لذكره ، وكانت له كلاب مدربة يأمرها فتمزق الملابس وتنهش الأجسام .

وقد كُتِبَ الكثير جداً عن قسوة حمزة البسيوني ورجاله ، وسمعا الكثير من ذلك ممن لا يملكون وسائل الكتابة ، وكل ذلك تقشعر منه الأبدان ، ويكفى أن نقرر أن أسرى الصحابة لم يحدث لهم

جزء من ألف مما حدث المصريين الذين وكل تعذيبهم إلى حمزة بسيوني ورجاله ، وقد كان أيسر ما يفعلونه بالناس أن يوقفهم عرايا تماماً ، ثم بأمر الشيطان أعوانه فينتفون شعر الضحايا ويطنثون السجائر على أجسامهم ويداعبون هذه الأجسام بغز الدبابيس ، ويطلقون الكلاب على طامعهم فتلتهمه والبشر جميع ينظرون للكلاب ولا يستطيعون مشاركتها ، أما الأمور الموهلة في الفحش فلا يستطيع القلم أن يسطرها .

ونحن هنا نطالب بكشف الستار عن اشتراكوا في هذا التعذيب ، وبمحاسبتهم عما ارتكبوا من آثام يدمي لها وجه الحق والعدالة والقانون .

ولى مع حمزة بسيوني تجربة قاسية ، فقد استدعاني يوماً إلى لقائه سنة ١٩٦٥ بالاتحاد الاشتراكي ، وكانت المرة الوحيدة التي رأيته فيها ، وأشهد أن منظره كان يبعث الشوف والرعدة ، وهناك ذكر لي أنه وقع على الاختيار لألقى محاضرة على المثقفين المقبوض عليهم ، ولم يكن لي خيار خوف أن أصبح واحداً منهم ، فقلت له : إن هذه المحاضرة من أقسى ما تعرضت له من محاضرات ، فأنت لا تثق بي وستعذُّ على الكلمات عذراً ، والسامعون سيستهزئونني مأجوراً أو هميلاً لكم ، وعلى كل فإني أسأل الله العون ، وفي الوقت المحدد حضرت لي سيارة ركبتها

واخترقت بنا شوارع القاهرة حتى أطراف المدينة ، ثم أسدت ستائر على جوانبها وراحت تشق طريقها وسط الفراغ والسكون الشامل ، وبعد أكثر من ساعتين وقفت في مكان لا أعرفه ، ونزلت منها لأجد هدداً من الميكروفونات تسجل كل كلمة أقولها ، وعدداً من المنضمين في الاختزال يكتبون كل كلمة أو كل حركة ، وجلس أمامي عدد كبير جداً من المثقفين في طوابير منتظمة ، وبدأت محاضرتي ، واتخذت طريقاً لحايتي من الشبهات ، فتكلمت عن الحضارة الإسلامية وما قدمه الإسلام للجنس البشرى من أفضال ووسائل هداية .

وقد كانت هذه المحاضرة وعزم حمزة بسيوني على أن أكرر هذا اللقاء من الأسباب التي دفعتني لقبول الإعادة بجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان حتى لا يتكرر لقاء مع هذا الرجل الذي كان يخيف بمنظره ويخيف بسايطانه .

وفي عهد الحرية الذي أطل علينا مع انتصارات أكتوبر حكمت المحاكم المصرية بتعويضات هائلة على هذا الرجل لصالح بعض الضحايا الذين طالبوا بهذه التعويضات ، واستنكرت المحاكم هذه القسوة الوحشية التي أثبتتها التقارير ضد هذا الرجل وأعوانه ومشجعيه .

تهذيب المفكرين والكتّاب من العنت :

وقد كان نصيب المفكرين والكتّاب من العنت كبيراً ، فقد اتجه قادة هذا العهد إلى إذلال هذه الطبقة لأنها رفضت أن تسير في ركب الباطل ، فاتجه لها جبوت الحاكم بالتنكيل والتعذيب ، فمنهم من فصل من وظيفته وأسلم للبطالة والجوع ، ومن أساتذة الجامعة عدد كبير شمله هذا الفصل الظالم مع أنهم قمم فكرية في مختلف فروع المعرفة ، ومن المفكرين من ألقى القبض عليه وزج به في غياهب السجون ، ومنهم من نزل به الضر مما هوى من تعذيب ، بل منهم من حكم عليه بالإعدام في محكمة الدجوى وأعدم شنقاً كالقتلة وقطاع الطرق ، ولا بد أن يقفز إلى الذهن في هذا المجال المرحوم الأستاذ سيد قطب الذي أغنى المكتبة العربية والإسلامية بثروة هائلة من إنتاجه ومؤلفاته ، وفي قتها « في ظلال القرآن » الذي أخرجه في ثلاثين جزءاً ، جمع فيه خير القديم وأروع الجديد في تفسير الذكر الحكيم .

والعجيب أن الأوامر صدرت بمصادرة كل كتبه وإخراجها من كل المكتبات ، بل صدرت بأن تقطع ورقات من كتب المطالعة المقررة على التلاميذ في المدارس الابتدائية أو الإعدادية ، لأن بها قصائد

من تأليف الأستاذ سيد قطب يتحدث فيها عن فكرة خلقية أو وطنية أو تحمل وصفاً لنيل أو الطبيعة ، وكأن هؤلاء أرادوا أن يزيلوا اسمه من الوجود ، ولكن ذلك كان جهلاً بأقدار العلماء ، لأن العالم الإسلامي اعتبره شهيداً ، وتنافست دور النشر في عدة أقطار في طبع مؤلفاته ، وأصبحت كتبه مبعث نور وهداية في كل بيت بالعالم الإسلامي إلا بيوت مصر التي كان يمكن أن تتعرض للدمار لو وجدت بها هذه المؤلفات .

ولا يمكن أن يمر موضوع شقيق مفكر مسلم ممتاز دون وقفة حادة ، ولهذا فإننا نطالب بإعادة المحاكمة في ظل العدالة والنور لنرى إدانته أو براءته أو لنحمل قاتليه مسئولية هذا الجرم إذا ثبت براءته للناس .

إن سيد قطب قوة فكرية ، وإن الخسارة فيه كبيرة ، وقد ترك لنا الكنز من نتاج عقله وجهده ، ولكنه غاب قبل أن يُفزع كل ما عبده ، فمن المسئول عن هذه الخسارة ؟

والجيب أن شخصيات عالمية وهيئات كبيرة تقدمت بالرجاء أن يُحقن دمه ، واسكن روح الغل عجلت بتنفيذ الإعدام . يا لله ۱۱۱

محكمة الدجوى ومزيد من المعلومات عنها

- * مُشككت هذه المحكمة بقرار مزور .
- * وحكمت بالإعدام على بعض الناس ، وبالسجن على آخرين .
- * رفاق عبد الناصر يشهدون بتزويره ، وبأنه فرعون عصره .

تطالعنا الأيام من حين إلى آخر بالمزيد عن عبد الناصر ، وتلقى عليه أضواء فاحصة تبينه على حقيقته وتزيل الأوهام التي أحاطت به بدون حق .

والشهادة التي نقدمها اليوم صادرة من أقرب الناس إليه وأعرفهم بحياته وحاشته ؛ من عبد اللطيف البغدادي وكال الدين حسين ، وهي شهادة تؤيد ما ذكرناه في الطبعة الأولى من هذا الكتاب من أن الرجل استأثر بالسلطة ، وأنه وحده المسئول عما ارتكب من أخطاء أو أراق من دماء .

والموضوع الذي نعرضه اليوم تمّ في غرفة المشورة المنعقدة بمحكمة جنوب القاهرة يوم ٢٦ / ٦ / ٧٥ ونشرته صحافة القاهرة في اليوم التالي ، وخلاصة هذا الموضوع تتضح من النقاط التالية :

١ - بعد الانفصال الذي تم بين مصر وسوريا صدر إعلان دستوري في ٢٧ / ٩ / ٦٢ وبمقتضاه شكل مجلس رئاسة ليأخذ الحكم طابع الجماعة بعد فشل القيادة الفردية التي استنكرها كمال الدين حسين في أقواله بالحكمة ونسب لها ما وقعنا فيه من أخطاء ، وجاء في قرار تشكيل مجلس الرئاسة أن يتولى السلطة التشريعية ، ويراقب السلطة التنفيذية ، وأن يعهد له بالحكم بوجه عام .

وكان مجلس الرئاسة برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية كل من : كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادي ، والمشير عبد الحكيم عامر وحسين الشاذلي ، وأنور السادات ، وعلى صبري ، وحسن إبراهيم ، ونور الدين طراف ، وأحمد عبده الشرباصي ، وكمال الدين رفعت ، ولا بد أن تعرض القوانين قبل صدورها على هذا المجلس ، ولا تصدر إلا بموافقة .

٢ - أصدر جمال عبد الناصر القرار بقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ بشأن تدابير أمن الدولة العليا ، ويخوّل هذا القرار لقانون رئيس الجمهورية - بدون إبداء الأسباب - أن يقبض على المواطنين وأن يحتجزهم ، وأن يفرض الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم . . . ، كما يخوّل هذا

القرار بقانون لرئيس الجمهورية الحق في أن يأمر بتشكيل محاكم استثنائية من العنصر العسكري الخالص لمحاكمة المواطنين مما هو منسوب إليهم من إجراءات ، وجاء في مقدمة هذا القرار بقانون أنه صدر بموافقة مجلس الرياسة ، وقد قرر الشاهدان أن هذا القرار بقانون لم يعرض على مجلس الرياسة ، وأن هذا القول تزوير للواقع والتاريخ ، وقرر ذلك أيضا نور الدين طراف .

٣ - أصدر جمال عبد الناصر قراراً رقم ١ لسنة ١٩٦٥ بتشكيل محكمة عسكرية خاصة لمحاكمة الإخوان المسلمين ، وذكر في قرار تشكيلها أنها شُكلت بقاء على القرار بقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ . ولما كان هذا القرار بقانون غير سليم من الناحية الدستورية لأنه لم يصدر عن مجلس الرياسة ، فإن القرار بتشكيل محكمة عسكرية يُصبح غير دستوري كذلك . وبالتالي تُصبح الأحكام الصادرة من هذه المحكمة غير دستورية ، وليت شعري ماذا يُجدي هذا القول بعد أن حكمت هذه المحكمة بإعدام بعض الناس ونفذ حكم الإعدام فيهم ، وبعد أن سجن آخرون وصودرت أموالهم .

وهذه المعلومات التي أوردناها مستقاة من شهادة عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين ونور الدين طراف ، ولا بد أن نقف على بعض

العبارات مما دار حول هذا الموضوع لئرى كيف كان عبد الناصر يستهين بأرواح الناس وحقوقهم :

تقول صحيفة الجمهورية في ٣٠/٦/٧٥ :

إن القرار بقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ بشأن تدابير أمن الدولة الذى استند إليه جمال عبد الناصر فى تشكيل المحكمة العسكرية لم يسبق إصداره موافقة عليه من مجلس الرئاسة ، عملاً بما كان يوجبه الإعلان الدستورى الصادر فى ٢٧/٩/٦٢ ، ومن ثمّ فهو قانون معدوم من الوجهة الدستورية ، فضلاً عن أنه مزور ، إذ أثبت عبد الناصر فى ديباجته أنه قد صدر بناء على موافقة مجلس الرئاسة ، خلافاً للحقيقة .

ويقول عبد اللطيف البغدادى :

— إنه كان عضواً بهذا المجلس منذ إنشائه حتى ٢٦ مارس ١٩٦٤ وهذا القرار بقانون صدر يوم ٢٤ مارس ١٩٦٤ وهو لم يُعرض على مجلس الرئاسة خلال وجودى به .

— مجلس الرئاسة باشر أعماله فى الشهور الثلاثة الأولى سنة ٦٢ ، ثم بدأ عبد الناصر يعمل على تجميد نشاط المجلس ، بعدم دعوته للاعقاد ، أو أن تعرض عليه مسائل فرعية وبالتمرير ، ولم يتم تنفيذ تكوين الجهاز الفنى الخاص به ، وكان من أسباب ذلك أن اعتزلت الحياة السياسية ، وقد

صدرت عدة قرارات وأعلنت في الصحف دون عرضها على المجلس .
— عندما كان المجلس يباشر اختصاصاته في فترة للمشهور الثلاثة
الأولى أحسَّ جمال عبد الناصر بفقدته لقوته ، فألقى انعقاد المجلس ،
ورصل الوضع به إلى أكثر مما وصل إليه فرعون في زمانه أو الورد
كرومر في عصره .

ويقول كمال الدين حسين :

— خلال الوحدة مع سوريا وبعد انفصام الوحدة انشردت
القرارات الفردية التي سببت كثيرا من السكوارث ، فتمّ الاتفاق
على تعيين مجلس رياسة اىكون وسيلة للقيادة الجماعية التي تحمل محل
القيادة الفردية ، ولم يُعرض القرار رقم ١١٩ سنة ١٩٦٤ على مجلس
الرياسة طيلة وجودى به وكانت تُقطع يدى لودعت عليه ، لأنى أعلم
الآثار التي تترتب عليه من إطلاق السلطة .

— إن فرعون نفسه وفي عصره لم يكن يتمتع بمثل السلطة التي
ذكرها هذا القانون .

— أرسلت خطاباً إلى عبد الناصر قلت له فيه « اتق الله » فكان
جزائى أن اعتُقلت مدة ثلاثة أشهر .

— في الفترة الأولى عندما كان مجلس الرئاسة يباشر مسؤولياته حدثت مشادات كثيرة بشأن الحريات والأوضاع الاقتصادية ولكن جمال عبد الناصر بصفته رئيس المجلس كان يفضي الاجتماع ، وينصرف ، ولا يعأ بشيء .

— وعندما سئل كمال الدين حسين باحتمال عرض هذا القرار على مجلس الرئاسة بعد استقالته ، روى أنه كان حديثاً في زيارة حسين الشافعي الذي ظل في عمله بمجلس الرئاسة حتى انتهت مدته ، وسأله عن عرض هذا القرار بقانون على مجلس الرئاسة ، فقال حسين الشافعي إنه لم يعلم بالقرار ، ولم يسبق عرضه عليه ، كما أنه لم يوافق على إصداره .

وسئل نور الدين طراف عما إذا كان هذا القرار بقانون قد عُرض على المجلس ، فأجاب بأنه يرجح أنه لم يعرض لأن مثل هذا القانون كان سيثير نقاشاً لخطورة ما يتضمنه من قواعد كانت ستعلق قطعاً بهذا كرتي ، وكوني لا أذكر شيئاً عن هذا القانون يجعلني أرجح أنه لم يعرض .

وسئل نور الدين طراف : ألم يصدر تفويض لجمال عبد الناصر ببعض اختصاصات المجلس ، فأجاب بالنفي .

وسئل عما إذا كان جمال عبد الناصر عرض على المجلس استعفاة كمال الدين حسين والبغدادي ، فأجاب بالنفي كذلك ، وذكر أن المجلس هو صاحب الاختصاص في قبول الاستعالات أو عدم قبولها .

وبعد ، لقد اتضح أن هذا القانون الذي أصدره عبد الناصر غير دستوري ، وأنه تزوير ، وقد ترتب عليه إزهاق الأرواح وتشريد المواطنين ومصادرة الأموال ، ولا شك أن هذه الأرواح ستمسك بتلابيب الظالمين ، ومن حق كل مظلوم أن يطالب بالتعويض اللازم ، ولكن يتحتم أن تؤخذ التعويضات من مال المسئول عن هذا التزوير وذلك الخيف حتى ينفد ذلك المال . . . (١) .

إن السكوت عن فرعون قد يبعث فراعين آخرين ، فيجب أن يحس كل واحد أنه مسئول إن لم يكن اليوم فقدأ ، وبذلك فقط نحى حاضرنا ومستقبلنا .

(١) كان من توافقي الحواطر أن اتهم المظلومون هذا الاتجاه ، فقد نشرت أخبار اليوم الصادرة في ١٩٧٥/٧/٥ الجهر التالي :
رفع محمد شمس الدين الشناوى الجساعى دعوى تعويض ضد ورثة المسئولين السابقين عن حكم مصر . طلب تعويضاً قدره مليون جنيه مقابل الأضرار المادية والأدبية التي أصابته هو وأسرته نتيجة لاعتقاله وتعذيبه لمدة ٥ سنوات بدون سبب قانونى .

عود الحديث عن الاضطهاد والسجون :

والعجب في قضية الاضطهاد والسجون أنها شملت جماعات مختلفة
المشارب ، فالإخوان المسلمون عانوا منها ، كما عانى منها الشيوعيون ،
كأن الفزع كان هدفاً لذاته ، ولذا يحرص عليها أحكام عهد الميزان .
والعجب كذلك أن ولي الأمر كان يفصل الناس من وظائفهم
ثم ينسأهم في البطالة والجوع ، ويأق بهم في الواحات والسجون
ثم ينسأهم في الظلام والآلام ، فلم يكن ما ينزل بهم تأديباً إن كان
هناك ما يدعو للتأديب ، وإنما كان نشفياً وممتعة ونعياً .
والعجب أيضاً أن الكثيرين من الذين فصلوا من وظائفهم تم
فصلهم بأوامر تليفونية دون أن توجد في ملفاتهم قرارات بفصلهم ،
ولا أسباب هذا الفصل ، ويقول الأستاذ جلال الدين الحمامصي في مقاله
بجريدة الأخبار الصادرة في ٣/١٢/٧٤ « إن هذا ، كانت الطريقة المبتكرة
في قطع أرزاق الناس ، كأن الدولة بمن فيها من بشر كانت ملكاً لقلعة ،
أو بمعنى آخر كانت إقطاعاً لهم في وقت قيل لذا فيه إن عهد الإقطاع
قد انتهى ، وهكذا كانت عمليات الفصل خاضعة للزواج الشخصي أو
عدم الرضا السامى ، كأن مصر أصبحت « عزبة » لهؤلاء ، وأصحاب
العزبة يتصرفون فيها بما يشاءون » .

وليس مع لي القاريء بكلمة هنا ، فأنا واحد من فصلوا سنة ١٩٥٤ بدون سبب أو بسبب حيي لبلادى واهتمامى بمقوقها^(١)، وهانيت البطالة والجوع ، وعشت ردحا من الزمن أرتعد كلما سمعت دقات بباذا طيلة الليل والنهار ، ولم تعد لى حقوقى إلا سنة ١٩٧٥ أى أنى أمضيت عمرى الوظيفى كله أو أكثره وأنا أحس بالظلم والتخلف عن أقرانى . هل يكفى أن تسوى حالتى وحالة زملائى بعد هذا المدى الطويل ؟
ربما تسألنى : ماذا تريد ؟ وأقول : أريد توجيه اللوم لمن ظلمنا ،
واسكل حاكم خان الأمانة التى كان يجب أن يرهاها .

الأبرياء فى مستشفى الأمراض العقلية :

ووصلت القسوة والوحشية مداها حين اتجهت القلوب الجاحدة إلى اتخاذ مستشفى الأمراض العقلية مكاناً يلقى فيه الأبرياء عندما يحتجون على شىء أو يعترضون على تصرف ، وعندما أثارت بحجة آخر ساحة هذا الموضوع فى مطلع عام ١٩٧٤ ، اتجهت العدالة إلى هذا المستشفى وأخرجت منه مجموعة من الأبرياء بعد أن مسهم الضيم الشديد وبعد أن عدوا مجازين عدة سنوات ، وقد تألفت لجنة من أعضاء مجلس الشعب لبحث هذه المسألة ، وتقول صحيفة الأخبار الصادرة فى ١٨ أبريل سنة ١٩٧٤ إن موسيقياً بهيئة السينما والمسرح تقدم عام ١٩٦٦ بشكوى

(١) انظر لفا - يل ذلك فى كتابى « رحلة حياة » .

يطالب تثبيت زملائه العاملين بمقود مؤقته ففصلته الهيئة ، وعندما تظلم أدخلته سرا كز القوى مستشفى الأمراض العقلية حيث أمضى ٥ سنوات .

قصة الشيخ عاشور :

والعجيب أن سياسة القمع والتعذيب عاشت بعد النكسة كما عاشت قبلها ، ومن أهم نماذجها بعد النكسة قصة الشيخ عاشور الذي بلغت شهرته الآفاق ، وكان هذا الشيخ عضواً في المؤتمر القومي سنة ١٩٦٨ ، وأرادت سرا كز القوى أن تجعل من هذا المؤتمر متنفساً ظاهرياً ، وأعلنت أن النقاش يدور على الهواء مباشرة ، فوقف الشيخ عاشور وكانت سرا كز القوى قد لفتته ما يقوله ، ولكنه تورد على النص ، وصاح في المجتمعين الذين كان يرأسهم جمال عبد الناصر حسين قائلاً : إن جماعة يأتون إلينا ليتحدثوا عن الاشتراكية ، ويطلبون منا أن نربط الأحزمة على البطون لبنى أمتنا ، ولكنهم يركبون سيارات فارغة ، طول كل منها ستة أمتار أو أكثر ، ويحملون أصحابهم بخواتم السوايتير والأحجار الكريمة .

وكانت هذه الجملة مثار غضب عليه ، فسرعان ما التقطته سرا كز القوى وأودعته وهو صائم زلزلة ضيقة قدرة رطبة عدة أيام ، ويقول الشيخ في حديثه الذي نشرته له مجلة آخر ساعة في أكتوبر ١٩٧٤ إنه

لم يقدّم له أى طعام ولا أى شراب طيلة بقائه فى الزنزانة التى استمرت عدة أيام ، والسكن الشيخ كان حسن الحظ لأن برقيات عدة وردت من داخل الجمهورية وخارجها تسأل عن مصيره بعد أن اختفى ، فاضطرت سراكن القوى إلى إطلاق سراحه ، ويقول الشيخ عاشور فى حديثه المشـار إليه إنه استُدعىَ لمقابلة شخصية كبيرة قالت له : ستخرج الآن ، وحذار أن يعرف أحد ما حصل لك ، ولا زوجتك ، قل إنك كنت فى زيارة لبعض أقاربك ، وأضافت هذه الشخصية قائلة للشيخ : ما كدك تبعاً لمعلوماتك ، أنت تقول إن الله يعلم الغيب ، فلتعرف أنى أيضاً أعلم الغيب ، وسأعرف كل همسة تهمس بها ، وتأكد أنك إن عدت إل هنا فإن ترى النور بعد ذلك .

وينبغى - ونحن نتحدث عن الفزع - ألا ننسى أجهزة التسجيل التى قيل إنها كانت فى كل مكان حتى فى حجرات النوم ، تهصى على الناس همساتهم وخفقات قلوبهم ، ولتهدف لقوى الحق التى عثرت على هذه الأشرطة ودمرتها قبل أن تدمر البلاد والعباد .

غيبية المـدالة

عندما زُكّت الأنوف بالنسر والظلم والديكتاتورية كان هناك شخص يمكن أن يلقب « أبو القانون » فى العصر الحديث ، ذلك هو

الأستاذ الدكتور عبد الرازق السنهوري الذى شغل أعظم الوظائف فى الدولة فى عهود متعددة ؛ كان أستاذاً بكلية الحقوق وعيداً لها ، وكان وزيراً للتربية والتعليم ، وكان رئيساً لمجلس الدولة ، وهو قبل ذلك كله وبعد ذلك كله مؤلف الموسوعات القانونية التى تتلمذت عليها عدة أجيال فى مصر وخارج مصر .

ومن الطبيعى أن رجلاً كهذا تهزم المظالم وتؤذيه غيبة القانون وتؤرقه الديكتاتورية ، فيعلن فقط عن أمنيته أن يسود القانون ، ولكن هذه الأمنية البريئة تهدد الظالم ، فتصدر الأوامر بالنيل من هذا الرجل العظيم بدون اكتراث بسننه ، أو مركزه ، أو جلالة قدره ، ويجرى الاعتداء عليه فى مكتبه بمجلس الدولة ، إذ هاجمه أنصار البطش وضربوه وصنفوه وركلوه حتى تركوه بين الحياة والموت ثم صرّد من منصبه وحرّم عليه أى عمل بالبلاد .

هل يبرئ ذلك أيضاً بدون حساب ؟

مأداة كمشيئتى كنموذج من الظلم :

فى الحديث عن غيبة القانون تقفز إلى الذهن قضايا كثيرة مثل قضايا الإخوان المسلمين ، وقضايا قرية كرداسة التى عاشت كلها فترة حاسكة عانى فيها الشيب والشبان والرجال والنساء أسوأ ما يعانى البشر

وسنقص تفاصيل بعض هذه القضايا في كتابنا التالي « ثورة ٢٣ يوليو بين عهدين » ونعصر حديثنا هنا على قضية كمشيش .
فهذه القضية ترينا كيف كانت الأمور تسير في بلادنا ، فهناك مشاجرة حدثت بالمنوفية قُتلَ فيها رجل اسمه صلاح حسين ، وكان شقيقُ القتل زميلاً وصديقاً لحسين عبد الناصر (وحسين عبد الناصر هذا هو شقيق جمال عبد الناصر ، وزوج بنت المشير عبد الحكيم عامر) واستعمل حسين عبد الناصر نفوذه لدى أخيه الرئيس وصهره المشير للانتقام لصديقه ، وصوّر المشاجرة العادية في صورة حركة من أسرة الفقى ضد القانون وضد الدولة ، ولقّت الأحداث ضد أسرة كبيرة بالمنوفية هي أسرة « الفقى » وعانت الأسرة رجالاً ونساء وأطفالاً أشق ما يعانونه بشر ، ولما قالت العدالة رأياً وحكمت بالبراءة نزل الضرر برجال القضاء ، وكان ما يسمى بمذبحة القضاء ، فالعهد الأسود السابق لم يكن يعرف من القضاء إلا الحكم بما يشاء لا بما يشاء القانون ، فلما قال قضاتنا كلمة الحق لقوا أقصى العنت من ولى الأمر ، وانرفع القلم لنورد سلسلة من الوثائق في هذا الموضوع :
رأى محافظ المنوفية في مأساة كمشيش :

نشر إبراهيم بغدادى الذى كان محافظاً للمنوفية إبان هذه المأساة في صحيفة أخبار اليوم الصادرة في ١٦ / ١١ / ٧٤ بياناً مهماً هذا نصه :

تالياً على ما نشر بجريدة أخبار اليوم عن قضية كمشيش ، أود أن أوضح للتاريخ بعض الوقائع المتعلقة بهذه القضية ، التي هاصرت أحداثها خلال حلى كحافظ المنوفية من نوفمبر ١٩٦٥ إلى أغسطس سنة ١٩٦٧ :

١ - قضية مقتل صلاح حسين فى كمشيش كانت أصلاً مشاجرة عادية يحدث مثلها كل يوم فى مصر وانتهت بمقتله ، وليس لها أى خلفيّة سياسية ، وكل ما قيل غير ذلك مخالف للحقيقة ، وقد اتخذتها السلطات ذريعة ومبرراً لما استتبعها من إجراءات بدعوى تصفية الإقطاع .

٢ - تدخل المباحث الجنائية العسكرية فى التحقيق كان بناء على تعليمات من المرحوم المشير عبد الحكيم عامر ، الذى كان زوج ابنه الطيار حسين عبد الناصر شقيق الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، زميلاً لشقيق القنيل فى القوات الجوية وتربطه به صداقة قوية .

٣ - المباحث الجنائية العسكرية كانت تتولى توجيه التحقيق ، حتى أن الطبيب الشرعى أثبت فى تقريره - على غير الحقيقة - أن العُلّات التى قُدمت له من ضباط المباحث الجنائية العسكرية هى نفس عيار المسدس الذى أطلق منه النار على القنيل .

وكان أفراد المباحث الجنائية العسكرية ومعاونوهم يتولون جمع الأدلة ، والقبض على بعض الناس ، والتنكيل بهم فى شوارع القرية ، حتى قبل أن يوجه إليهم الاتهام .

٤ - أسهمت أجهزة الإعلام ومختلف وسائل الاتصال في الحملة التي وُجّهت ضد أعداد كثيرة من المواطنين الأبرياء الذين حكم القضاء العادي ببراءتهم بعد أن أهينت كرامتهم ، واغتصب أموالهم وأعراضهم ، وشوهت سمعتهم على صفحات الجرائد .

٥ - تحت ستار تصفية الإقطاع نهبت منازل ، واخفقت أموال ، وسلبت الحلى ، وكانت السلطة العليا هي المباحث الجنائية العسكرية التي كانت تتولى عمليات القبض والتفتيش .

٦ - قُتْ بإثارة هذه الموضوعات وغيرها في اجتماع برئاسة المرحوم المشير عبد الحكيم عامر عام ١٩٦٦ حضره أعضاء اللجنة العليا لتصفية الإقطاع ، والمحافظون ، وأمناء الاتحاد الاشتراكي ، ورفض المشير أن تثار مثل هذه الموضوعات في اجتماع عام ، وطلب مني أن أشرحها له في مقابلة خاصة خارج الاجتماع ، ولم تتم هذه المقابلة .

٧ - كتبت تقريراً عن حقيقة ما حدث ورفعته للمرحوم الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً ولم يفتنع بما جاء فيه ، مما أثبتته بعد ذلك القضاء المصري النزيه ، وكان تعليقه وقتها : يظهر إنك مش حارف إلی بييجرى في محافظتك .

٨ - صنفت الدولة المواطنين الذين يجوز اعتبارهم لإقطاعيين إلى فئات منها الإقطاع الزراعي ، والإقطاع الإجرائي ، وإقطاع النفوذ ، وتدخلت الحزاقات الشخصية في وضع مواطنين تحت الحراسة وهم لا يملكون شيئاً وتركوا مواطنين كانوا يستغلون آلاف الأفندية لصالحهم ببعض ذوى النفوذ .

٩ - استغلت جهات أجنبية حادث كمشيش وعرفت سياراتُ السلك السيامي طريقها إلى القرية ، ولم يقتنع المسؤولون بتحذيري لهم من هواقب ذلك .

١٠ - تطورت الأحداث كما كنت أتوقع حتى احتلت بعض العناصر نقطة البوايس في القرية ، وأخذوا أفراداً رهائن ، وضاعت هيبة الحكومة ، وبعد اتصالات على أعلى المستويات ومع الرئيس عبد الناصر شخصياً ، حضر وزير الداخلية ومعه ثلاثة آلاف من قوات الأمن المركزي بسياراتهم المصفحة لتحرير نقطة الشرطة واعتقال منبيري الشعب .

١١ - نتيجةً لتصرفات المباحث الجنائية العسكرية وإهانتهم للمواطنين ورجال الدين ، شكوا المرحوم الإمام حسن مأمون

شيخ الجامع الأزهر للرئيس من إهدار كرامة الدين ممثلاً في أحد رجال
الأزهر - الذى لا يربطه بالإقطاع صلة - مما أدى إلى تشكيل مجلس
عسكرى عال برئاسة الفريق أول عبد الحمن مرتضى همد فى مكتب
محافظ المنوفية بعد منتصف الليل، وحكم بإدانة ثلاثة من أفراد المباحث
الجنائية العسكرية فى عملية الإرهاب والبطش التى قاموا بها ضد
مواطنين أبرياء .

١٢ - حضرتُ مع آخرين - فى مكتب السيد / محمد أبو نصير
وكان وقتها وزيراً للعدل - مناقشة حول إبعاد أحد المحامين العاملين
عن التحقيق فى قضية معينة، وكان تفسير الوزير لإبعاده أن هذا المحامى
قانونى (ودغرى) أكثر من اللازم، والمطلوب فى بعض القضايا السياسية
شئ من المرونة ، وكان هذا المحامى العام من بين ضحايا مذبحه القضاة .

١٣ - أثبت القضاء العادل - بتهمة المتهمين فى قضية كشيش
رغم كل الضغوط - صحة هذه الوقائع وصدق الرئيس محمد أنور السادات
على رفع الحراسات بصورة عامة - بعد ثورة التصحيح - وأمر بإعادة
الحقوق لأصحابها وإعادة رجال القضاء إلى مناصبهم .

إبراهيم بغدادى

حقيقتات الحكم بالبراءة بعد الدلائل :

ونشر فيما يلي وثيقة خطيرة. هي حيثيات الحكم بالبراءة في قضية كشمش ، وقد نشرت هذه الحقيقتات في ١١ / ٩ / ١٩٧٤ وتوضح هذه الحقيقتات أن الزبانية من رجال التنظيم السري والمباحث ارتكبوا أقسى الاجراءات ضد المتهمين لينتزعوا منهم اعترافات عن أحداث لم تقع منهم، ولعل ذلك كان تنفيذاً للتدخل الذي أشار له الأستاذ إبراهيم بغدادى فى الوثيقة السابقة من أن حسين عهد الناصر شقيق الرئيس وصهر المشير كان له هوّى فى هذا الموضوع ، وفيما يلي هذه الوثيقة :

إن جميع المتهمين وجميع الشهود ، قد لحقهم من التعذيب مالا يطقه أحد من البشر ، بعضه تعذيب مادى جسمانى ، وبعضه تعذيب نفسى أشد إبلاماً من التعذيب الجسمانى ، وقد أجمعوا على أن ضباط المباحث الجنائية العسكرية وجنودها هم الذين ألحقوا بهم تلك الوسائل من التعذيب ، وأن التعذيب وصل ببعضهم فعلا إلى الموت ، ولقد قرروا جميعاً أنهم اعترفوا بهذه الأفعال التى انتزعت منهم خوفاً وإجباراً لا طوعاً واختياراً تحت تأثير هذا التعذيب . بل إنهم بعد نقلهم إلى السجن الحربى وفى أثناء تولّى نيابة أمن الدولة العليا التحقيق

معهم .. كان التعذيب مستمراً ومتوالياً .. لأنهم كانوا فى السجن الحرنى بين أيدي ضباط المباحث الجنائية العسكرية وضباط السجن الحرنى .

ومن صنوف التعذيب النفسى ماقرره محمود عيسى أنهم أحضروا زوجته وبناته وأمسروا زوجته بخلع ملابسها وسرواها وهددوه بهتك عرضها . ثم أحرقوا شاربه وأوسعوه ضرباً بالكرابيج ، فاضطر إلى الاعتراف على نفسه وعلى عائلة الفقى بأنهم حرضوه على القتل .

ومن صنوف التعذيب ماقرره صلاح الفقى أنهم أوسعوه ضرباً بالكرابيج والأحذية وكانوا يسمعون للكلاب المتوحشة أن تنام معه فى الزنازة رقم ٨ بالسجن الحرنى ، وكان الكلب يسبقه إلى الأكل والشرب ، ووصل التعذيب به وبأهله إلى أنهم كانوا يشربون بولهم . ولقد ثبت التعذيب من تقارير الطبيب الشرعى الذى كشف على كافة المتهمين والشهود .

فبالنسبة لمحمود عيسى قد خامت بعض أسنانه كى يعترف ، وبه ٢٣ إصابة من ضرب الكرابيج ، وتخلفت لديه عاهة مستديمة بيديه وبأذنه . وثبت من الكشف الطبى على عبد الوهاب الهادى من الطبيب الشرعى أنه عُلق بالفلقة ، ووجدت به ١٤ إصابة من الكرابيج .

وأن صلاح الفقى أضحى مريضاً هزىلاً من التعذيب حيث كان
ينام معه الكلب المتوحش فى زنزانته ، وكشف عليه الطبيب الشرعى
قوجد خلعاً فى سِنتين من فمه ، وكذلك به ٢٠ إصابة من ضرب
الكرابيج !!

والمتهم بسيوى الفقى أثبت الكشف عليه الضرب بالكرابيج
ونزع بعض أظافره . . ومثله المتهم محمد عرفه عمارة .

وقد أثبت كشف الطبيب الشرعى على السيد عبد الله رمضان
الفقى وجود كسر بالأسنان ، وخلع ضرسين ، وكسر بالثاب العلوى
والضرس العلوى ، وكذلك ٣٥ إصابة على الساقين والفتحين والركبتين
والمعدة جميعها من الكرابيج والضرب . . وكذلك الحال بالنسبة
للسيد فراج . . وهاتم مكاولى الذى فقد أسنانه وضروسه جميعها
وضرب بالكرابيج .

وكذلك الحال بالنسبة لعبد القادر حافظ الوكيل ومحمد عبد الرزاق
العربى اللذين وجد بهما نزع بالأظافر . . وإصابات عديدة من الضرب
بالكرابيج وكذلك الحال بالنسبة لأحمد عبد الرحمن رزق . وأما
السيد إبراهيم صالح فقد ثبت وجود ورم بخصيتيه وخمس إصابات من

الضرب بالسكراييج . . وأما محمود غازى فقد ثبت ضربه بالسكراييج
ووجود كسر بيديه .

وقبل أن نثبت الفقرة التالية من فقرات هذه الوثيقة نهتف بضرورة
معاينة من ارتكبوا هذه الأعمال الوحشية ومن تسببوا فيها . أما
الفقرة التالية من الوثيقة فتقول :

وحيث أن جميع المتهمين وجميع الشهود قد عدلوا - فى التحقيقات
التي أجرتها المحكمة - عن أقوالهم الأولى التي أبدوها أمام المباحث
الجفائية العسكرية ونيابة أمن الدولة والتي تتضمن اعترافاً بارتكاب تلك
الحوادث بتعريض عائلة الفتى ، ونسبوا هذه الاعترافات إلى صنوف
التعذيب سافرة الذكر ، فهي التي دفعتهم إلى أن يعترفوا طلباً للنجاة
من الموت والتعذيب .. ذلك التعذيب الذي أودى بحياة آخرين غيرهم .
وليس أدل على كذب الاعترافات وعدم صدقها من أن المحكمة
أمرت بضم ملف اعتقال المتهم عهد الجليل شحات العربى الذى نُسبَ
له مقابلة صلاح الفتى فى منزله ، وأن صلاح الفتى سلمه سلاحاً ليتركب به
حادث القتل ، ثم اتضح أنه يوم الحادث كان معتقلاً وفى صميم المعتقل ،
وكان من المستحيل أن يرتكب القتل .

وحيث أن الدفاع عن المتهمين جميعاً ممثلاً فى السيد الأستاذ

عبد العزيز الشوربجي نقيب المحامين السابق وانضم معه كل من السادة :
هلى منصور والطاهر حسن ومحمد مسعود وآخرون .. قد طلبوا من المحكمة
هذه مطالب أساسية هي :

١ - الحكم بإبطال إجراءات المباحث الجنائية العسكرية وتمحيقاتها
لأن كل تصرفاتها تصرفات باطلة .

٢ - طالب المحكم ببراءة المتهمين استناداً إلى ما ثبت من تحقق
التعذيب الذى وقع عليهم .

٣ - مهاكمة من أجروا هذا التعذيب من ضباط المباحث العسكرية
وسؤال وكلاء النيابة أمن الدولة عن معلوماتهم عن هذا التعذيب .

وحيث أنه ثبت لدى هذه المحكمة أن ما لحق المتهمين والشهود
من التعذيب مع استثناء المتهم الأول كنفيل بأن يؤكد عدم الأخذ بأى
أقوال صدرت منهم . ولقد أكد ذلك واقعة ضم ملف اعتقال المتهم
عبد الجليل شععات العربى والذى شمله الاعتراف بارتكاب حادث
قتل وقع فى ٤ / ١٢ / ٦٢ بينما ظهر أن هذا المتهم كان فى المعتقل من
تاريخ ٢٨ / ١١ / ١٩٦١ حتى ٢٢ / ٣ / ١٩٦٣ .

ومن ثم فإن كافة الأقوال التي أبديت قد جاءت نتيجة إكراه أقدم إرادتهم تماماً ، فسُـرَّت أفعالهم لتروى قصة ملفقة لإرضاء للقائمين على التعذيب . . الذين ظنوا خاطئين أن الأدلة يمكن أن تأتي عن هذا الطريق فضلوا وضل معهم محققو نيابة أمن الدولة العليا ، فتاهوا في متاهات اعترافات خيالية ، وظهرت محاولة اصطناع الدليل الذي كشفته تحقيقات المحكمة والأوراق الرسمية التي أسرت بضمها .

- يضاف لما تقدم ما ثبت في القضايا المضمومة أن السلاح المستعمل والموصوف على لسان المتهمين والشهود لا ينطبق على الطلقات المستخرجة من الجثث ، ومن أن تقارير الأطباء الشرعيين في القضايا المضمومة تؤكد أن اتجاه الأعيرة يخالف ما قرره المتهمون والشهود » .

وليست قضية كشيش قضية وحيدة في مجال الضغط والحصول على اعترافات غير صحيحة تحت وابل من التعذيب ، فقد نشر النائب العام الأستاذ محمد عبد السلام في الثاني من نوفمبر سنة ١٩٧٤ بياناً أورد فيه أرقاماً لاعتراقات القضايا التي أثبت التحقيق أن صوراً شنيعة من التعذيب استعملت مع المتهمين المظلومين ليعترفوا بما لم يحصل منهم ، وكان من هذه الصور الضرب بالأيدي والسياط والتجويب والتعاطف في الفلاة

وإطلاق الكلاب عليهم ونزع أطراف أيديهم ورميهم في زرائب
مغمورة بالمياه .

ومئات من الناس ماتوا تحت هذا العذاب واختفى أسرهم ، بل
قيل عنهم أنهم هربوا من السجون ، وهناك قلة ممن ماتوا تحت العذاب
دات الأحداث على حقيقة أسرهم ومنهم زوج السيدة التي يحكى
الأستاذ جلال الدين الجامعى قصتها فى ٨ / ١٢ / ١٩٧٤ وهك جزءاً
من كلمته :

« حكمت محكمة جنوب القاهرة الابتدائية بإلزام وزير الداخلية
بصنفته بأن يدفع لأرملة مصرية ١٢ ألف جنيه تعويضاً عن قتل زوجها
نتيجة لضربه فى سجن أبو زعبل وذلك خلال اعتقاله على ذمة إحدى
القضايا السياسية . وكان ذلك فى ١٥ يونيو سنة ١٩٦٠ .

« ولم تذكر الصحف - على مدى أكثر من ١٤ عاماً - شيئاً
عن تفاصيل هذا الحادث ، لأن أحداً لم يكن يستطيع أن يتكلم ، ولم
تسكن أرملة القتل بقادرة على أن تذهب إلى المحكمة وتطلب من
القاضى إنصافها ، ومعاينة الذين ارتكبوا الحادث أو الذين أباحوا للزبانية
ارتكاب أبشع أنواع التعذيب ، وذلك لأن القانون كان فى إجازة إجبارية ،

وكان صعباً أو محالاً الوصول إلى ساحة القضاء طلباً للقصاص والإنصاف .
حزب محز القضاء :

ولم يقبل عهد المظالم هذا الموقف من القضاء ، لقد كان هذا العهد يريد أن يتبع القضاء المصرى هوى المنحرفين من ذوى النفوذ ، ولكن القضاء المصرى كان دائماً درهماً أمام الباطل ، وسلاحاً فى يد الحق ، فلما أصدر القضاء أحكاماً تتنافى مع هوى الحاكم ، تعرض القضاء إلى عنة عاتية ، فقد صدرت القرارات بفصل جميع رجال القضاء وإعادة من لم يشترك فى إغصاب السادة منهم ، وكانت هذه مأساة تعد الأولى من نوعها ، فهى من مبتكرات هذا العهد ، وظل رجال القضاء بعيدين عن وظائفهم حتى أعادتهم ثورة التصحيح المباركة ، وأزالت الظلم عن المظلومين .
ومرة أخرى نذكر أن هناك من يلوم توفيق الحكيم أو يلومنا حين نكتب الآن عن عبد الناصر ، ويقولون : لماذا لم تسكتوا عنه وهو حى ؟ ولعل ما أوردناه آنفاً يحمل الإجابة عن هذا التساؤل ، فعبد الناصر لم يكن يحتل أية صورة من صور النقد ، وكان موقفه من أى ناقد موقفاً بعيداً عن الإنصاف وبعيداً عن العدالة ، ووصل به الأمر إلى أن قبض على نائب رئيس الجمهورية السيد كمال الدين حسين كما ذكرنا آنفاً .

الثقة لا الكفاءة

لا يستطيع ملك أو رئيس أن يحكم وحده، ولا بدَّ له من أعوان يشيرون عليه ويحكمون باسمه ، وعلى ولى الأمر أن يحسن اختيار أعوانه فهم امتداد له ، ويقول صلى الله عليه وسلم : من تلد رجلاً هملاً على جماعة وهو يجد في تلك الجماعة من هو أَرْضَى منه ، فقد خان الله ، وخان رسوله ، وخان جماعة المسلمين .

فماذا نرى في أعوان جمال عبد الناصر ؟

وما المقياس الذى اتَّخذ لاختيار هؤلاء ؟

لقد وضع هذا العهد أساساً عجيباً لاختيار الأعوان ، ذلك هو الثقة ، لا الكفاءة ، فاستبعد أهل الخبرة لأنهم لم يكونوا موضع ثقة (١) وأسندت المناصب الحساسة لمن يوثق بهم ولو لم يكونوا ذوى كفاءة لمثل هذا النوع من المستويات ، وغاب الرجل الكفاء عن المكان الذى يناسبه ، وحُشِد الأتباع فى أدق الأمكنة ، حتى وجد فى المؤسسات الإسلامية من لا يجيد قراءة الفاتحة ، ووجد فى المناصب الإدارية الكبرى بالجامعات من لم يسبق له أن التحق بالجامعات ، وأسندت

(١) انظر هيكل : بصراحة عن عبد الناصر ص ١٨٧

أكبر الأعمال في أعظم مشروع للإصلاح الزراعي لمن لم يدرس الهندسة ولا الزراعة ، وعندما كنت مديراً للمركز الثقافي المصري بإندونيسيا وهي قطار غير عري أُرسل لي عدد من الموظفين الذين لا يعرفون كلمة واحدة من اللغات الأجنبية ، فكان وجودهم عبثاً على المركز لا هوفاً لتيسير شؤنه .

وكان السلك الدبلوماسي من أهم الوظائف التي اهتم بها ولاية الأمور ، فاخترنا لهذا السلك أنصارهم حتى لا يذيع هؤلاء بالخارج مخازي العهد ، فازدحت وزارة الخارجية بهم ، وكانوا في نفس الوقت وسائل لمن اختاروهم ممن يشغلون وظائف كبرى من ذوى النفوذ ، يتاجرون باسمهم ، ويستوردون لهم مطالبهم .

وقد نشرت صحيفة أخبار اليوم في ٢٣ / ٣ / ٧٤ صفحة كاملة عن هذه المخازي فقد اشتغل هؤلاء تجاراً ، وعاشوا لأنفسهم ولم يندكروا بلادهم ، بل عرضوها للآسي ، وتقول الصحيفة إنه عندما ألغيت أوراق النقد المصري ذات الخمسين جنيهاً وذات المائة جنيهاً ، اتجه هؤلاء الدبلوماسيون لشراء هذه الأوراق بأرخص الأسعار ، وتوافدوا على مصر ليستبدلوا بها عملات لم يشملها الإلغاء من البنوك المصرية في المدة المقررة ، (٧)

وقد وصل إلى القاهرة منهم خلال هذه المدة القصيرة ٧٥٪ من تعدادهم، وضُبطت حقائب بعضهم وبها عشرات الآلاف من الجنيهات، ولكن سرعان ما صدرت الأوامر بتسليمهم الحقائب بما فيها، وكان شيئاً لم يكن .

وحكاية أخرى : كان هناك إصرار من مراكز القوى على الاحتفاظ لأهوانهم بمناصب معينة في سفارتنا في عاصمة إحدى الدول، وكانت حركة التقلات والتعيينات الخاصة بهذه السفارة تصدر من مكاتب مراكز القوى وترسل إلى وزارة الخارجية للاهتمام والتنفيذ .

وفي سنة ١٩٧٠ اكتشفت سلطات الأمن المصرية السر وراء إصرار مراكز القوى على إرسال رجالها إلى هذه السفارة بالذات، إذ اتضح أن الذهب يباع في البلد الذي به هذه السفارة بأسعار خيالية، وأن رجال سفارتنا يهرّبون الذهب من مصر ويبيعونه في تلك الدولة، ويحتمون بذلك أرباحاً طائلة، وفي سجلات إدارة مكافحة التهريب بمديرية أمن القاهرة، وفي ملفات البوليس الحربى ما يثبت إلقاء القبض على موظف صغير قبل دقائق معدودة من إقلاع طائرته إلى عاصمة هذه الدولة، إذ كان يحمل معه حقيبة بها ٥٠ كيلو جراماً من سبائك الذهب عيار ٢٤ .

واعترف الموظف بكل شيء : إنه مجرد شيال، مجرد وسيط بين

مراكز القوى في القاهرة التي تمول وبين أعيانها في السفارة الذين يقولون «النسويق» وهو - أي الموظف - لا يعرف محتويات الحقائق التي يرافقها من القاهرة إلى الجبهة التي يعمل بها . فهذا هو عمله الوحيد ، وسيط أبكم أصم أعمى .

ونتيجة لهذه الفئات الفاشلة التي ألحقت بالخارجية وبالوظائف الدبلوماسية دون كفاءات ، وُجد بالخارج ممثلون لمصر كانوا لا يعرفون لغة أجنبية ، واضطروا أن يعيشوا متفوقين لا يتصلون بأحد ، وقد وصل بعضهم إلى درجة السفراء ، ولكنهم كانوا لا يعرفون عن هذا المنصب إلا مزاياه المادية ، بل العجيب أن بعض السفراء وضع في أخطر السفارات ، لا شيء إلا لإبعاده عن مصر ، حتى وُجد خليط لا يربطه رابط إلا الجهل والمرارة ، وكانت بلادنا ضحية هذا العبث المشين ، ضحية مبدأ الاهتمام على الثقة وإهمال الكفاءة .

صورة النائب الرئيس في ذلك العهد :

وفي الحديث عن الثقة والكفاءة ننفذ إلى قبة من قمم الحكم في العهد الماضي ، إلى واحد من أكبر أعيان رؤيس الجمهورية هو نائبه «على صبرى» وقد شاهدنا هذا النائب يسافر إلى الخارج ويعود بطائرة خاصة تحمل ماعظم قدره وغلاته ، وكانت هناك سيارات ضخمة تنتظره

في المطار لتعمل هذه الثروة الهائلة وأدوات البذخ إلى قصره المنيف ،
ولكن الستار كُشِفَ عن هذا التصرف ، فنشرت جريدة الأهرام أن
الدولة وضعت يدها على كل هذه الأشياء ، ووصفت الصحيفة هذه
المصادرة بأنها « ظاهرة صحيّة » ولكن نائب رئيس الجمهورية طل
في جبروته وسلطانه ، حتى لقد ائتمروا بعد وفاة الرئيس ، ليجمع في يده
كل القوى والنفوذ . ويقف الإنسان حائراً ؛ هل كان هذا الرجل
موضع ثقة وجديراً بها ؟ أو أنه قد انحرف وينبغي أن يعاقب ؟ ولكننا
لأنجد جواباً شافياً ، فالمصادرة تتم ، والصحف تهاجم وتعمز ، ولكن
الرجل يبقى في نفوذه ، بل يحاول أن يزحف ليضم نفوذاً جديداً .

المشير والذهب

بل نقفز إلى الشخص الثاني في الدولة ، إلى المشير عبد الحكيم عامر
الذي كان نائباً أول لرئيس الجمهورية ، ونائباً للقائد الأعلى للقوات
المسلحة ، وكان يحرص إذا ذكر اسمه في الإذاعة أو الصحافة أن يتهنئ
بهذه الألقاب ، وإن تحدث عنه في ظرف من الظروف العادية ، بل سنعصر
كلامنا على فجيعة مرّة حدثت في أحلك الأوقات ؛ في اليوم السابع من
يوليو الحزين ، وقد نشرت جريدة الأخبار مقالاً طويلاً للأستاذ موسى
صبري تعليقاً على المحاكمات التي أجريت في مطلع عام ١٩٦٨ بسبب تجمع

أعوان المشير حوله في مؤامرة تستهدف استعادة السلطان له ولهم ؛
وكان دستورهم « لا ناصر بدون عامر » وفي هذه المحاكمات كُشِفَ
القناع عن شناعة كبرى لا يغفرها التاريخ بحال من الأحوال؛ ففي خلال
الانسحاب المشؤم الذي تم بشكل غير منظم، والذي قضى على كثير
من رجال الجيش بأن يتساقطوا دون مقاومة ، وأن تزهق أرواح الآلاف
منهم ويقع في الأسر عدد كبير من الجنود والضباط، وبهم المئات ضالين
في سيناء ، في نفس هذا الوقت كان كبار قادة الجيش يحفرون أرض
الحدائق ليُخْفُوا حقايب مليئة بالذهب والعملات الأجنبية ، يا لله ! لقد
باعوا بلادهم رخيصة ، وبلغت الأمانة مداها عندهم ، ولكن الله أنقذ
البلاد ، وأوقع بهم .

ولا يمكن أن تمر هذه الحادثة المريرة دون أن تقتبس بعض
كلمات الأستاذ موسى صبرى مما نشره بجريدة الأخبار يوم ١٩٦٨/٢/٧
مع تعليق بسيط ، هو أن هذه المحاكمة لم تكن لقيم ، وهذه الأسرار
لم تكن لتنداع ، لولا أن هذا النفر بقيادة المشير كانوا قد وضعوا خطة
للاستيلاء على الحكم ، ومن هنا قد موالى المحاكمة .

وعن هذه المحاكمة يقول الأستاذ موسى صبرى :

لإنها تكتب فصلا حزيناً من أيام تاريخنا ، تاريخنا الذي كنا

- ١٠٢ -

نجهل الكثير من أسرارها حتى جاءت هذه القضية لتعلمنا بأعلى صوت :
أيقوا أيها الجماهير ، وتنبهوا ، واسمعوا بكل الأذان ، كيف كان نصر من
قادتكم يحكون مصيركم .

ويستمر موسى صبرى فيسأل : ماذا قال عباس رضوان ؟

قال عباس رضوان إن صلاح نصر ملغى حقيقة بين بهما ٦٠
ألف جنبه لأحفظهما في مكان أمين ، ثم علمت أن هذا المبلغ يخص
المشير ، لأن المشير قال لي بعد ذلك : « أنا كنت طلعت من صلاح
تدبير حاجة » . . ويقول عباس رضوان إنى سأأت صلاح نصر عن
هذه الحاجة ، فقال لي : إنها المبلغ الذى أعطيه لك . .
ومتى حدث هذا ؟ . .

يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ .

يوم النكسة ، أسود الأيام ، ساعات استشهاد آلاف الأبطال
من رجالنا ، يوم النفوس المخطمة فى كل بيت وكوخ وشارع وزقاق ،
يوم وصول الأعداء إلى ضفة القنال .

هل كنتُ أستطيع أن أخطب الدمع وأنا أفسر فى قائد الجيش
الذى تنبه وسط الحطام والأنقاض ليعطى من صلاح نصر تدبير مبالغ ؟ .

فيمد له على الفور ستين ألفاً من الجنيهات ويمد لها مخبأ أميناً وينتقل عباس رضوان في سيارته ومعه (الأمانة) ، ليسترها تحت القراب في حديقة منزل القرية .

* * *

وماذا قال أيضاً عباس رضوان ؟ . .

قال: المشير عامر قال لى .. فيه حاجة عاوز أشيلها عندك يا عباس .

— حضر يا أفندم . .

— هاتها يا طنطاوى . .

ويحضرها طنطاوى على الفور . . وطنطاوى هذا هو السكرتير العسكرى للمشير الذى صلبه إلى منزله ، وكان يقيم به مستمراً فى أداء وظيفته حتى بعد رفع كل السلطات من المشير . ويتسلمها عباس رضوان ، ويحتفظ بها فى منزله .

وماهى ؟ . .

حقيبة بها خمسة أكياس . . وكل كيس به ألف من الجنيهات الذهبية ، خمسة آلاف جنيه ، من الذهب ، أى خمسون ألف جنيه من العملة المصرية .

وأين كانت ؟ ..

كانت في مكتب المشير ، ثم انتقلت من مكتبه إلى منزله .

ومضى ؟ ..

وقت أن كان المشير غاضباً من أجل الديمقراطية . . . ديمقراطية

الكهاس الذهب !

وقت أن كان المشير يتصل بعدد من الضباط ، ويعقد الاجتماعات السرية في حجرة نومه ، وفيلا الدق ، وشقة الشرنيتلي ، ويدرس الخرائط ويحدد العمليات . . من أجل ماذا ؟ . . يعود إلى الجيش ويستولى على الحكم . . ويهدى أحكام البراءة لكل المسؤولين عن الكارثة . .

* * *

وماذا قال أيضاً عباس رضوان ؟ ..

قال : في يوم القبض على الضباط المقيمين في منزل المشير . . « سألني جلال هريدي مبالغ ٩٠٠ جنيه وقال لي : دول بتوع المشير و ٦٠٠ جنيه بتوعه هوه . . وشمس بدران سلم لي مظروفاً فيه عملة أجنبية . . وصندوق به عملة أجنبية أيضاً » .

ويقول رئيس المحكمة إن شمس بدران قرر أن العملات الأجنبية كانت أفنى جنيه إسترليني و ٨ آلاف دولار . .

نعم آلاف العملات الأجنبية يحتفظ بها أشخاص كانوا في موضع المسؤولية . . ومصانع الكادحين العارفين يحتاج إلى قطع الغيار . . ، ونداءات الكتّاب تطالب بربط الأحزمة على البطون لأن البلاد في حاجة إلى كل ما يملك من العملة الصعبة لزيادة الإنتاج .

ومتى كان المتهمون يحتفظون بهذه الآلاف ؟ . . وهم يحتفظون ساخطين غاضبين . . من أجل الديمقراطية ؟ . . الديمقراطية في توزيع أسلاب العملات الصعبة على من كان بيدهم كثير من سلطات الحكم . . من منا يستطيع أن يقوى على عينه فلا تذرف الدمع الحزين على هذا البلاء . . ؟ ؟

هذا ما ظهر . . وما خفى لا بد أنه أعظم . . !

والعجيب أن الأستاذ موسى صبرى مسه الضرر بسبب هذا المقال لأنه كشف بعض أسرار الماضي ، فأبعد عن الكتابة ردها من الزمن ، لأنه كشف القناع عن جماعات كان يجب أن تظل مسدودة القناع ، ولأن كشف القناع عن هذه القمم يضع مؤشرات تهز كيانه الخاكين جميعاً .

الحراسة

لعبت الحراسة دوراً مهماً في تمزيق المواطن المصري ، وتهديده ، وإضمار الجبهة الداخلية ، ووزال الثقة بين الحاكم والمحكوم .

والحراسة كلمة أبرزها قاموس السياسة المصرية في الستينات ، ومدلولها الواقعي يختلف تماماً عن مدلولها اللغوي ، فإذا كانت في اللغة تفيد أن نحرس شيئاً ونراقبه ، فإن مدلولها لواقعي كان مختلفاً ، فقد كانت تقريباً تفيد المصادرة ، وحرمان الملاك من أملاكهم بدون قانون وبدون أسباب عادلة ، وكانت تفرض بقرارات من رئيس الجمهورية .

وقد وافق مجلس الشعب في أرائل يوايو سنة ١٩٧٤ على قانون بتصفية الحراسات وإعادة الأموال إلى أصحابها ، وحدد تعويضات عادلة للذين بيعت ممتلكاتهم ، وأتاح الفرصة لمن كانوا تحت الحراسة ولم يقنعوا بالتعويضات أن يتظاهروا أمام الحاكم .

وبهذه المناسبة نشرت « أخبار اليوم » الصادرة في ١٩٧٤/٧/٦ تحقيقاً تحدث فيه بعض المسئولين عن صور من المآسي والعنت التي

كانت طابع ذلك النظام الجائر ، ونحن نقف على حقيقة من هذا التحقيق
بعض الفقرات :

أنواع الحراسة :

الحراسة التي فرضت على بعض المواطنين المصريين والتي كان
موضوعها مثار مناقشات طويلة ، وصدرت بشأنها قوانين في المدة
الأخيرة كانت ثلاثة أنواع :

١ - الحراسة التي فرضت في أعقاب القوانين الاشتراكية في
أكتوبر سنة ١٩٦١ وانتهت بعد دستور مارس ١٩٦٤ وصدر
القانون ١٥٠ الذي قرر أيلولة الأموال التي خضعت للحراسة إلى الدولة
وتعويض أصحابها بما لا يتجاوز ٣٠ ألف جنيه من قيمة المال وأن يكون
التعويض على شكل سندات .

٢ - هناك الحراسات التي وُضعت طبقاً لقانون أمن الدولة وهو
القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ ، وكان يتميز فرض الحراسة في حالة
وجود دلائل على قيام الشخص بأى نشاط ضار وكانت بذلك أشبه
بالعقوبة. ولولى الأمر وحده أن يصف أى إنسان بأن نشاطه ضار بدون
أى مقياس آخر ، ويصدر أملاكه بناء على تقديره هو .

والقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ هو القانون المزور الذي أشرنا
إليه عند الكلام عن محكمة الدجوى .

٣ - الحراسة التي عرفت بحراسة تصفية الإقطاع بعد حوادث
كشيش في مايو ١٩٦٦ . . وصدرت على بعض الأشخاص باعتبارهم
من أصحاب النفوذ والسيطرة ، وأنهم يتهربون من قوانين الإصلاح
الزراعي .

مضابط للحراسة في الماضي :

ويعلق الدكتور جمال العطفي وكيل مجلس الشعب ورئيس اللجنة
التشريعية التي أقرت قانون الحراسات على القانون الجديد بقوله :
نلاحظ أنه بمراجعة حالات الحراسة التي فرضها النظام الماضي
لا نجد ضابطاً أو معياراً لفرضها أو رفعها أو الاستثناء منها ؛ فالحراسات
التي فرضت عام ١٩٦١ بحجة أنها وسيلة للحد من الثروات الكبيرة
لم تشمل أفراداً كثيرين كانوا يمتلكون ثروات طائلة ، وشملت أناساً
لا يملك الواحد منهم سوى بضع مئات من الجنيهات وأحياناً لا يملك
شيئاً على الإطلاق .

وفي بعض الحالات كان يُستثنى شخص وترد إليه أمواله بالكامل ،

وأحياناً تفسخ عقود البيع التي عقدها الدولة مع المشتريين . . وفي أحوال أخرى ترفع الحراسة دون رد الأملاك . وقد استسلمت السلطة في الماضي لإجراء الحراسة فكانت تفرضها في حالات اعتقال أحد المواطنين حتى أنها فرضت الحراسة مرة على خفير إحدى الشركات لاثامه في إحدى القضايا الجنائية .

كل هذا فتح الباب للتحكم والانحراف ، وأخلّ بما كان يقال آنذاك عن هدف هذه الإجراءات وهو إحداث تغييرات اجتماعية وخصوصاً أن ثروات جديدة نشأت لفئات جديدة ولم تمتد إليها الرقابة

أو الحاسبة .

ويضيف د. العلي : لذلك تمّ وضع القانون لتصفية الحراسات باعتبارها إجراءً انحرف عن الطريق السليم في التطبيق . . ورغبة في حل مشاكل الخاضعين للحراسة حلاً جذرياً وتسوية أوضاعهم . . وبالتالي تضمن القانون تعويضات عاجلة أكثر مما كان يتوقع أصحابها . وبعد الآن لن تفرض حراسات إلا عن طريق المدعى العام الاشتراكي ومحكمة الحراسات وبضمانات حددها القانون كما ورد في دستور ١٩٧١ - وأهمها أن يواجه الخاضع للحراسة بما هو منسوب إليه ويستمع دفاعه ثم يحقق فيه ، وهذه الضمانات الأساسية لم تكن

موجودة من قبل ، وعلى هذا فإن رئيس الجمهورية ليس له الحق بعد الآن في فرض الحراسة ، وإنما يفرضها المدعى العام الاشتراكي عند الضرورة . . والمدعى العام يمكن مساءلته أمام مجلس الشعب وأمام الرأي العام . . أما رئيس الجمهورية فإنه بحكم الدستور لا يسأل سياسياً أمام مجلس الشعب ، وقد احتتمت مراكز القوى السابقة خلف هذا الوضع الدستوري . . كذا أن الحراسة لا يفرضها قرار المدعى العام الاشتراكي بل يقتصر قراره على التحفظ على الأموال تحفظاً مؤقتاً ، ويحيل الموضوع إلى محكمة الحراسة وهي التي تفرض الحراسة بحكمها الذي تصدره . . وقد توافق على قرار فرض الحراسة أو توقيفه . ومن هنا فإن الحراسة أصبحت تقرر بحكم قضائي بعد ضمانات أكيدة في حالات محددة .

من فضائح الحراسة :

وقد حدثت فضائح ومهازل في أعقاب فرض الحراسة بأنواعها . ويعلق على هذا الدكتور يوسف أمين وإلى المستشار السابق للإصلاح الزراعي ورئيس قسم البساتين بوزارة عين شمس حالياً . . فيقول : إن فرض الحراسة كان إجراء قصدت به السلطات أحياناً التنكيل

ببعض العناصر التي افترض فيها عدم الولاء للسلطة ، وكانت الحراسة خسارة على الدولة أكثر منها مكسباً . . فقد أدت إلى ضعف الإنتاج بصورة مخجلة في أثناء إدارة الحراسة مقارنة بالإنتاج قبلها كما شاب تصرفات الحراسة عيوب من حيث الإدارة ، أو من حيث الاستغلال . . والأمثلة على ذلك كثيرة :

مثلاً . .

عائلة فرضت عليها الحراسة في الفترة من سبتمبر ١٩٦٦ إلى يوليو ١٩٦٧ على مائة فدان كانت تعطي إيراداً سنوياً قدره ١٥ ألف جنيه بالإضافة إلى أربع مائة كينات للطحين تعطي إيراداً قدره ثلاثة آلاف جنيه سنوياً . . وماشية تقدر قيمتها بحوالي خمسة آلاف جنيه . . وبعد رفع الحراسة قدمت الحراسة لأصحاب الأرض كشوفاً بديون ومصروفات على الأرض قدرها ١٥ ألف جنيه . . أما الماشية فقد باعوها . . وأصبح على أصحاب الأرض أن يدفعوا ديوناً بدلاً من أن يحصلوا على إيراد . .

وبعد ، هذه لمحة عن الحراسة التي عانى الجوع بسببها كثير من الأسر بدون ذنب ارتكبه هذه الأسر ، وكان الدافع الوحيد لفرض

الحراسة هو النشفي ، وبسبب هذا النشفي جاع أطفال ونساء أبرياء ،
ومسهم الضرر ، وقد نشرت أخبار اليوم صورة زنكوغرافية الشيك
بمبلغ ١٩٥ قرشاً ، كان المرتب الشهري لسيدة من سيدات هذه الأسر
هي سعادى مصطفى الشلقانى ، وكانت الحراسة تدفع هذا الشيك اسيدة
مصرية فى نفس الوقت الذى تقدّر انفاقات حمار - تمتلكه إحدى هذه
الأسر - مبلغاً يزيد عن عشرين جنيهاً شهرياً .

وكان المبلغ الذى يصرف إلى أحمد عبد الغفار (باشا) زهر الزراعة
سابقاً هو ١٤٥ قرشاً شهرياً .

إنها فى الحق فترة صعبة بالنسبة لبلادنا ، فترة السنينات نذكرها
لاجئين إلى الله أن ينتقم ممن أنزلوا بأهلينا الضرر ، ومن كانوا حرباً
شرسة على المواطنين ، وقوى تجريد التخطيط للنيل منهم ، وفى نفس
الوقت كانوا يهانون أمام خطاط أعداء الله اليهود ، فهم بذلك يمثلون
قول الشاعر :

أسدٌ على وفى الحروب نعامه

النفاق

لعب النفاق دوراً خطيراً في تدمير حياتنا خلال الخمسينات والستينات فقد كان جمال عبد الناصر يستطيط المدح، وربما جاز القول بأنه كان يصدّقه ويُثيب عليه، وتبعاً لذلك وُجِدَتْ حوله جماعات تخطط للنفاق، وتنظم لاصطفاع الإكبار له والإجلال، ولى تجربة في هذا المجال؛ ففي سنة ١٩٦١ كنت مديراً مساعداً للإدارة العامة للوافدين والمبعوثين، وتُشْرِف هذه الإدارة على الوافدين، وكانوا في ذلك العهد عدداً كبيراً قبل أن تنمشر المدارس والجامعات بالأنظار التي استقبلت حوالى ذلك التاريخ، وكان معي موظف دهشت عندما عرفت الوظيفة المخصصة له، كانت وظيفته قيادة فيلق المنافقين، فكان إذا استضاف عبد الناصر ضيفاً كبيراً أو إذا كان عبد الناصر مسافراً أو عائداً تحرك فيلق المنافقين من هنا وهناك ليردد المعافاة الرجل الملهم، قائد العروبة، وزعيم إفريقيا، وكان موظف إدارتنا يأخذ عدداً من السيارات ايشعنها بالطلاب الوافدين الذين تُقدِّم لهم المنح على أن تكون حناجرهم قوية، وإخلاصهم لذات الناصرية إخلاصاً، مطلقاً وعميقاً .

وراح النفاق يتسع نطاقه ويتطور، فشمّل الرسم والتصوير

والنعت ، وأصبحت رسوم جمال عبد الناصر توضع مع صور أمس وتحتمس وصلاح الدين الأيوبي ، ووصل النفاق أحياناً إلى الكفر ولكنه كان مقبولا ومحموداً ما دام يتجه في التيار السائد آنذاك . وقد رأيت ورأى الناس جميعاً معنى تعبيراً شاع عقب زيارة جمال عبد الناصر للمملكة العربية السعودية لمحاولة تصفية ما كان بين مصر وبين هذه المملكة من خلافات بسبب حرب اليمن ، هذا التعبير هو وصف رئيس الجمهورية بأنه « رسول السلام » وقد اقترح البعض استعمال كلمة رائد السلام ، أو رجل السلام بدل كلمة « رسول » ولكن هذا الاقتراح ذهب أدراج الرياح ، وينس أصحاب الاقتراحات من المناقنين ، فقالوا لهم : قولوها صراحة ، قولوا رسول الله فتلحقوا إجابة جريئة هي : انهموها أنتم ، فإن الله هو السلام .

وحادثة أخرى أكثر صراحة حدثت عند ما زار عبد الناصر بعض مدن الصعيد ، فوقف المحافظ المضيف يعلن أن الرئيس في أي بما لم تأت به الرسل والأنبياء من قبل ، وقد همهم بعض المستمعين مستغفرين من هذا الإلحاد في بلد يقال إنه منارة الدين ، بل يقال إن الرئيس امتنع لهذا الوصف حتى توقع الناس نصيراً سيئاً للمحافظ الملحد ، وبعد أيام قليلة كوفي الرجل بأن عين محافظاً للعاصمة ، ويبدو

أنه منح سلطات واسعة لدرجة أنه أعلن بعد تسلمه منصبه الجديد أنه منحه القانون إجازة .

والعجيب أن هذه الاتجاه الكافر استمر حتى عندما كان رفات جمال عبد الناصر يُحمل إلى مقره الأخير ، فقد كان المناقون يحملون رسم الحرم النبوي الشريف ، ومن وراء قبة الحرم تظهر صورة الفقيد ، وتحتها الآية الكريمة « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (١) .

بل يمكن القول بأن النفاق لا يزال موجوداً حتى كتابة هذه السطور بعد عدة سنوات من موت عبد الناصر ، فهؤلاء الذين تعودوا مدحه خوفاً أو نفاقاً لا يستطيعون أن يعودوا للحق ، كأن الباطل أصبح طبيعة الحياة ، فلا تزال صورته في كثير من الإدارات والمكاتب ، ولا يقوى أحد على إنزالها واكتفى هؤلاء الناس بأن وضعوا صورة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات بجوار صورة جمال عبد الناصر ، مع أن صورة الرئيس رمز للبلاد ، ولا يمكن أن يكون هناك إلا رمز واحد ، وعلى هذا فليس بقاء صورة جمال عبد الناصر إلا استمراراً للنفاق تعودد الناس وألفوه ، بل ظل الناس يقولون عنه بعد وفاته « الرئيس » كأنه رئيس بعد أن رحل وحل محله سواء ، واضطرت

(١) رسائل من نفاستان للدكتور إبراهيم عبده ص ٤٤ و ١٢٥ .

وزارة التربية أن تسلك طريقاً وسطاً ، فأذاعت منشوراً يصفه بأنه
« الزعيم الراحل » ، وذلك مزيج من الخوف والذفاق .

ومن صور الذفاق أن ملأ أهوان عبد الناصر البلاد بتماثيله ، فألقى
تفسير تجميد تماثله ، في الوزارات والإدارات والمحافظات ومراكز البوليس
والمدارس والطرق ، ودخلت تماثيل عبد الناصر القرى الصغيرة ،
وقد وجد أهوان عبد الناصر وسيلة لتدخل تماثيله القرى والكفور عن
طريق الجمعيات الزراعية والمدارس الابتدائية ، وحوالى سنة ١٩٦٥
أصدرت إدارة الجمعيات التعاونية الزراعية أوامرها لهذه الجمعيات أن تشتري
كل منها من الأرباح تمثالاً للزعيم ، وقد رأيت في قريتنا الصغيرة موضوعاً
في نافذة الحجرة الضيقة التي تباشر فيها الجمعية نشاطها ، ولو صدرت
أوامر بجمع هذه التماثيل لامتلاً بها ميدان فسيح ، ولو قُدِّرت
تكاليفها لأدركنا أننا فقدنا مئات الآلاف من الجنيهات أثماناً لهذه
التماثيل التي ظنَّ أنها نخلد صاحبها ، مع أن الإنسان لا يخلده إلا عمله ،
وفي كثير من الحالات تذكَّر التماثيل بأخطاء كان يمكن أن تُنسى ،
لو لم تذكَّر بها هذه التماثيل .

وقد ظهرت فكرة إقامة تمثال كبير لعبد الناصر ، ويقول
توفيق الحكيم إنه تلقى خطاباً في هذا الشأن يقول فيه صاحبه إنه

هو افاق على إقامة التمثال ، ولكنه يرى أن يكون مكانه ليس في القاهرة بل في تل أبيب ، لأن إسرائيل لم تكن تعلم يوماً بأن تباع بهذه السرعة هذه القوة العسكرية ، ولا أن تظهر أمام العالم بهذا التفوق الحضارى إلا بفضل سياسة عبد الناصر (١) .

وبسبب عمق النفاق في بلادنا ورواج سوقه جعل الأستاذ الدكتور إبراهيم عبده عنوان كتابه عن هذه الفترة « رسائل من نفاقستان » ويقصد طبعاً بكلمة نفاقستان مصر كأن النفاق أصبح علماً عليها .

وهكذا كانت الجبهة الداخلية تعيش في حرمان وتفكك وخوف ، وكانت المهجرة من مصر أسى ما يتطاع له الناس ، وكان القلق يهز النفوس ، ولم يكن أحد آمناً على نفسه أو آله أو ماله ، وكان الجيش يمثل قطاعاً بعيداً عن الشعب لأن كثيراً من قادته بعدوا عن الشعب وأصبحوا ملوكاً وأباطرة ، انتقلت إلى قصورهم تحف القصور الملكية وديارها ، وإلى خزائهم جواهر الأغنياء والأمراء ، فلم يعودوا من الشعب ولا عاد الشعب يراهم على صلة به ، وكان هذا الوضع من الأسباب التي قادت للهزائم العسكرية .

(١) توفيق الحكيم : عودة الومى ٦٧ .

الإنسان بضاعة في طرد

وقبل أن نتخطى ماعانته الجبهة الداخلية من مرارة وألم ، نذكر أن ذلك العهد البغيض ابتكر في مجال تعذيب الإنسان لونا عجيبا ، إن دل على شيء ، فإنه يدل على أن المواهب والمعنويات أتجهت بحماسة لا لخدمة الإنسان بل لتدميره نهائيا أو بجعله جسدا بدون روح ، والذي يخطر ببالي في هذا المجال هو أن حكام ذلك العهد لم يكونوا يقبلون النقد فكَّمت الأنفواء ، ولكن بعض الناس أفلتوا من قبضتهم وهاجروا للخارج ، وهناك تكلموا بما يريدون ، ولم يحتمل ولاية الأمر هذا النقد ، فأعدوا عدتهم للقبض على هذا الذي خدعته نفسه فظن أنه بمنجى من قبضة الأشرار أعداء الإنسانية .

وللقبض على مصرى بإيطاليا مثلا بهذه التهمة يتحتم إنفاق أموال الشعب المصرى بسخاء وبذخ ، فالزبانية يُرسلون إلى إيطاليا ، ويتفكرون أو يتصلون بوسيلة ما بأصدقاء هذا المصرى ، ويرتكبون حماقات متعددة وحيل كثيرة يستطيعون بها أن يلتفوا بهذا الإنسان بمنأى من الناس ، وهناك يسقونه دواء مخدرا أو يعطونه بعض الحقن المخدرة طويلة المفعول ، فإذا نمت لهم ذلك وضعوه في صندوق على أنه بضاعة ديبلوماسية تابعة للسفارة يراد إرسالها إلى مصر بطريق السرعة ،

ويدفعون أغلى الأجر لأسرع طائرة تقوم من هناك أو يسخرون
لذلك طائرة مصرية ، وتقول الأنباء إنه حدث مرة أن زال تأثير
الخطر قبل الوصول إلى الهدف ، فتحركت البضاعة وكانت فضيحة .

إننا باسم الإنسانية نطالب بالتحقيق في هذه الأمور ، ولا يمكن
أن يكون كل الذين ارتكبوا هذه الجرائم قد ماتوا جميعا ، فلا بد
من مساءلة الأحياء ، ولا بد أن ينسب للأموات ما ارتكبوه من خير
أو شر فذلك هو دستور السماء « كل نفس بما كسبت رهينة »
صدق الله العظيم .

وبعد ، إن مؤلفي الأفلام والمسرحيات التي تعصف ماعانته الشعوب
من ظالم المستعمرين والمستبدين ستجد في هذه الفترة مادة خصبة قل أن
وُجدت في عهد من العهود .

٢ -- وسائل أضعفت الجيش

هناك وسائل أضعفت جيش مصر في عهد عبد الناصر ، وسلبته ما عرف عنه من قوة وإصرار ، وما حققه مدى التاريخ من انتصارات وأجساد ، ولذلك ينبغي أن نقف وقفة نعرف فيها على أسباب هذا التحول الكبير في جيشنا العظيم .

والجيش أهم الهيئات التي ينبغي أن نقف معها في هذه الدراسة ، فهو الذي ضحى أكثر مما ضحى الآخرون ، قدّم آلاف القتلى ، وباتالي خائف هؤلاء عشرات الآلاف من اليتامى والأرامل والشكلى . وقدم كذلك آلاف الجرحى والمشوهين .

وأكثر من ذلك هناك شيء مسّ الأموات والأحياء جميعاً من الجنود والضباط ، ذلك هو سمية الجيش ومكانته التي هبطت إلى أدنى مستوى .

ومن أجل هذا يتحتم علينا أن نحاول أن نعرف على الأسباب التي أضعفت الجيش والتي فرضت عليه الهزيمة بدون معركة حقيقية :

الموقف بين عبد الناصر ومشواره :

سببت حرب ١٩٥٦ اضطراباً في العلاقة بين عبد الناصر

وعبد الحكيم عامر ، وكانت الأيام تمر والعلاقات بينهما تزداد سوءاً ويقرر محمد حسنين هيكل أن حبّ عبد الناصر لعبد الحكيم عامر استمر لفترة ما بعد الوحدة مع سوريا (١٩٥٨) ، ثم بدأت علاقتهما تنزعزع^(١) ، ومع هذا فإن عبد الناصر لم يستطع أن يتخلص من المشير فأبقاء كارهاً ، وتم اتفاق بين الاثنين على أن يكون الأول زعيماً شعبياً ، والثاني زعيم الجيش ، وعانت مصر وعانى جيشها أسوأ النتائج بسبب سوء العلاقة بين الشخصيتين الكبيرين في الدولة .

وكانت هناك هيئتان للمخابرات ، إحداها تابعة لرئاسة الجمهورية ، والأخرى تابعة لمكتب المشير ، وكانت هناك منافسة تخفيها المصالح المشتركة ، وتطفو أحياناً على السطح ، وكان للجيش ميزانية مصر ، وقد نشرت الصحف يوماً أن بعض الهيئات شكت من نقص في الاعتمادات فقال الرئيس المشير : أعطهم بعض النقود ، ويقولون إنه كان في مكتب عبد الحكيم عامر خزانة بها الملايين من العملات المحلية والصعبة ، وكان يتصرف فيها دون رقيب أو حساب .

ورغبة في المصالح المشتركة للزعيمين اختفى التنافس خلف وفاق مصطنع ، فلما كانت هزيمة ١٩٦٧ انفضح الخلاف وأسفر عن أنيابه ،

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٠١

ونتم الاتفاق بأن يستقيل الاثنان وتبعاً لذلك استقال المشير ، ثم وقف
عبد الناصر يعان على الجماهير تنحيه ، ولكن سرعان ما استجاب
لجماهير ٩ و ١٠ يونيو الذين سيقوا بنظام ليتمفوا بضرورة بقاء زعيم
الشعب بعد أن تخلف من زعيم الجيش ، ولكن المشير وأعدائه ثاروا
لهذا ، وتجمعوا وقاموا بمسيرة تهدد وترقى وتزبد و«تقفوا» لا ناصر
بدون عامر» على نحو ما أشرنا من قبل .

والمهم أن هذا الخلاف الكبير الذى عُرِفَ بعضه ونفى بعضه
كان من أبرز الأسباب لإضعاف جيشنا الذى خلد فى التاريخ القديم
والوسيط والحديث صفحات مجد لا تُنسى .

مواهب المشير :

واستمراراً مع المشير عبد الحكيم عامر ، ومدى مواهبه كقائد
للقائد الأعلى للقوات المسلحة ينبغى أن نعود مرة أخرى إلى محمد حسين
هيكال الذى يصوره لنا تصوير العالم الخبير فيقول :

إن حب عبد الناصر لعبد الحكيم عامر حال دون أن يقتنع
عبد الناصر بأن عبد الحكيم عامر لا يصلح للقيادة : إن عبد الحكيم
عامر كان نصف فنان ونصف بوهيمى ولطيفاً جداً ، ولكنه من الناحية

المسكينة توقف عند رتبة الصاغ ، أى أنه كان يستطيع أن يقود كتيبة لكنه لا يستطيع أن يقود جيشاً^(١) .

من المسئول عن تسليم جيشنا إلى مثل هذا القائد ؟ ؟
وتبقى كلمة حق نقولها هى أنه ليس الحب هو الذى دفع عبدالناصر الإبقاء على عامر ، بل المصالح المشتركة للأتين على حساب الشعب .
واستمراراً لوصف قيادات الجيش فى العهد الماضى يقول الأستاذ صالح جودت^(٢) : كان جيشنا فى الخمسينات والستينات جيشاً مسكيناً ، أسلم إلى قيادات هزيلة عابثة متسوية ، وكانت النتيجة أنه ملى بشر هزيمة بغرب معركة ، واستشهد من فلذات قلوبنا عشرون ألفاً فى سنة ٦٧ ومثل هذا القدر تقريباً فيما سُمى بحرب الاستنزاف .

كبار ضباط الجيش فى الوظائف المدنية :

ومما أضعف جيشنا كذلك أن كثيرين من كبار ضباط الجيش اختيروا ليشغلوا مناصب مدنية بعيدة كل البعد عن تخصصاتهم ، فأصبح بعضهم يدير مؤسسات اجتماعية أو إسلامية أو صناعية أو يشغل وظائف دبلوماسية ، وأصبح عادياً أن تراهم رؤساء الإدارة فى مؤسسة الأحذية

(١) بصراحة عن عبد الناصر : س : ١ و ١١

(٢) المصور فى ٧ / ٣ / ٧٤

والمطاحن والنقل والأغذية : وغيرها من المؤسسات ، مما سبب حرمان الجيش من كفاءات ممتازة ، ووضع قادته في وظائف لم يدرسوا تخصصاتها ، ومما دفع كثيرين من زملائهم ليحاولوا أن يغالوا مثل هذه الوظائف التي تضمن لهم رفاهية العيش والمكاتب الوفيرة بدل خنادق الصحراء وصراع الموت .

إبعاد الكفاءات من القيادات عن الجبهة :

كانت القيادات العابثة التي أسلم لها الجيش لاتعطي العمل مع القادة الأحرار ، فأبعدت الكثيرين منهم ، ولو استطاعت لأبعدت الجميع ، بل أتى هؤلاء في السجون ، وكان ذلك من أهم الأسباب التي أضعفت جيشنا ، وعندما أطلق القادة الأحرار من السجون في عهد النور قادوا جيشنا إلى النصر المؤزر .

أعرف من هم هؤلاء الرجال الأحرار ؟ . إنهم كثيرون ، فيما يلي أسماء بعضهم مما ذكرته الصحف :

الواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث

الواء يوسف عفيفى قائد الفرقة ١٩

الواء أحمد الزمر أحد شهداء حرب أكتوبر

الواء عادل عباس نائب رئيس هيئة العمليات

— ١٢٥ —

الواء عبد الحميد حمدى رئيس أركان المدرعات

الواء جابر عبد الله مساعد رئيس هيئة التدريب

الواء أحمد الحديدى قائد مدرسة المشاة

الواء جمال فؤاد رئيس أركان حرب المنطقة الجنوبية

العميد إبراهيم رشيد رئيس أركان حرب منطقة البحر الأحمر العسكرية

وكان اللواء طه المجذوب منفصولا من الجيش ونجا من السجن بأعجوبة وأعادته عهد النور ، تقام بدور مهم فى العمليات الحربية ومثل مصر فى مؤتمر جنيف .

الاستيقاظ على أكياس الذهب باليمن :

وضعف جيشنا كذلك بسبب العناصر للفسادة التى احتجرت بعض أكياس الذهب باليمن ، تلك الأكياس التى كانت توزع على القبائل لتؤيد مصر ، ونحن هنا نعانى الحاجة والحرمان ، ويقول محمد حسنين هيكل وهو شاهد عيان عن هذه القيادات المحرفة : لقد تسببت بعض القيادات العسكرية باليمن ، وبدأت تستفيد من الحرب هناك^(١) .

(١) بصراحة عن عهد الناصر من ١٠٢

الاستيلاء على جواهر القصور :

وما أضعف جيشنا كذلك أن الضباط المقرّبين هم الذين وكل لهم جرّد القصور الملكية التي صودرت وبيّعت محتوياتها . . . وامتدت الأيدي فسلبت ما استطاعت الحصول عليه من تحف هذه القصور وجواهرها ، ويقول الأستاذ سعيد سنبل في ذلك ما يلي :

« عندما قامت الثورة الفرنسية احتفظت بقصور الملوك والأمراء والنبلاء ، احتفظت بكل ما تحويه هذه القصور من كنوز ، ومن تراث تاريخي لا يقدر بثمن . وتمكن الشعب الفرنسي من حماية القصور ، فلم يهدمها انتقاماً من الملوك الذين ظلموه ، ولم ينهبها ، ولم يبددها ، وإنما حولها إلى متاحف تحكي تاريخ فرنسا ...

« وتمحوت هذه المتاحف بدورها إلى مصدر دخل للشعب الفرنسي ، لا ينضب ولا ينقطع . . ففي كل يوم يتوجه الألوف من زوار باريس إلى هذه القصور لزيارتها ومشاهدة ما في داخلها . . ويدفع الزوار في كل يوم ألوف الجنيهات ثمناً لهذه الزيارات . . تدخل جيب الشعب الفرنسي . .

« وعندما قامت الثورة في ٢٣ يوليو . . وأطاحت بالملكية ،

وصادرت أموالها . . كان المفروض أن تحتفظ بالقصور الملكية ، وأن تحتفظ بقصور الأمراء والنملاء ، وأن تحولها إلى متاحف تحكي تاريخ مصر ، وأن تجعل منها مصدر دخل للشعب لا ينضب ، ولا يقطع كما فعل غيرنا من الدول . . ولكننا الأسف لم نفعل ذلك ، بددنا هذه الثروة ، وألقينا بها في التراب .

« بيعت محتويات القصور بأبخس الأثمان والأسعار ، واختفت من هذه القصور أندر التحف والقطع الفنية التي صنعها أكبر المثلين والرسمين والفنانين تلك التي لا تقدر بثمن . . فنهبت ، وهربت إلى الخارج في ظل قوانين الحراسة والمصادرة » ^(١).

ونرجو أن يحىء اليوم الذي نعرف فيه أين اختفت جواهر الأسرة المالكة ومحتويات القصور المصادرة ، والقصور التي فرضت عليها الحراسة ولا شك أن مثل هذا الانحراف كان له أسوأ العواقب على جيشنا وعلى المعارك التي خاضها ، فالتطلع إلى مباحج الحياة والرغبة في الانغماس فيها ، كل ذلك يتنافى مع التضحية التي هي الأساس الأول لانتهصار الجيش ونحن نتذكر الحكمة التي تقول « اطلب الموت توهب لك الحياة » ، ولكن هؤلاء طلبوا متع الحياة ، نقضوا بالموت على كثير من الشباب الأبرياء .

(١) أخيرا اليوم في ١٦/٦/٩٧٥ بتصرف

قادة النصر يذكرون أسباب الهزيمة

وبحسب ما جاء في كتاب "أسباب الهزيمة" الذي كتبت على جيشنا هذه الهزيمة المريرة ، وأراقت الدماء البريئة ، ونستمد ذلك من أهل الخبرات ، من كلمات قادة النصر ، من الرئيس أنور السادات ، ومن المشير أحمد إسماعيل ، ومن الفريق أول محمد عبد الغنى الجسى .

أنور السادات يحكى أسباب الهزيمة :

يقول الرئيس أنور السادات فيما سنويه عنه فيما بعد :
لقد سبقت الأمة العربية إلى الحرب مع إسرائيل عدة مرات خلال ربع قرن من الزمان دون أن يكون هناك إلزام بعشرات من العناصر العسكرية والاقتصادية والسياسية والنفسية المحلّ منها والدولى على السواء ، ودون تحديد سابق لهدف الحرب وغايتها وكل الاحتمالات التى تصاحبها^(١).
ونحن نصرح : كيف يستهد بأمر هذه الأمة من يجهل أساليب السياسة والقيادة ؟

المشير أحمد إسماعيل يروي أسباب الهزيمة :

- كنت قائدا للجهة سيناء فى أثناء حرب الين ، وكانت فرقة (الثانية مشاة) هى للمسئولة عن تأمين سيناء ، ولكن سحبت منها

(١) ورقة أكتوبر

للمين بعض القوات التي كانت مدرّبة تدريباً عالياً ، فضمّت بذلك الجبهة التي كنت أتولى قيادتها في سيناء .

— ولم يكن التنسيق بين مصر وسوريا في حرب ١٩٦٧ صادقا من الطرفين ، فقد كانت سوريا تخفى عن مصر خططها الحقيقية ، وكانت مصر تُخفى عن سوريا خططها الحقيقية كذلك ، وكان الشك متبادلا ، ولا يمكن أن يتعاون جانبان في معركة واحدة بغير مكاشفة كاملة بكل الأسرار والخطط ، والتنسيق الكامل لكل تحرك من الجانبين .

ونستمر مع المشير أحمد إسماعيل الذي يروي النتائج المريرة الانسحاب الذي صدرت به أوامر القيادة العليا وهو في ذلك يقول :
— كان الانسحاب قاسياً . . فالتقات كثير من العدد والعقاد ، وخاصة أعداد الدبابات ، وكان عليها أن تنسحب غرب القناة على ٣ محاور رئيسية في منطقة المضائق ، تحت السيطرة الجوية الكاملة للمدور . . لقد كان الانسحاب مخاطرة ومجازفة غير محسوبة النتائج ضاعفت من حجم الخسائر .

وبعد الهزيمة يصف المشير أحمد إسماعيل الموقف على الجبهة بأنه كان رهيباً ومثيراً للذعر ، وهو في ذلك يقول :

كانت للجبهة عبارة عن جنود متفرقين على الشاطئ الغربي بلا وحدات تجمعهم ، وكان هناك عدد من الدبابات من مختلف الأنواع ، بدون قيادات ، كانت مبعثرة هنا وهناك ، المعنويات هابطة بعد الانسحاب ، وبعد تفوق العدو الراسخ على الضفة الشرقية بزهو الانتصار ، ولا يفصلنا عنه أكثر من مائتي متر^(١) .

الجلسي يبرز أسباب الهزيمة :

وإذا ذهبنا إلى الفريق أول محمد عبد الغني الجلسي فإنه يعطينا معلومات مهمة عن أسباب هزيمة ٦٧ الذكرياء ، وبالتالي يعطينا مؤشراً عن المسئول عن هذه الهزيمة ، يقول سيادته^(٢) :

— إن القيادة السياسية حين تضع استراتيجيتها يجب أن تربط وتوازن بين القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والعمل السياسي . وهذا لم يحدث في سنة ١٩٦٧ ، ووجود هذه الاستراتيجية هو سبب انتصار أكتوبر .

(١) الأهرام في ٢٧ / ١٢ / ١٩٧٤

(٢) لقطات من حديث له مع الأستاذ موسى صبري المر في ٢٩ / ٥ / ٧٥

— يوم الخامس من يونيو كان يُسمى في القوات المسلحة «اليوم الحزين» وكانت تصدر الأوامر فيه للقوات المسلحة بعدم الحركة أو النزول إلى شوارع المدن .

— وفي رأي أن اليوم الحزين بدأ يوم ١٤ مايو سنة ١٩٦٧ ففي ذلك اليوم فوجئت القوات المسلحة بالأمر برفع استعدادها إلى الحالة الكاملة للقتال ، وتنفيذ التعبئة ، وبدء حشد القوات في سيناء فجأة دون سابق إخطار ، ولهذا وقعت الكارثة في ٥ يونيو .

— كنا نُمثل القيادة العامة في سيناء ، ولكننا في الحق لم تكن قيادة لأن العملية كانت تُدار مباشرة من القاهرة .

— وفي يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ فوجئت القوات المسلحة بقرار سياسى آخر وهو سحب القوات الدولية . . . ، ثم صدر قرار سياسى آخر مفاجىء بنقل مضيق تيران ، وكان على القوات المسلحة إرسال قوات لتأمين شرم الشيخ لمنع العدو من السيطرة عليها بدون قتال .

— لقد كانت القوات المسلحة المصرية ضحية الخامس من يونيو ولم تكن أحد أسبابها ، وهذه شهادة الرئيس أنور السادات في خطابه بمجلس الشعب في ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

من المسئول ؟

تلك كلمات قادة النصر ، وهى تبين بوضوح أن الهزيمة لم تكن مصادفة وإنما كانت لسوء التخطيط وإضعاف الجبهة بوسائل متعددة وسوء العلاقة بين الرئيس والمشير، واتخاذ قرارات عن الجبهة العسكرية بدون إشراك قادة الجبهة ، ودون التنسيق بين الأهداف السياسية والقوى العسكرية . . وراح ضحية ذلك عشرات الآلاف من الجنود والضباط ، وحالت بنا هزيمة قاسية ، وفقدنا جزءا عزيزا من أرضنا لانزال نصارع لاستعادته ، وهوى اقتصادنا إلى القاع .

ولم يستطع جمال عبد الناصر أن يخفى مسئولياته عن هذه النكبات فأعلن فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ أنه المسئول عن هذه النتائج .

فهل يمرُّ كل ذلك بدون حساب ؟؟

٣ - أسباب خارجية

إن سياسة عبد الناصر الخارجية فرضت علينا العزلة ، وقطعتنا عن كل شعوب الأرض ، عن العرب أشقاء الدم ، وعن المسلمين رفاق العقيدة ، وعن أوروبا وأمريكا بل وروسيا ، وكأن عبد الناصر كان يجد اللذة في الشتائم والسباب ، ولكن النتائج المريرة التي أعقبت هذه الشتائم نزات على الشعب بأسره ، ذلك الشعب الطيب الذي يميل إلى الود والجمالة وينفر من السباب والقذف .

وسنرى في الصفحات التالية صوراً من انحراف السياسة الخارجية ، ذلك الانحراف الذي كان من أهم أسباب هزيمتنا سنة ١٩٦٧ .

ملحظة مصر في العالم العربي والإسلامي :

لمصر بالنسبة للعالم العربي والعالم الإسلامي مكانة توشك أن تكون موضع اتفاق ، ولا يكابر فيها إلا قلة قليلة تقطن شارع الحمراء ببلبان أو تتأثر بالصحافة المأجورة التي يجردها كتاب هذا الشارع .

وإذا كانت مصر بمدد سكانها وتاريخها وموقعها وحضارتها وجهودها قد أحدثت بين الدول العربية مكانتها ، فإن مصر قد دفعت

ثم هذه المسكنة جهداً وكفاحاً في الميادين الفكرية والعسكرية والاقتصادية على مر التاريخ ، ووقفت موقف الحارس الأمين على التراث العربي ولخدمة الإنسان العربي ، وضحت ولا تزال تضحى بأعلى ما تملك لتحقيق للعرب مكانهم بين دول العالم .

وهذه منفعة متبادلة نعتزُّ بها ونتمسك بدوامها ، أن نظل من العرب وبالعرب وللعرب .

ولمصر نفس المسكنة بالنسبة للعالم الإسلامي ففيها ارتفع صرح الأزهر ، وتلقَّى عَبرَ القرون والأجيال وفود الراغبين في الدراسات الإسلامية من مختلف بلاد العالم الإسلامي يوم لم يكن هناك سواء يحمى الفكر الإسلامي ويشرحه ويذود عنه ، ومن الأزهر خرج العلماء الذين ساءوا في إفريقية وآسيا وغيرها يحملون دعوة الحق ويشرحونها ، ولا تزال مصر تقوم بنفس الدور حتى العهد الحاضر ، تستقبل الطلاب وتوفد المدرسين والدعاة ، ويمكن القول بصدق إنه لا توجد دولة تنافس مصر في هذا المعمار أو يكتب مؤلفوها عن الإسلام ، فذكره وتاريخه وحضارته مثل ما يفعل المصريون .

ومن أجل هذا تنعم مصر بمكانة صرموقة بين العرب وبين المسلمين عبر التاريخ .

ماذا قال عبد الناصر عن ملوك العرب ورؤسائهم ؟

في ضوء هذا التقديم نسأل كيف كانت صلة مصر بالعرب وبالمسلمين في خلال عهد عبد الناصر ؟ .

الإجابة على هذا السؤال نأخذها من حقائق الواقع ، فقد أطلق عبد الناصر اسامته على ملوك العرب ورؤسائهم بالسب والطعن ، ينتف لحية هذا ، ويسب أم ذلك ، ويتهم فلاناً بالخيانة ، وآخر بالجنون^(١) . وعندما نسترجع ما قاله جمال عبد الناصر في المؤتمر الصحفي الذي عقده في ٢٨ مايو سنة ١٩٦٨ نرى فيه النص التالي :

واقدر رحبتُ باقتراح وزير خارجية الكويت الذي أكد فيه أن الكويت سوف توتف تدفق البترول إذا حدث شيء ، ونحن في انتظار موقف السعودية ، وعلى أية حال فإننى أى بلد عربى تتأخر حكومته عن أداء دورها ، فإن المسؤولية تُنقل إلى الشعب ، فنقتصر ف جماهيره بوحى من ضميرها القومى .

وهذا النص واضح الدلالة على أن عبد الناصر يُثير الشعوب ضد الحكومات ، وكان ذلك ما يؤخذ على مصر دائماً فى هذه الآونة .

(١) الأستاذ صالح جودت : مجلة المصور ٨/٣/٧٤

وإذا أردنا أن نذكر القارىء ببعض التفاصيل عن العلاقات بين
مصر من جانب ، والدول العربية والإسلامية من جانب آخر ، فإن سوريا
تقفز إلى قمة الدول التي نتحدث عنها ، فقد تمت وحدة مع سوريا وسمرهان
ما تم الانفصال ، وفي فترة الوحدة خسرت مصر الكثير ، ثم كان
الانفصال الذي تسبب عن تصرفات سيئة ، والذي كان سبباً في خلق
علاقات صعبة عاشت فترة طويلة بيننا وبين سوريا .

أما خلافاتنا مع العراق فإن القارىء يذكر الصراع المبرر أيام
عبد الكريم قاسم ، وبعده ، واستمرت صلاتنا في فترات كثيرة غير
طبيعية مع العراق ، وتبذل الآن جهود كبيرة لتأخذ هذه الصلات
مكانها المرموق .

ومع لبنان نزلنا صراعاً طويلاً ضد كميل شمعون ، أنفقنا عليه
عشرات الملايين من الجنيهات ، ويروى الرواة أن عبد الناصر دفع
ملايين الجنيهات لزعيم معين لإبان هذا الصراع ليوزعها على من
يساعدونه في الصراع ضد كميل شمعون ، ولكن هذا الزعيم خسر
نفسه بنسبة كبيرة من هذا المبلغ ، فشكاه شركاؤه إلى عبد الناصر ،
وكان ذلك من أهم أسباب إلغاء ورق النقد ذي الخمسين جنيهاً والمائة
جنيهاً انتقاماً من هذا الوسيط المنحرف .

وكان لمصر دور كبير جداً في الدفاع عن الشمال الأفريقي ، ولا ينسى جيلنا ما قامت به صحيفة « المهرى » من جهود في هذا الميدان ، واسفقت تونس والمغرب ، وأنجحت المغرب إلى التعريب للقضاء على الفرنسية التي كان المستعمر قد أشاعها ، وطلبت عون مصر ، فأرسلت مصر لها عدداً كبيراً من المعلمين والخبراء ، ولكن سرعان ما هب النزاع بين عبدالناصر وملك المغرب ، فسحبت مصر من المغرب كل خبرائها ومدرسيها ، وتركت المدارس التي كان جل اعتمادها على مصر في فراغ وفوضى شاملين ، وأذكر أن أستاذاً في الفلسفة والتصوف تأخر في العودة لمصر عدة أيام لأن أولاده كانوا يؤدون امتحاناً بالمغرب فوضِع في القائمة السوداء ، ومنع بعد ذلك ردها من الزمن من مفارقة مصر على الرغم من أنه كان قد عرض مشكلة أولاده على سفيرنا بالمغرب ، ووافق السفير على تأجيل عودته حتى يكمل أولاده الامتحان .

وتوقفت صلاتنا بتونس توقفاً يكاد يكون تاماً بعد الهجوم على رئيسها والنيل منه .

أما السعودية وهي من أكثر الأقطار العربية صلة بمصر وارتباطاً

بها ، فقد سادت علاقاتها إلى أبعد حد ، حتى توقف ركن مهم من أركان الإسلام وهو الحج ، مع أن المصريين كانوا يكوّنون على مر التاريخ أكبر نسبة لحجاج بيت الله الحرام .

وقد عرفنا في مصر مسألة تنف الذقون التي سمعناها وأشار إليها الأستاذ صالح جودت فيما سبق أن اقتبسناه منه ، ولكن ما لم نعرفه في مصر كان أعظم ، ويمكن أن نقبس سطورا من كتاب أفقه الدكتور صلاح الدين المنجد عن الملك فيصل ، وفيه يقول :

— في أول يناير سنة ١٩٦٣ صدر بيان رسمي سعودي يعلن أن كاذفات قنابل من طراز « اليوشن » تابعة لمصر تعمل في اليمن قامت بخارتين على مدينة نجران السعودية في ٣١/١٢/٦٢ (١) .

— في ١٨ يناير سنة ١٩٦٧ ذكرت وكالات الأنباء العالمية أن مخربين درجهم المصريون ، تلقوا من القاهرة أوامر بعمليات نسف بالسعودية ، وأن عدة يمينيين تم اعتقالهم في المملوكة العربية السعودية واهترفوا بذلك (٢) .

ومن حق السعودية أن نذكر أنها واصلت تقديم الدعم بمساحة .

(١) الدكتور صلاح الدين المنجد ص ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٦١ .

وعندما انخفض سعر الجنيه الإسترليني دفعت الفرق بين السعيرين ،
وأنها اشتركت بسخاء مع مصر لتنفيذ سياسة الانفتاح الاقتصادي ،
وقد سمعت من بعض القادة السعوديين تعاليمهم على الدعم بقوله :
طالما أخذنا وأخذ العرب من مصر ، وما ندفعه ليس إلا جزءاً بسيطاً
 مما أخذنا .

ويقول الملك فيصل في ذلك : إن تأييد مصر باليد والصلوات
لن يبقى قوية وعزيزة هو حماية للعرب جميعاً ، وليس فضلاً يُمنُّ به عليها .
حرب اليمن ونتائجها السياسية والاقتصادية :

أما اليمن فحدثنا عنها يتجسم أن يطول لشدة ما عانينا من موقفنا
منها ، من الناحية العسكرية ، والناحية الاقتصادية ، والناحية السياسية ،
وقد حدث الانقلاب العسكري باليمن برئاسة عبد الله السلال في أواخر
سبتمبر سنة ١٩٦٢ وبسرعة زحفت الجيوش المصرية إلى اليمن بدون
سبب نعرفه إلا أننا كنا مستعدين لتأييد أية ثورة على حكام البلاد
العربية ، وكان هذا الاتجاه يقضى على الثقة بيننا وبين هؤلاء الملوك
والرؤساء .

وبمناسبة الحديث عن حرب اليمن وما جرته علينا من أهوال ،
نذكر أن شيئاً لم يُذَّع حتى الآن عن الدوافع التي دفعت لهذه الحرب ،

التي كان العرب طرفها ، والتي كلفت مصر آلاف الملايين من الجنهيات ، وآلاف الشهداء الذين سقطوا هناك ، بالإضافة إلى آلاف اليمنيين الذين قضت عليهم غارات جيشنا وقواتنا .

وقد ظلت هذه المعارك تدور حوالى ست سنوات (١٩٦٢ - ١٩٦٧) فاستنفدت الكثير من جهودنا وكية هائلة من أسلحتنا ، وأغضبت علينا كثيراً من الأصدقاء ، وكانت من أهم أسباب الهزيمة التي منينا بها سنة ١٩٦٧ ضد إسرائيل ، فقد كانت قواتنا المسلحة مرهقة ، وأسلحتنا مبعثرة ، وكنا نحارب فى ميدانين . ومن العجيب أننا كنا نحارب لتثبيت الثورة التي أعلنها المشير السلال ، وكانت قواتنا تخوض هذه المعارك ، والسلال تابع فى قصر مئيف بمصر الجديدة .

وحرب اليمن كانت فاتحة فساد بمصر ، استمر مدى طويلا ؛ فبروى أن مصر كانت تقدم أكياس الذهب لبعض القبائل المتحول عن الإمام البدر الذى يقال إنه كان يقوم بعمل مماثل ، وطمع بعض الذين كانوا يقدمون أكياس الذهب فى بعض هذه الأكياس ، وكان ذلك مطاع الاتجاه إلى ثراء غير مشروع كان من أسوأ ما عانينا فى الستينات .

ويضيف الأستاذ توفيق الحكيم في حديثه من أكياس الذهب قائلا : إن خطأ الذهب الذي نملكه ضاع بأكمله في هذه الحرب الضائعة ، وإن كثيراً من القبائل كانت تأخذ ذهبنا بالنهار ، وتترصد لضباطنا وجنودنا بالليل ، فتصطادهم ، وتقطع رؤوسهم أو تسلمهم للطرف الآخر ، وانتهى الأمر بالبن أن سارت مخالفة لمصر في اتجاهها السياسي (١) .

ومن الأشياء المضحكة المرتبطة بالبن أن خلافاً شديداً برز بين مجلس الوزراء الليبي من جانب والرئيس السلال من جانب آخر ، فدمى مجلس الوزراء إلى القاهرة لتصفية الخلاف ، وفي القاهرة اعتُقل الوزراء جميعاً وأودعوا سجن القلعة .

والمعجب أن الصحافة المأجورة بلبنان كتبت عن هذا الحادث منوهة بأريحية مصر وكرم حكامها الذين استضافوا مجلس الوزراء ووضعهم في ضيافة كريمة بالعاصمة المصرية .

علاقاتنا مع الدول المسلمة بين الضعف والقطيعة :

وإذا جئنا إلى العالم الإسلامي وجدنا أن الدول الإسلامية بعدت عنا كلها تقريباً ، فقد طردنا سفير تركيا ، وسفير إيران ، وصادقنا

الهند على حساب باكستان ، وصادقنا قبرص على حساب تركيا ، وكان من الممكن أن نصادق الهند وباكستان معاً ، وتركيا وقبرص جميعاً ، ولكن الفكر الإسلامي لم يكن يوضع في الميزان .

وهناك دول إسلامية غير تلك التي ذكرناها ، وهي توجد في إفريقيا وفي آسيا ، ولكن العلاقة كانت بيننا وبينها فاترة ، ولعل موقف مصر من الإخوان المسلمين كان من أسباب فنور هذه العلاقة ، وبخاصة أن بعض رؤساء الدول الإسلامية ، وبعض برلمانات هذه الدول تقدمت بصور من الاستعطاف لإنقاذ رأس الأستاذ سيد قطب من للشنقة ، ولكن جمال عبد الناصر أسرع فدفع بالرجل العالم إلى المقصلة . فمكان لذلك أثر سيء في كل البلاد الإسلامية .

والذي حدث بالنسبة للدول الإسلامية في آسيا حدث مثله بالنسبة للدول الإسلامية في أفريقيا ، فقد توثقت علاقات جمال عبد الناصر بالامبراطور هيلاسلاسي الامبراطور السابق للحبشة الذي كان يقيم أعياد ميلاد سخية لسكرانه ، وشعبه يسقط من الجوع والحرب ، ومن المعروف أن علاقات الحبشة بكثير من المناطق والدول الإسلامية المجاورة لها كانت سيئة للغاية مما أساء إلى علاقاتنا بالصومال والسودان وأريتيريا .

والذى لاشك فيه أن سوء علاقاتنا بالبلاد العربية والإسلامية ،
أضعف من كياننا أمام العالم ، فقد كان من الممكن أن تقوى هذه الدول ،
ولكن انصرافنا عنا لهذه الأسباب ولغيرها حرمانا قوة كبيرة كانت
درعاً يساعدنا لدى الأحداث .

وحق يتبين للقارى مدى التأييد الذى يمكن أن نلقاه من الدول
الإسلامية ، نذكر أنه لما أصبح أنور السادات رئيساً للجمهورية ،
ووضع أساساً جديدة لعلاقاتنا مع الدول الإسلامية ، حصلنا على
تفسيرات اقتصادية ضخمة من إيران ، وارتفعت أصوات الدول
الإسلامية تؤيدنا وتشد من أزرنا .

علاقاتنا مع روسيا وأمريكا وأوروبا :

ولم تكن علاقاتنا طيبة بباقي دول العالم ، فالتاريخ يشهد أننا بعد
الاعتداء الثلاثى هاجمنا روسيا وسخرنا من تهديد بولجانين المعتدين ،
ولم يسلم خروشوف من هجومنا ، مع وقوفه بجانبنا فى كثير من الأزمات .
وقد قلنا من قبل أن أمريكا وقفت وقفة صلبة ضد المعتدين
سنة ١٩٥٦ ، واستمجتعت الاعتداء وأصررت على سرعة جلاء الجيوش
المعتدية ، وكان لها ما أرادت ، فلأمريكا وزنها العالمى ، ولكننا لم
نشكر هذه اليد ، وانطلقنا فتغنى بنصر مزعوم ، وحددنا يوماً أسميناه

« عيد النصر ، وانطلق المغنون بقرنودون بأننا انتصرنا . . . وقد سمعت آنذاك - وكنت بالخارج - من بعض الأمور يمكن من يقول : إن عدم الاعتراف بالجميل سيدفعنا يوماً أن نتخطى عنكم إذا حدث عدوان جديد . وكان هذا هو موقف أمريكا منا في عدوان ١٩٦٧ .

وقطعنا علاقاتنا مع ألمانيا الغربية ، فتوقفت مصانع عديدة ببلادنا كان موظفوها يذهبون في أول الشهر ليتسلوا مرتباتهم ، ثم يعودون إلى الضياع والفراغ باقى أيام الشهر .

ويقول الأستاذ صالح جودت رئيس تحرير مجلة « المصور » في مقاله الذى أشرنا له من قبل :

« أما العلاقات الدولية . . . حدث عنها ولا حرج ، لقد ساءت علاقاتنا بكل الدول ، وبالعسكريين منها حد القطيعة وإغلاق الأبواب بالنضبة والمفتاح . حتى الاتحاد السوفيتى . . . الصديق الوحيد الذى احتفظ هذا « الماضى » بصداقته ، نازله فى أكثر من جولة ، وألقى بالتمهاتين معه واللائذين به فى مصر سبع سنوات فى قياهب المعتقلات وأذكر ذات يوم ، أنه حدث فى إحدى الحفلات الديبلوماسية فى الخارج ، أن التفت أحد الديبلوماسيين الأجانب إلى السفير المصرى ،

وقال له : لماذا لاتصنع سفير دولة كذا . . لأنه سفير الدولة الوحيدة
التي لم تصفعوها حتى الآن » .

وهكذا أصبحنا وحدنا في عصر يُعدُّ التجمع فيه أساس النصر ،
واكتفينا بالأصوات التي تنبعث من شارع الجراء بلمبان مشجعة لنا
على هذا الموقف المرير ، لأنها في الحق لم تسكن تقصد مصالحنا ،
وإنما كانت تحمدها لتضعفنا وتضعف بنا العروبة والإسلام ، فهذه
الأصوات مأجورة ، متهمة في عروبتها ، بعيدة عن الإسلام ، تعمل
وراء المنفعة الذاتية السريعة ، وللأسف وجدت استجابة منا ، فمادت
في اتجاهاتها الشريرة .

المصري بالخارج بين عهرين :

وامتداداً لما ذكرناه عن موقف مصر من الدول العربية ،
وموقف الدول العربية من مصر ، كان المصري بهذه الدول خلال
العشرين سنة الماضية إنساناً كريهاً إلى الناس مع حاجة الناس إليه .
وانفسح المجال الأستاذ أنيس منصور ليقبس بعض عباراته
في هذا المجال (١) :

هذه حقيقة نعرفها ويجب أن نقولها بصراحة : لقد كان المصري

(١) الأخبار : ١٣ / ٣ / ١٩٧٤ .

هو الإنسان «القيبح الوجه» في كل العالم العربي ، كان إنساناً يخاف منه العرب ولا يحبونه ، وقد يحزنون على ما أصابه ، فحصر أمم العالم العربي ومعقد أممه ، والدولة الكبرى ذات الحضارة العريقة ، وهي التي احتضنت أكثر العرب ، وهي رمز ذكرياتهم ... ففيها عاشوا ، وفيها شربوا العلم والأدب والفن ... ومنها أكثر أمماتهم وزوجاتهم ، وفيها أولادهم يدرسون أو يتنزهون .

ولجأة ولادة عشرين عاماً ، تحول كل مصري يعمل بالخارج - في نظر الدين يعمل لهم - إلى جاسوس ومخرب لكل مدرس مصري اتهم بأنه جاء يقلب نظام الحكم ويوزع المنشورات ، كل طبيب جاء ينقل الأخبار ، ويبعث بها إلى المخابرات المصرية ، وهكذا أصبح كل مصري شخصاً غير مراقب فيه ، واحتاج المصري البريء إلى أن ينطوى على نفسه وأن ينمزل أيؤكد لأهل البلاد التي يعيش بها أنه لا شأن له بما يحدث في مصر ، وفي نفس الوقت ، كان هذا المصري الانطوائي خائفاً من زملائه المصريين الذين يعملون لحساب المباحث والمخابرات ... أو يدعون ذلك ... فأصبح المصري كريباً أمام كل مصري ... وأمام غير المصريين ، ولجأة تغير كل شيء ، وسوف يتغير أكثر وأكثر ، فقد أصبحت مصر دولة يرأسها حاكم لا اطلاع له خارجها ، يرأسها رجل

يرى أن همومه المصرية عبء ثقیل جداً ، وأنه ليس في حاجة إلى مزيد من الهموم العربية .

وأحس كل مصري أنه مصري ، وأن هذا مصدر إعزازه ، وأنه يستطيع أن يعيش في أمان ، وأن يقدم خبرته لمن يريد . وأنه لاشأن له بغيره ولا بحياة الآخرين . . . إنه ضيف حايهم ، وضروري لحياتهم كما أنهم ضروريون له . . . يعطى ويأخذ . . . وأنه سلاح لكل بلد يعمل فيه ، وليس سلاحاً على هذا البلد ، وأنه استطاع أن يجعل وجهه كريماً . . .

إن هذا المكسب الهائل يجب ألا نضيعه . . . وهذه الثقة العالية يجب ألا نبدها . . . ويجب أن يبقى كل مصري في مكانه الكريم حيث يعمل مدرساً ، ومهندساً ، ومحاسباً ، وطبيباً ، وعاملاً ، إنهم جيش عمل ، من أجل مصر ، ومن أجل العروبة . . . إن كل يوم من أيامهم هو ٦ أكتوبر جديد . . . لأنه يقضى على المصري القبيح الوجه بغير ذنب جناه !!

جيل مهزل

كأستاذ في جامعة القاهرة وفي غيرها من الجامعات والمعاهد ، أقابل أحيانا بعض الشبان المصريين الذين يتمصبون لعبد الناصر ، ويؤمنون به ، ويدافعون عنه ، صييح أن هناك جمهرة واسعة منهم ، استطاعت أن تعرف الحق وتنتصر له ، ولكن أتباع عبد الناصر على كل حال لا يزالون موجودين .

وكأستاذ تستلزم أعماله وتبعاته أن يزور كثيراً من البلاد العربية ، وأن يستقبل الكثيرين من الوافدين على مصر من هذه الأنظار ، أقرر أن بعض هذه الأنظار الشقية يوجد بها أنصار لعبد الناصر ، يسبحون بحمده ، ويدافعون عنه .

وهكذا بينما نجد إجماعاً من الأساتذة ومن جيلهم على انتقاد عهد عبد الناصر ، والشعور برأته ، وبأنه سبب ما تعاني من احتلال يهودي ، وحرمان اقتصادي ، واضطراب في المرافق والنفوس ، نجد جيل الطلاب ، ونجد الإخوة العرب لا يجتمعون على هذا الرأي ، وإنما يقفون صفين بين الولاء وبين الجفاء .

ما الذي ضلَّ بعض الجيل الناشئ بمصر ؟

ما الذى ضلّل بعض الإخوة العرب ؟
هذا ما نحاول هنا أن ندرسه بصبر وأناة (لماذا نساعد هؤلاء وأولئك
العودة للطريق المستقيم .

الأسباب التى ضللت الجيل الناشئ بمصر

ليما يتعلق بمصر كان من الطبيعي أن يوجد هذا الجيل المضلل ، فإن
الشبان الذين ولدوا أو شبوا فى العشرين سنة الماضية كانوا فى
ر فكري محكم تنطق كل جوانبه بتمجيد عبد الناصر وتعظيمه ،
هؤلاء فريسة هذا الحصار ؛ فى خطواتهم الأولى إلى المدارس
داثية فى سن الخامسة أو السادسة تلقاهم المدرسون فى هذه المدارس
يد وتوجيهات حفظوها وآمنوا بها وهم فى سن الزهور ، وقد كان لنا
بجوار مدرسة بالمعادي ، وكان النشيد الآتى يكرر كل يوم عدة مرات :

ناصر كننا بنحيك ناصر

وحنّ فضل جنبك ناصر

ونعيش ونقولك ناصر

يا حبيب الكل يا ناصر

فإذا وصل هؤلاء إلى المدارس الإعدادية وجدوا تاريخاً مزيفاً
عليهم حياتهم ويقرر لهم مجد عبد الناصر فى كل علم يطرّقه ؛

ففي مواد اللغة العربية أصبح عبد الناصر موضوع المحادثة والمطالعة والإنشاء ، وفي التاريخ ظهر عبد الناصر الخالق الأوحد لتاريخ مصر ، وفي العلوم ظهر عبد الناصر مصنع البلاد ، وازدانت المدارس بتماثيله وصُورِه في كل مكان وكل اتجاه . . . فإذا وصل هؤلاء إلى المدارس الثانوية وإلى الجامعة وجدوا مواد تنتظرهم لتوثق في نفوسهم حب عبد الناصر ، ومن هذه المواد :

— المجتمع العربي الذي كان يُدرس بالجامعة بالفرقة الأولى ويُبنى كاه على أن عبد الناصر هو باني هذا المجتمع .

— ثورة ٢٣ يوليو وأجسادها وهو رائدها وعمادها وتدرس بالفرقة الثانية .

— الاشتراكية كطريق وحيد للتغيير منحه عبد الناصر مصر وتدرس بالفرقة الثالثة .

— المادة القومية وتدرس بالفرقة الرابعة .

وفي خارج المدرسة أو الجامعة يصرخ المذيعون بالإذاعة والتليفزيون ، ويكتب الصحفيون في صحفهم في نفس هذا الطريق ، والويل كل الويل للمدرس والصحفي الذي يحيد عن هذا الخط ، ومن أجل ذلك فصيل مدرسون ، وأقفلت دور صحفية عظيمة ، وأبعد صحفيون

إلى مؤسسة الأحذية والمضارب ، ابقى صوت واحد ونفمة واحدة
تسبح باسم عبد الناصر .

ربما تسألني عن دور البيت في إرشاد التلاميذ والطلاب ، وأقول
لك والألم يملأ نفسي إن الآباء كانوا يخافون إن تسكلموا لأولادهم
ضد عبد الناصر أن ينقل الأولاد لزملائهم في سداجة هذا الاتجاه ،
فيكون في ذلك تدمير الأسرة وتعذيب هائلها ، وقد حدثت نماذج
من ذلك جعلت الآباء يكتفون عن الحديث عن عبد الناصر أمام أولادهم
مسلمين أسرم وأمر أولادهم .

وهكذا لم يعرف الكثيرون من الشباب طريق الهداية ، حتى زال
هذا العصر ، وبدأ عصر النور ، وأخذ جيل الثورة يسمع غير ما عرف ،
فتمزق واضطرب حيناً ، وقاوم حيناً ، وعرف أكثر من الحق فارتضوه
ولا يزال آخرون يرون بمرحلة دراسة واختبار .

صحيح أن جمهرة الطلاب ثارت على عبد الناصر سنة ١٩٦٨
وكانت ثورة الجامعات عاتية ، ونتيجة لها توقف للتدريب العسكري
الذي كان مقررأ على الجامعات لفقدان الثقة بين القائد والطلاب ،
ولكن ولي الأمر سرعان ما هدأ هذه الثورة بمحاكمات صورية ،
وبتعبير ابتدعه هو أن ما حل بنا كان بسبب « مراكز النفوذ »

واستطاع عبد الناصر بذلك أن يحتوى أكثر عناصر هذه الثورة وأن يقلل فاعليتها ردحاً من الزمن ، حتى كُشِفَ النقاب وأُسِفِرَ الفجر ، وبدأت الحقائق تتضح ، فتحدث الأساتذة بصراحة إلى طلابهم ، والأساتذة أكبر سناً وأوسع معرفة من أولئك الذين علموا في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية ، أو كتبوا وتحدثوا تحت ضغط قاس في الصحافة أو الإذاعة أو التلفزيون ، فبدأ الباطل بذلك يتفشع ، والخديعة تزول .

ومن حق الدراسة التي تقوم بها هنا أن تكون دراسة علمية لا عاطفية ، ومن أجل هذا نريد أن نعرض الأساطير التي شيدوا عليها مجد عبد الناصر انرى مدى الصدق فيها ، فهذه الأساطير كانت السراب الذى تخيلوه صرحاً هائلاً ، ووضعوا في قوته عبد الناصر ، فلنسرّ ممّا مسيرة علمية انرى حقيقة ما اعتبره المزيّفون مكاسب لذلك العهد .

ونسكر ما سبق أن أوردناه من أن الإنسان المصرى في عهد عبد الناصر كان قلقاً مهدداً ، أو معذباً ، ولا قيمة لأى تقدم مادي لا ينخدم الإنسان ، فما بالك لو اتضح أن ما اعتبر تقدمًا ماديًا كان في الحقيقة سرايبًا لا وجود له ؟

مكاسب عهد عبد الناصر في الميزان

يشرفني أن أقف في صفوف الكادحين الذين يعملون لتصحيح اتجاهات الشباب ، ليس فقط حبا في تسفيه ضلال الماضي ، ولكن أملا ألا يعيش ضلال جديد في بلادي ، يعرقل سيرها ، ويضعف أهلها ، ويوهن خطواتها الحضارية . فأنا مصرى أغدقت عليه بلاده الخير ، واتاحت لي هذه البلاد التحقا بأعظم جامعات أوروبا ، ونلت من عرق الفلاح والكادح الشيء الكثير ، ولذلك ترى مدينا مصر ملتزما بالوفاء لقربائها ولبنائها ، ومن الحق أن أقرر أنه كانت أُمامي طرق وأنظار تحاول أن تجذبني بذهبها وأموالها ، ولكنني رفضت كل هذه الصنوف من الإغراءات ، وقررت أن أبقى في بلادي ، أعلم أبناءها وأكتب في جوها لكل العرب وكل المسلمين ، وأنا هنا أقدم دراسة علمية لكل ما قيل عنه إنه مكاسب الثورة ، ولم كنت أتمنى أن تكون لها مكاسب حقيقية ، تتلاءم مع العشرين سنة الماضية التي خطاها العالم خلالها أوسع خطواته في مختلف الميادين وحقق أعظم المعجزات ، وسنرى من الدراسة التالية مدى الصدق أو مدى الزيف فيما سمي « مكاسب ذلك العهد » وستكون معنا في البحث آراء المتخصصين والخبراء :

الاشتراكية

ما معنى الاشتراكية ؟

وماذا حقق عهد عبد الناصر منها ؟

في الإجابة عن السؤال الأول نقرر أن الاشتراكية عند Sweezy هي نظام اجتماعي متكامل لا يسمح بوجود ملكية خاصة لوسائل الإنتاج ، ولا يسمح بوجود طبقات ، ويخضع العمل في ظل الاشتراكية إلى تخطيط يكفل مصلحة المجتمع ^(١) .

والاشتراكية عند Bonar هي السياسية أو النظرية التي تستهدف تحقيق توزيع أفضل للثروة ، ويؤدي ذلك بالضرورة إلى إنتاج أفضل ، وذلك عن طريق تدخل السلطة الديمقراطية المركزية ^(٢) .

وعند G. Sumner هي أية خطة أو مذهب يستهدف إنقاذ الفرد من أية مصاعب أو متاعب يلقاها في نضاله من أجل البقاء ، وفي تنافسه في معترك الحياة ^(٣) .

وخلاصة هذه الآراء أن الاشتراكية ينبغي أن نتحقق بها الأهداف التالية :

(١) The Theory of Capitalist Development p. 7.

(٢) Socialism : Encyclopaedia Britannica.

(٣) See : Class and American Sociology from Ward to Ross p. 103

- الديمقراطية .
 - نظام اجتماعى متكامل .
 - لا طبقات .
 - تخطيط يكفل مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع .
 - حسن توزيع الثروة .
- ونبئ للسؤال الثانى لنسأل : ماذا حقق عهد عبد الناصر من هذه الأهداف ؟
- يقول الأستاذ توفيق الحكيم إن اشتراكية ذلك العهد كانت مجرد التأميم والاستيلاء على أموال وقصور ، لتحلّ فيها طبقة أخرى باسم آخر ، تماثلها فى الثراء ، وتنشبه بها فى الترف (١) .
- ويقول الأستاذ إحسان عبد القدوس : إنه لم يحدث شيء فى المجتمع المصرى بعد الثورة ، وكل ما حدث أن أشخاص وأسماء وعائلات الطبقة الراقية وأولاد الذوات قد تفرقت (٢) .
- ويتحدث الأستاذ صالح جودت عن اشتراكية عبد الناصرية قولاً إنه نظام ظاهره العدالة الاجتماعية ، ولكنه انتهى إلى إفقار الأغنياء وتجويع الفقراء . وما باللك باشتراكية يتزعمها على صبرى بعد جمال عبد الناصر ،

(١) عودة الوعى : ص ٧٢ .

(٢) جريدة الأهرام فى ١٩٢٤/٨/٢ .

وَأُلِفَ فِيهَا عَلَى صَبْرِي كِتَابًا عَرَضَ فِيهِ نَفَرِيَّاتٌ شَيْوَعِيَّةٌ تَفَرِّضُ حَيَاةَ
التَّقَشُّفِ ، وَتُوجِبُ الْقَضَاءَ عَلَى التَّمَلُّعَاتِ الرَّأْسِيَّةِ الَّتِي تَبِيحُ الْقُصُورَ
وَمَتَاعَ الْقُصُورِ ، وَلَكِنْ هَذَا الزَّعِيمُ الْأَشْتَرَاكِيُّ كَانَ لَهُ قَهْرَانُ أَحَدُهُمَا
بِالْقَاهِرَةِ وَالثَّانِي بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَقَدْ أَزْدَجَا بِالرِّيَاشِ الْفَاخِرِ وَبِأَحَدِ
الْأَجْهَزَةِ مِمَّا لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِي قُصُورِ أَهْمَابِ الْمَلَايِينِ مِنَ الْأَمْرِيكَانِ ،
وَأَنْ مَلَابِسَهُ وَمَلَابِسَ آلِهِ كَانَتْ تَجْلِبُ مِنَ لَنْدُنَ وَبَارِيسَ ، كَمَا تَجْلِبُ لَهُ
الْفَاكِهَةُ النَّادِرَةُ وَالْعَطُورُ الْفَاخِرَةُ (١) .

وَيَذْكَرُ الدِّكْغُورُ إِبْرَاهِيمَ عَهْدَهُ (٢) عَنْ رَئِيسِ جِهَازِ الْأَشْتَرَاكِيَّةِ أَنَّهُ
كَانَ عِنْدَمَا يَصِلُ إِلَى مَقَرِّ جِهَازِهِ ، بِسَرْعٍ مُوَظَّفٌ خَاصٌّ إِلَى الْمُسْعَدِ
فَيَطْلُقُ فِيهِ نَوْعًا مُتَمَازًا مِنَ الْعَطُورِ الْوَكِيَّةِ ، وَيَنْطَلِقُ سَاعَةً آخَرُونَ يَطْلُقُونَ
الْعَطُورَ فِي حَجَرَةِ مَكْتَبِهِ ، وَهُوَ بِذَلِكَ يَفْعَلُ مَا فَعَلَهُ الْأَبَاطِرَةُ وَالْمُلُوكُ
فِي الْعُصُورِ الْوَسْطَى .

وَإِذَا كَانَتِ الثَّوْرَةُ قَدْ حَدَدَتْ لِلْمَلِكِيَّةِ الزَّرَاعِيَّةَ ، فَإِنَّ مَلِكِيَّاتِ
كَبِيرِي قَدْ اِمْتَلَكْنَهَا أَنْاسٌ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَهْدٌ بِالثَّرَاءِ مِنْ قَوْلِ ، كَالْعِمَارِ
الشَّاهِقَةِ ، وَالْحَدَائِقِ الْغَنَاءِ ، وَمَلَايِينِ الْجَنِيَّاتِ بِالْإِدَاخِلِ وَالْخَارِجِ ،

(١) رِسَالٌ مِنْ نَفَاقِسْتَانَ ص ٥٦ .

(٢) الْوَسْوَاسُ الْخَنَاسُ ص ٦٧ .

وشئون الاستيراد والتصدير التي تغلُّ بيسر أرقاماً خيالية من الثراء .
 وهل يُعَدُّ من الاشتراكية أن يوجد في القصر الجمهوري مئات
 من الأفراد في درجة وزير أو يتقاضون مرتب الوزراء ومخصصاتهم
 دون أن تكون لهم وزارات أو أعباء الوزارات ؟
 ويقال إن عدد وزراء هذا النوع فاق كل مبالغته وطالما قابلتُ
 بعض الناس ورأيت من يناديهم « معالي الوزير » فإذا سألتُ عن
 وزارته قيل لي أنه وزير بالقصر .

ويقول الدكتور محمود القاضى فى مناقشات مجلس الشعب
 فى ١١ / ١٢ / ٧٤ أن عدد هؤلاء فى القصر وخارجه بلغ سبعة وزراء
 ونائب وزير ، وتلك مخالفة دستورية ، وعبء ثَقِيل على الميزانية .
 وهل يُعَدُّ من الاشتراكية أن تزدهم وزارة الخارجية بسفراء
 متعددين ينالون حظ السفراء ولا يعرفون معارفهم ؟

وهل يُعَدُّ من الاشتراكية أن تُخْلَق الأقارب والأصهار حديشي
 التخرج وظائف رفيعة فى صحيفة الأهرام وأمثالها من المؤسسات بمرتبات
 تعد بمئات الجنيهات بينما يعانون زملائهم البطالة حيناً ، حتى تلقى بهم القوى
 العاملة بمكان ما ، بمرتب لا يفي بأجر السكن أو القوت الضروري ؟
 وهل يُعَدُّ من الاشتراكية أن تقدم المنح بالآلاف المرتزقة من

المؤلفين الأجانب ليكتبوا كتباً يجدون فيها عبد الناصر ؟ أو للصحفيين في لبنان وغيره ليكتبوا عن زعيم الشرق بعض المقالات ؟ وهل يعد من الاشتراكية ماورد في صفحة ٢٠٧ من التحقيق الذى أجرى بعد تصحيح مايو مع أحد وزراء القصر في عهد عبد الناصر من أنه اشترى لزوجته وبنتيه ملابس من الخارج بعملة أجنبية بلغت قيمتها ١٢ ألف جنيه في عام واحد ، دُفعت من المصروفات السرية ، في نفس الوقت الذى تقف فيه طوابير طويلة من المصريين أمام المحال التجارية في انتظار القليل من الكستور والدمور .

إن اشتراكية عبد الناصر كانت نمطاً وحدها ، ولذلك قدّر لها أن تكون قصيرة العمر ، وأن تعود الدولة إلى سياسة الانفتاح ، وإلى الديمقراطية الحقة ، وتعيد التخطيط لمصلحة المجتمع ، وتقضى بذلك على استعمال الكلمات بدون مدلول .

الإصلاح الزراعي

ما معنى الإصلاح الزراعي ؟

هل هو فقط تحديد الملكية وتمليك الفلاح عدة أفدنة من أرض

مالك كبير ؟ أو أن الإصلاح الزراعي مفهوم أأدق وأسمى ؟

إن المفهوم العلمي للإصلاح الزراعي يسعى لتحقيق الأهداف التالية :

— العمل على كساح المآبر لاستصلاح مزيد من الأراضي لغرض

مساحات جديدة من الأرض البور إلى الأراضي المنزرعة .

— رعاية التربة في الأراضي المنزرعة بتحسين الصرف وإنتاج

المخصبات بأرخص الأسعار .

— تنظيم الدورات الزراعية ومحاولة الإكثار منها بدون

إرهاق للتربة .

— حسن اختيار البذور ذات المحصول الجيد والوفير .

— الرقي بوسائل الفلاحة ، وذلك بالقضاء على المحراث والطمبور

والشادوف والساقية التي انحدرت من عهد خوفو إلى الوسائل الزراعية

الحديثة التي أنتجها العقل البشري ، وفوقت جهد الإنسان والحيوان ،

وضاعفت دخل الأرض .

- ويدخل في مفهوم الإصلاح الزراعي الحديث الاهتمام بالإنتاج المتصل بالأرض ، كإنشاء مصانع لتعليب الخضرة والفاكهة حيث تسكثر أنواع معينة من الخضرة والفاكهة .

- ويدخل في الإصلاح الزراعي كذلك الاهتمام بتربية العجول والأبقار للارتفاع بلحمومها وجلودها وألبانها مما يستتبع إنتاج الأعلاف والإكثار من معامل الألبان ومستخرجاتها ، ومصانع دنع الجلود .

- ويدخل في الإصلاح الزراعي كذلك تربية الدواجن للارتفاع بإحماها وبيضها .

ذلك هو الإصلاح الزراعي كما عرفه الفكر الحديث ، ولكن عهد عبد القاصر اكتفى بأن جعل الإصلاح الزراعي لا يزيد عن أخذ الأرض من كبار الملاك لتوزيعها على صغار الملاك ، ومع هذا لم تثبت ملكية هؤلاء الفلاحين لقطع الأرض التي حصلوا عليها إلا في عهد أنور السادات ، وربما كان في هذا التوزيع فائدة لبعض الأسر ، ولكنه كان شديد الضرر بالمجموع ، لأن المساحات الصغيرة لا تقوى على تنفيذ الإصلاح الزراعي كما عرفه الفكر الحديث ، وكما أوجزناه فيما سبق ، ولأن الارتفاع به على النحو الذي اتبع كان مجرد

مقامرة ، فالفلاح الذى يعيش فى « العزب » نال شيئاً من أطياف الملك الكبير ، أما ملايين الفلاحين فى القرى التى ليس بها ملاك كبار فقد بقوا على حالهم ، والإصلاح الزراعى بمعناه الحقيقى يخدم الجميع على السواء ، ما بين عامل فى الأرض ، أو عامل فى مصانع التعليب ، أو مصانع الألبان ، أو راع لشئون المواشى ، أو بين موظفى التسويق والإدارة .

السد العالى

تبنى عهد عبد الناصر بالسد العالى وجهه أسطورة الزمان ، حتى توقع الناس أن النيل سيسيل ذهباً وفضة ، وتوقف العمران فى البلاد لأن كل الحديد والأسممت والعمال والمهندسين أنجموا للسد العالى الذى بلغت نفقاته ٣٢٠ مليوناً من الجنيهات .

وقد قيل لنا يومها إن السد العالى سيجقق الأهداف التالية :

- ١ — إضافة مليون فدان من الأرض ، إلى الأرض الزراعية .
- ٢ — تعميم الرى المستديم لأرض الحياض ، وقدرها ٧٠٠ ألف فدان .
- ٣ — ضمان زراعة الأرض سنوياً فى مساحة لا تقل عن ٧٠٠ ألف فدان .

٤ - توليد طاقة كهربائية مقدارها ١٠ مليارات كيلوات ساعة سنوياً ، تستخدم في الأغراض الصناعية .

٥ - خفض منسوب المياه ، الجوفية ، وخاصة في الوجه البحرى ،
بما يحسن وسائل الصرف فى الأراضى الزراعية ، ويضاعف إنتاجها .

٦ — زيادة الثروة السمكية نتيجة تكوين بحيرة ناصر .

وبحق لنا الآن أن نتساءل : ماذا تحقق من هذه الأهداف ؟

وما الأضرار الجانبية التي أصابت بلادنا بسبب السد العالي ؟

في الحق أن الدولة لا تزال تبخل علينا بوثائق رسمية تظهر الحق حول ما يدّعيه من « السد العالي » ، وإحقةً للحق الذي نسعى للوصول إليه سنأقل وجهتي النظر حول هذا الموضوع تاركاً القول الفصل للمستقبل :

ينسب الذين يدافعون عن السد العالي إليه أنه الذى حمى بلادنا من الفيضان العالى سنة ١٩٦٨ ، وأنه الذى ادخر المياه خلفه فحمانا من القحط سنة ١٩٧٢^(١) ، وأنه هيا أو يهى لإضافة أرض جديدة للأرض المزروعة ، وزراعة بعض الأرض بالوجه القبلى أكثر من مرة فى العام بعد أن

(١) في حديث الرئيس أنور السادات المصريين في ندوة مصر حتى سنة ٢٠٠٥ لم يذكر سيادته من فوائده السد العالي غير هذه الحسنة .

كانت تزرع مرة واحدة ، ولا يسلم هؤلاء تسليماً مطلقاً بالعيوب التي تنسب لهذه المؤسسة ، وإن كانوا يعترفون ببعض الأضرار الجانبية ويدعون لعلاجها كإنتاج البدائل التي تعوض الأرض الزراعية عما فقدته من العظمى ، وكتفشيظ تسكأر السمك في بحيرة ناصر ، وقوفير سبل صيده ونقله ، ومواجهة مشاكل النحر ، وإقامة المزارع حول بحيرة ناصر وتعمير المنطقة بمشروعات للسياحة والذشجير (١) .

وإذا كنا قد ذكرنا رأي من يدافعون عن السد العالي ، فإن باحثين آخرين يُبدون منه تخوفاً واسعاً ، وهم يقسمون :

لماذا لم تقم عمليات إصلاح الأرض يوماً بيوم مع العمل في السد العالي ؟

وأي أسماك بحيرة ناصر ؟

وماذا عن الأرض التي « طبأت » بسبب كثرة المياه الجوفية

ورداءة الصرف ؟

أما عن كهرباء السد العالي فإن أدق تعليق نوردده هو قول وزير مسئول نشرته صحيفة أخبار اليوم الصادرة في ٢٧/٧/١٩٧٤ ونصه :

(١) هذا موجز واف لبحث نشرته الأهرام في ٢٠ / ١٢ / ١٩٧٤ للدفاع

من السد العالي .

إن البيانات والأرقام التي كانت تُطلى للناس وتقدم لأجهزة الإعلام عن نتائج السد العالي فيما يتعلق بالكهرباء غير سليمة ، بل وخيالية .

وقد كثرت التعصبات الرسمية خلال شهر يوليو ١٩٧٤ بأن رصيد الكهرباء بمصر ينتهى فى سنة ١٩٧٥ ، وعلمنا أن نسرع فى تدبير مصادر جديدة للكهرباء ، وإلا توقفت مصانعنا وتراجعت خطا بلادنا .

وحرمت بسبب السد العالي أرض مضر من الغرين الذى كان سماداً لاثنين له ، وحرمت مبانى مصر من الطوب الأحمر الذى كان يصنع من الغرين ، وزحف الماء على الشواطىء فتآكلت ، وانبثقت المستنقعات بسبب ارتفاع منسوب المياه ، ويقرر بعض الأطباء أن السد العالي من الأسباب التى أدت إلى تلوث مياه الشرب ، لأن تجمع المياه فى البحيرة خاف السد وركودها مدة طويلة يؤثر فيها تأثيراً ضاراً .

ويستخر العقلاء من الدعاية الواسعة للسد العالي كأن النيل لم يعرف السدود والقناطر على مرّ التاريخ ، مع أن القناطر الخيرية وخزان أسوان ، وجبل الأولياء ، نماذج للجهود الهائلة التى نفعت ولم تضر ، والتي تذوسيت كأنها لم ترتفع شاهقة .

وقد نشرت أخبار اليوم صباح ٢٣ / ١١ / ١٩٧٤ أنباء عن ندوة علمية عقدتها هيئة التدريس بجامعة الاسكندرية عن الآثار الجانبية للسد العالي ، وقد تحدث في هذه الندوة ١٩ متخصصاً في أعمال الري ، والاستثمارات ، والصرف ، والكهرباء ، والصحة العامة ، والهندسة الصحية ، وأصدر المجتمعون قرارات هامة بالنسبة لهذا الموضوع ، وقررت الندوة تشكيل لجنة من المختصين لمقابلة رئيس الوزراء ، وشرح وجهة نظر المجتمعين وتوصياتهم ، دون النظر إلا للتأثير القومية المترتبة على السد العالي .

ولم تنشر بعد هذه البحوث ، وإن كان هذا الذي نُشر عنها يشير إلى خطورة هذه الأسطورة التي سموها السد العالي .

وقد قام المجلس القومي للإنتاج بدراسة عن السد العالي ولم ينشرها مما دفع رئيس مجلس الشعب (الأخبار في ١٨ / ٣ / ٧٥) إلى طلب هذه الوثيقة ليستفيد بها المجلس في الرقابة على متابعة الآثار الجانبية للسد .

ومن الطبيعي أنه لو كانت الشكوك ضد السد باطلة لأسرع المجلس القومي للإنتاج بنشر هذه الوثيقة على الجماهير المتشككة . وفي ختام هذه الكلمات عن السد العالي أرجو الله أن يكون

من الممكن أن يتدارك ولاية الأمر في بلادنا أمره ، وأن يعملوا على تحقيق أهدافه وعلاج ما ظهر من عيوب ارتبطت به ، فمن أجل بقاءه فاسيناً ألواناً من الشدائد ، ومن حقنا أن نبني بعض الثمار .

سياسة عبد الناصر وهل جلبت الجلاء أو الاحتلال ؟

أترى يُعدّ من مكاسب مصر على يد عبد الناصر أن الاحتلال البريطاني انتهى في عهده ؟

لقد كان يطيب لنا أن نصفق لهذا المكسب ، ولكن حقائق مرة تمسك الأيدي عن التصفيق ، فإن سياسة عبد الناصر جلبت لمصر لوئاً من الاحتلال أفسى من الاحتلال الأوربي ، ذلك هو الاحتلال الصهيوني بمخازيه وجبروته ، الاحتلال الذي قفى على عشرات الآلاف من شبابنا ، ودمّر عدداً كبيراً من مدناً ، وحطم اقتصادنا ، ثم إن هذا الاحتلال يعتبر سيناء أرضه ، ولا يعد نفسه دخيلاً عليها ، وعلى هذا فأخراجه منها أشق بكثير من إخراج المحتل الأوربي .
وقد شمل الاحتلال الصهيوني شبه جزيرة سيناء كلها ، ومدّ نفوذه

وجبروته إلى مدن القناة فأخلاها السكان ، وجعلها العدو الأثيم ركناً وخرائب ينقع فيها البوم وتعيش في فراغ صرير حتى أنقذها السادات من هذا الدمار .

وسياسة عبد الناصر لم تجلب فقط الاحتلال اليهودي إلى ميناء والنقوذ اليهودي إلى مدن القناة ، بل إن هذه السياسة العرجاء تعدت ذلك بالنسبة للعطار كله ، وفي ذلك يقول الأستاذ أحمد أبو الفصح : « إن سياسة العهد الماضي حطمت استقلال مصر عندما أدلت تفويضاً تاماً للاتحاد السوفيتي ليتصرف بمقتضاء كيفما شاء في القضية العربية » .

وكان الرئيس أنور السادات قد كشف القناع عن ذلك في حديثه لمجلة الحوادث اللبنانية الذي نشرته الأخبار في ٢٠/٣/١٩٧٥ وفيه يقول : « عام ١٩٦٧ بعد الهزيمة الآلية المريرة التي نعرف كلنا أبعادها فوضت مصر السوفييت في الاتصال بالأمريكان والتحدث باسمنا ، وكان هذا التفويض بلا تحفظ ، فقد قالت السلطة لهم اتفقوا مع الأمريكان ، وما تنفقون عليه فنحن سلفاً نرضيه ، بل خطت مصر أكثر من ذلك فطابت قائداً سوفيتياً لطيران ايتولى قيادة سلاح الطيران المصري ، وقائداً ليتسلم الدفاع الجوي المصري » .

ويستمر أنور السادات فيقول: «لقد أحسست أن الاتحاد السوفيتي أصبح وليّ أمرنا وهذا هو ما أدّى إلى أن أتخذ قرارى بإخراج الخبراء السوفيت في يوليو ١٩٧٢ وكنت بذلك أقول للسوفيت إننا أولياء أمر أنفسنا ، ولسنا في حاجة إلى تفويض أحد بعد اليوم ، وأنهيت بذلك الوكالة لنعود بملاقاتنا إلى ما قبلها ، ولنثبت أنه لا ولاية لأحد علينا ، وأننا أحرار في إرادتنا وفي قرارنا» .

وهكذا يتضح أن سياسة جمال عبد الناصر جلبت الاحتلال اليهودي إلى سيناء ، وجلبت النفوذ اليهودي إلى منطقة القناة ، كما جلبت النفوذ السوفيتي إلى باقي البلاد ، والعجيب أن عبد الناصر كان يتحدث من حين إلى آخر عن « الاستعمار الروسي » فلم تكن رغبة السوفيت في النفوذ والتوغل غائبة عن فكره ^(١) ، ومع هذا فقد فتح لهم الطريق ولم يبقه إلا أنور السادات في عهد الدور والعبور .

فإذا جئنا للحديث عن جلاء البريطانيين عن مصر ، فإننا ينبغي أن نقرر أن حدوده كان غاية عظمى بذات الأجيال من أجله أعظم الجهد وأغلى الدماء ، ولا يمكن أن نقلل من أهمية وقوع هذا الحدث على يد

(١) هيكل : عبد الناصر ص ٦٩ و ٧٠

عبد الناصر مهما كان خلافنا مع سياسته ، ولكن لا بد أن نذكر خطوات الأجيال السابقة من أجل هذا الهدف ، ولا بد أن نذكر كذلك أن جمال عبد الناصر قبل الشرطين اللذين كانا دائماً عقبة تتحطم عليها المفاوضات بين مصر وبريطانيا ، والشرط الأول هو قبول عودة بريطانيا لاحتلال القناة إذا تعرضت مصر لخطر ، والشرط الثاني عزل مشكلة السودان عن مشكلة مصر ، وقد علق الزعيم مصطفى النحاس على المعاهدة التي وافق عليها جمال عبد الناصر بقوله : « إن الصخرة التي كانت تتحطم عليها المفاوضات المصرية دائماً من أجل إجلاء الإنجليز هي السودان ، ولو طرحنا مسألة السودان جانباً لنتم الجلاء منذ عشرينات هذا القرن »^(١) .

ومع هذا فأنا أميل إلى القول بأن موقف جمال عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو من هذا الموضوع كان أحكم وأدق ، لقد كانت الثورة قوية فلم تخضع لمواطف الجماهير التي كانت تنجبه لضرورة ربط السودان بمصر ، وأعلنت الثورة حق السودان في اختيار مصيره ، وهو اتجاه نزيده ، فإن حبنا للسودان لا يعني أبداً أن نمنع هذا القطار الشقيق من اختيار وضعه اختياراً مطافاً .

(١) نقلاً عن عودة الوعي ص ٥٠

أما الموافقة على عودة الاحتلال إذا هوجمت مصر ، فهو شرط
نرتضيه أيضاً ، فإذا كان الاحتلال قائماً ، فإن قيامه أشق من احتمال
عودته ، هذا بالإضافة إلى أن هذا الشرط كان موقتاً بسبع سنوات
وهي فترة قصيرة في عمر الدول ، ومن أجل هذا نرى أن موقف
الثورة في قبول هذين الشرطين كان أرشد وأنفع .

ولكن هذا الإنصاف لا ينسينا ما ذكرناه من قبل من أن
سياسة عبد الناصر جلبت لنا الاحتلال الإسرائيلي للعين ، والنقوذ
الروسي المريع وأن عبد الناصر حارل جهده أن يؤثر في السودانين
فأرسل عضواً بمجلس قيادة الثورة ليرقص في حالة عُري بالسودان ،
ودفع ملايين الجنيهات ليؤثر على سير الانتخابات ، ولكن ذلك
كله كان بدون جدوى ، بل ربما كان هذا التدخل هو السبب
في الانفصال ، وقد كانت ملايين الجنيهات المصرية التي أنفقت
في الحملة الانتخابية بالسودان من الأسباب المبكرة لتدهور اقتصاد
بلادنا الحبيبة .

عصر الامتلاك وعصر الجلاء :

بقي أن نذكر نقطة مهمة ترتبط بجلاء إنجلترا عن مصر ، تلك النقطة
هي أن العصر عصر جلاء ، وأن الدول الأوروبية جلت عن كل الأقطار

التي كانت محتملة تقريباً ، سواء كانت بعيدة في أقصى آسيا ، أو كانت تعيش معنا في إفريقيا .

واحد من الخبير أن نمنح هذه النقطة مزيداً من الشرح بأن نندرس العصرين جميعاً : عصر الاحتلال وعصر الجلاء انرى كيف كانت الدول الكبرى تختلق الوسائل وتصطنع السبل لاحتلال الدول الصغرى في العصر الماضي ، وكيف جلت في العصر الحاضر شامت أو لم تشأ عن كل الدول المستعمرة :

١ - في يونيو سنة ١٨٣٠ احتلت فرنسا بلاد الجزائر لاهربية ، لأن الداي سأل انفصل فرنسا عن السبب في عدم رد ملك فرنسا على رسائله ، فأساء انفصل الجواب فصرخ الداي في وجهه ملوحاً به روحته ليخرج من حضرته ، وعدت فرنسا ذلك إهانة لها وللشعب الفرنسى وجرت الأحداث المتلاحقة التي انتهت باحتلال الجزائر .

٢ - في إبريل سنة ١٨٨١ كانت جيوش فرنسا تقف على الحدود الجزائرية التونسية ، وأشيع أن بعض القبائل التونسية اعدت على دورية فرنسية فأمرت فرنسا جيشها بالزحف على تونس .

٣ - في يوليو سنة ١٨٨٢ حدث بالإسكندرية شجار بين رجل

مالطى ورجل مصرى وكان عربى يقوم بتحصين قلاع المدينة فأتخذ ذلك وسيلة لاحتلال بريطانيا لمصر .

تلك هى نماذج سريعة من مظاهر عصر الاحتلال ؛ اختلاف الأسباب ليعتدى القوى على الضعيف .

فإذا نرى لو ذهبنا إلى عصر الجلاء ؟

فى خلال الحرب العالمية الثانية تغيرت الأوضاع فى العالم ؛ فالدول الأوروبية سقطت تحت أقدام النازى ، ودمرت قنابل هتلر مدن بريطانيا ، ونجت أوروبا من النهاية الأليمة على يد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وانتهت هذه الحرب تاركة جراحا غائرة فى أوروبا وواضعة فى القمة الدولتين العظميين ، وإذا كانت دول أوروبا لعبت فى الماضى دور الأسد فقد أصبحت الآن تمثل الذئب فحسب ، واحتلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى عرش الأسود ، ومن الطبيعى أن الأسود لا تسمح للذئب بأن تمرح فى الغابة وتستبد بها ، فإذا أضيف إلى ذلك ما ظهر من أسلحة جديدة فتاكة ، وإذا اتضح أن الاتحاد السوفيتى لا يقبل أن تستولى الدول الأوروبية على الدول المجاورة له فتحدد حدوده ، وإذا وضعنا فى الميزان ما قدمه الاتحاد السوفيتى من وسائل مادية وأدبية لمساعدة الدول على النورات والتحرر . كل ذلك جعل العصر الحاضر عصر جلاء ، فقد

جلت بريطانيا حتى عن دول كانت هذه الدول ترى - لظروف خاصة - أن من صالحها استمرار الاحتلال ، وعندما حاولت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل أن تحتل منطقة القناة سنة ١٩٥٦ أزعجت القوتان الكبيرتان وأرغمت المعتدين على الانسحاب السريع مع أن السبب أعظم جدا من الأسباب الهزيلة التي سميت الاستعمار لكثير من الدول في عصر الاستعمار.

مرة أخرى إن هذا العصر عصر جلاء ، وهو بذلك قد ساعد الثورات الوطنية التي لم تهدأ يوما ولكنها كانت تنهزم أيام القوة الجائرة ، فلما جاء عصر الجلاء أيدت القوى الجديدة حركات الثوار الوطنيين حتى تحققت الحرية ، وأصبح الطابع العام هو الاستقلال وحرية تقرير المصير للجميع .

تأميم القناة

في موجة عاطفية قوية هلّل الشعب لتأميم القناة ، ولم يكن يدور في خلد أحد أن ذلك سيجلب علينا الدمار ، فقد تسبب هذا التصرف في حرب ١٩٥٦ ، ولما جلا المعتدون عن سيناء بإصرار أمريكا ، تركت إسرائيل ذبولا لها في شرم الشيخ ، ووُضعت قوات أمن دولية لضمان ملاحه إسرائيل ، وكان ذلك من أسباب حرب ١٩٦٧ كما قال جمال عبد الناصر ، ولا تزال نعاني من هذه الحرب ، ثم إن حركة الملاحة في القناة أوقفت مرتين مرة عقب حرب ١٩٥٦ حوالى العام ، والأخرى ثمانى سنوات ؛ من يونيو ١٩٦٧ إلى يونيو ١٩٧٥ .

ومعنى هذا أننا لو وضعنا في الميزان الفوائد والأضرار لتأميم القناة لكان عدم تأميمها أفضل ، ولحقنا دماء عشرات الآلاف ممن سقطوا في الحربين ، وحمينا بلادنا من الدمار الاقتصادي الذي جرّته الحرب والاستعداد للحرب .

وقد ذكر الرئيس أنور السادات (الأخبار ١٣ / ٣ / ٧٥) أننا صرفنا حتى عام ١٩٧٣ مبالغ هائلة آلاف مليون جنيه ، وأننا سنصرف ألف مليون هذا العام .

وتلك أرقام تفوق بمراحل أى تقدير لإيراد القناة .

ومن العجيب أن جمال عبد الناصر كان يتوقع الحرب بعملية التأميم ، ويقول محمد حسنين هيكل : إن عبد الناصر كان يفترض أن التدخل سيحدث عاجلاً أم آجلاً^(١) .

ولهذا يحار الإنسان من تصرف كهذا كان ضرره واضحاً جداً وعظيماً جداً فى الأرواح والأموال .

ويجب ألا ننسى أن قرار تأميم القناة ألزم مصر بدفع تعويضات لحلة الأسهم مع أن القناة كانت ستنتهى مدة امتيازها بعد سنوات قليلة وتسلم لمصر بدون تعويضات ، وقد رفضت مصر مدّ امتيازها بإصرار حتى فى عهد الاحتلال ، ودفع رئيس الوزراء « بطرس غالى » حياته ثمناً لميوله لمدّ امتيازها .

وربما جاز لنا أن نقول إن سياسة عبد الناصر كانت ستقضى نهائياً على القناة ، فإن إغلاق القناة هذه المدة الطويلة جعل العالم يتجه لبناء عابرات المحيطات العملاقة ، وقد أخذت هذه فعلاً تملأ الفراغ أو أكثره ومن أجل هذا اتجهت قوى العهد الجديد بمصر إلى مزيد من التعميق

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ٨٧ .

والتحسين للفنارة لتجلب لها هذه العبارات أو أكثرها حتى تستعيد الفنارة حياتها الطبيعية .

وعند الحديث عن عودة الملاحة في الفنارة يتحتم علينا أن نثني أعمق الثناء على الجهود التي أعادت الحياة إلى هذا المرفق العظيم ، ولسكن ثناء خاصاً يتحتم أن نوجهه للرئيس أنور السادات الذي اختار يوم الخميس من يونيو لإعادة فتح الفنارة ، فوضع ابتسامة على كل فم في هذا اليوم الذي كان يمر ثقيلًا مريراً لفوله أنور السادات إلى يوم بهيج .

التصنيع

كل مصري يتمنى أن تصبح بلاده بلاداً صناعية ، ولكننا نعلم كذلك أن يكون التصنيع مبنياً على أسس علمية دقيقة ، كصناعة النسيج التي قام بها طلعت حرب فحقق بها معجزة ومفخرة ، أما أن نصنع من الإبرة إلى الصاروخ فهذا هو الخطأ الفادح ، فلا الإبرة المصرية نجحت ، ولا يستطيع أحد أن يخيط بها شيئاً واحداً ، وهي والدبابيس ترتدّ لئلا تستعملها بدل أن تحترق القماش أو الورق ، أما الصاروخ المصري فقد ظل في حرب ١٩٦٧ صامتاً هادئاً بدون حركة أو نشاط .

وعندنا مصانع للسيارات اسمها «مصانع النصر» تيمناً باسم
عبد الناصر، وأنا وسواى من الناس نرى سيارات «فيات» تحملها
الاوريات وتحترق بها شوارع القاهرة، قادمة من إيطاليا لتصل إلى
شركة النصر لصناعة السيارات، وبعد قليل تخرج هذه السيارات كأنها
صناعة مصرية ١١٩ وتلك خديعة لا تليق.

بل إنى أرى ويرى معى الناس سيارات كبيرة كتب عليها «مصانع
الطائرات» ولا بد أن فى هذه المصانع مهندسين ومجلس إدارة ورئيساً
لهذا المجلس، ولكننا لم نر بعد طائرات مصرية، وربما لن نراها فى
المستقبل القريب، وعلى هذا فأغلب ما يقال عن الصناعة زيف فى زيف.

ولنعد الإنتاج الفعل الذى تنتجه مصانع ذلك العهد، ومن المؤكد
أن المهندس المصرى، والعامل المصرى مشهود بكفاءتهما إلى أبعد
الحدود، ومع هذا فإنى أنا وأنت نترك السلعة المنتجة محلياً لشترى سلعة
مستوردة ابتداء من الأقفال والحنفيات إلى قطع الفيار والأدوية، وغير
ذلك مما تنتجه هذه المصانع.

ما السبب فى هذا مع ما حُرِف عنا من حق فى الوطنية وحب
فى السير بهلادنا إلى مستوى أرفع؟

الإجابة هي سوء الإدارة وسوء التنظيم ، ومن هذا وذاك يشكو المهندس والعامل والمستهلك .

وقد أشرنا من قبل إلى مصنع التليفزيون والراديو الذى كان بالإسماعيلية ، وقد قطع جمال عبد الناصر علاقاتنا بألمانيا ، فتوقف بسبب ذلك ورود أجزاء الأجهزة التى كانت تردُّ لنا لنقوم بتركيبها وإخراجها على أنها صناعة مصرية ، وكان مهندسو هذه المصانع وعملها يذهبون لقضاء سرتباتهم فى أول الشهر ثم يعودون إلى الفراغ والضياع باقى أيام الشهر .

رغم هذه التسلية الفادحة فى هذا المصنع وأمثلة تخرجُ للناس ميزانيات تتحدث عن أرباح طائلة ، ويقول المظالمون إن كل مصنع كانت له ميزانيتان إحداها حقيقية خايرة ، وهذه تظل سرّاً ، والثانية معلقة تعلن على الناس .

الاتحاد الاشتراكي

أصدر الرئيس محمد أنور السادات ورقة لتطوير الاتحاد الاشتراكي، وحسبت آنذاك أن الدنيا كلها ستجتمع على إلغاء هذا النظام ليحل محله نظام الأحزاب، وأخذت أنتبه النقاش في هذا الموضوع وأحياناً أشارك فيه، ولقد راعني أن كثيراً من الناس ردّوا نفس العبارات التي كان يرددها جمال عبد الناصر، والتي تقول إن الاتحاد الاشتراكي تحالف لقوى الشعب العاملة، وأنه خير لمصر من الأحزاب.

وأنا في كثير من الأحوال ألتبس العذر لشعبنا العزيز عندما يتبع فكرياً آثاره عبد الناصر أو يردّد كلمات وتعايير قائلها وابتكرها، وذلك لأن وسائل الإعلام كانت تلتقط عبارات عبد الناصر وتردها عشرات المرات ومئات المرات حتى تصبح هذه العبارات من محفوظات الجماهير ومعتقداتهم، وهكذا سمع الشبان كلام عبد الناصر وحفظوه ولم يسمعوا غيره فآمنوا به، وهذا ينطبق على الاتحاد الاشتراكي وعلى غيره من قيم ذلك العهد وأتجاهاته.

ماذا رأينا من الاتحاد الاشتراكي حتى نتمسك به ؟

وهل حقيقةً هو تحالف لقوى الشعب العاملة ؟

من الواضح أن هذا التحالف تعبير يقال وليس له أى ظل من الواقع ، فلا المثلث يعرف الطريق إلى الله ، ولا العامل ، ولا الفلاح ، ولا سوام ، وإنما هناك بمنزلون يُختارون ليصبحوا في البناء الشاهق أسماء أو كالأسماء وفيما عدا هؤلاء فإن البناء الفاخر على كورنيش النيل لا يستطيع أحد من طبقات الشعب أن يقرب منه .

ولم نر قط أية فائدة من أى نوع من الاتحاد الاشتراكي ، لقد ظل صامتا طيلة السنين الماضية ، يعيش في قلاع الحصينة المنعزلة تماماً عن الخارج ، وحتى عندما هب نسيم الحرية وانطلق أعضاء مجلس الشعب يسألون ويستجوبون ويقترحون القوانين، وعندما هبت الصحافة حاملات علم الحرية ، ومعلنة كلمة الحق ، وعندما انطلق المفكرون يكتبون ويتكلمون ، ظل الاتحاد الاشتراكي يخط في نومه ، بعيداً كل البعد عن مشكلات الحياة المصرية وعن المساهمة في حلها .

لقد عابوا الأحزاب ، ولا شك أنه كانت هناك في الأحزاب عيوب ، ولكن القدي لا شك فيه أن الأحزاب حققت الكثير من الخير لبلادنا فيما يتعلق بالمشاكل الداخلية والمشاكل الخارجية ، وطالما صرخ رجال الأحزاب في وجه الباطل ، وينبذ لمن يريد أن يتكلم عن الأحزاب خيرها وشرها ألا ينسى الظروف القاسية التي كانت تسيطر على البلاد

في ذلك العهد ، فقد كان الاحتلال جائئاً على صدر البلاد ، وكان الملك آثمًا ، ومع هذا فقد حققت الأحزاب نجاحاً لا يمكن أن نضع معه في الميزان ماحقهه هذا النظام الذي يسمى بالاتحاد الاشتراكي .

وينبغي أن نقرر أن الأصوات القوية التي تدافع عن الاتحاد الاشتراكي هي في الحق أصوات المنفعين به الذين نالوا وينالون فيه الوظائف العالية أو يحصلون على الثراء الرفيع بواسطة ، والعجيب أن بعض الشبان دافعوا عنه وهاجوا الأحزاب مع أنهم لم يروا الأحزاب ، ولم يعيشوا عصرها ، وإنما سمعوا ولي الأمر يهاجمها فقلدوه ورددوا عباراته .

إن أساس الحياة الناجحة الذي لا أساس سواء هو أن توجد حكومة تباشر الأمور ، ويوجد حزب أو أحزاب في صفوف المعارضة تغربل وتنقد هذه الحكومة ، وقد كانت حكومة عبد الناصر لا تقبل النقد ولا المعارضة ، ومن هنا حاربت مبدأ الأحزاب حتى لو كانت نقيّة دقيقة .

ولقد آن الأوان لتنفيذ الاتجاه العالمي السليم في الأحزاب وفي الصحافة ليدرك كل مسئول أن هناك عيوناً تراقب وتنقد ، وقوى تتكلم ، وحسينذ فقط نتعاضد السقطات الضخمة التي عاينناها في غيبة المعارضة والنقد .

أقد كان مجلس الشعب في الماضي يعينه الرئيس ، وكان أيضاً يعين أعضاء الاتحاد الاشتراكي ، ويعين رؤساء التحرير في الصحف ، وهو

في الوقت نفسه يخيف كل هؤلاء ، ولا يسمح لهم إلا بتريد ما يراه .
فلنزل الفضاوة عن العيون ، ولنطالب بأحزاب محدودة العدد من
جانب ومحددة البرامج والأهداف من جانب آخر ، فذلك هو السبيل
الذي رسمته كل الحضارات والمدنيت .

ويقول الأستاذ الدكتور محمد حلي مراد^(١) : إن تجربتنا أثبتت
أنه لولا غيبة المعارضة في مصر لما وقع الكثير من الأخطاء والمتاعب
التي نشكو منها حالياً ، ولما قُضي على سيادة القانون ، واعتدّى على
القضاء ، واستباحت الحرمات ، ووقعت حوادث التعذيب ، وكُمّمت
الأفواه ، وقُصّيت الأفلام ، ونشأت سرا كز القوى ، وأُرى البعض
نراه غير مشروع ، بل لما وقعت هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ .

وقبل أن نترك الاتحاد الاشتراكي ينبغي أن ندون بعض
ملاحظات كانت دائماً تخطر بهالي كذا ، استعداداً لظروف القاهرة أن
أدخل هذا البناء ، أو أسره قريباً منه .

وأولى هذه الملاحظات هي أن رجال المباحث والخبرات يطوفون
حوله دون انقطاع ، ولا يسمحون لأحد بالوقوف بجواره أو بارتياحه
دون صك اللورور ، وكنت دائماً أسائل نفسي : هل يمكن أن يكون

(١) صحيفة الأهرام في ١٩ / ٦ / ١٩٧٥

هذا البناء يمثّل قوى الشعب العامل مع أن قوى الشعب العامل لا تقرب منه ولا تدخله ؟ .

ومن يخف أولئك الذين يعيشون به حتى أحاطوه بهذا السياج من المباحث والحرس مع أنهم يدّعون أنهم يمثلون هذا الشعب ؟ .
وملاحظة أخرى كانت تراودنى كلما دخلت هذا البناء ، هى أن صمماً رهيباً يعيش فيه ، وأنه نظيف جداً ، وليست به ذبابة واحدة ، والسجاد الفاخر الملقى بطرقه وممراته وحجراته لم تخطُ فوقه قدم ، وكنت كلما رأيت ذلك انطلقت صرخة فى جوائى تقول : إن هذا البناء غريب فى بلادنا ، ولا يعكس حياة قوى الشعب العامل ، وكيف يقال إنه يمثّل الشعب العامل مع أنه بعيد فى جميع سماته عن هذا الشعب وعن حياته .

ولو قارنا هذا بأبنية الأحزاب كما رأيناها لكان الفرق شاسعاً ، فراكز الأحزاب كانت مفتوحة للجميع ، وكانت منتدًى وملتبقي للشباب والشيوخ والمتعلمين والعمال والفلاحين .
وفى مطلع حياتى كنت أرتاد هذه المراكز فأجدها تبيج بالزائرين والوافدين حتى كأنها معاهد للسياسة والوطنية .
فى اعتقادى أن الاتحاد الاشتراكى هاش ممره فى عزلة ، وسيموت

يوماً ، ولكنه لن يجد شخصاً واحداً يؤمنه إلا أولئك الذين استغلوه
أو استغلوا الشعب عن طريقه .

والذي يبدو أن الاتحاد الاشتراكي مات فعلاً في كثير من
الأمكنة ، فكيفنا يُفترض أن يكون بها وحدة للاتحاد الاشتراكي ،
ولكني أقرر أنها منذ مدة لا توجد بها وحدة على الإطلاق ، ولا نسمع
بها ذكراً للاتحاد الاشتراكي ، ومثل كلتنا كليات وأما كن أخرى
كثيرة ، فلنصرخ صرخة الحق ، لنعود للوضع السليم ، ولنغني هذه
الترسمية إلى الأبد .

وسيرى الناس جميعاً إعراض الغالبية العظمى عنه يوم يتحقق
مارسه الرئيس أنور السادات من أن الانضمام له اختياري ، حينئذ
سيصبح هذا السكان جسماً بدون روح .

الاتحاد الاشتراكي في عهد الرئيس :

رسم الرئيس أنور السادات خطاً جديداً للاتحاد الاشتراكي
فأعلن أن الانسحاب له اختياري ، ومن الحق أن نقرر أن وجود
أنور السادات ظللاً لهذه المؤسسة يُمدّ حياة كبرى ، فلأنور السادات
ثقل في نفوس الناس ، لما قدمه إليهم ولمصر الحبيبة من خير وأفضال .
ولكني أقرر من ملاحظاتي ومشاهداتي الدقيقة ، أن هناك حدثاً

على القيد من الجهات الرسمية في الريف والمدن ، وأن هذا الحث انقلب إلى تهديد في كثير من الأحوال .

وهناك كذلك اتهامات نشرت الصحف ألواناً منها ، فبعضها يشير إلى أن تسكيمات مهمة بدأت منذ فتح باب القيد للاتحاد بالاتحاد الاشتراكي ، وأن أصحاب هذه التسكيمات حرصوا أحياناً على قفل باب القيد قبل أن يتقدم معارضوهم للقيد به .

وهناك ما يشير إلى أن القوى هي هي ، والأسماء هي هي مما لا يُشعر بتغيير ذي بال .

وقد نشر الذين يميلون للأحزاب ، ويرونها الوسيلة الحقة للديمقراطية الصحيحة ألواناً من البحوث والدراسات أظهروا فيها تحوُّفهم من إمكان وجود تعارض بين المنابر المختلفة في الاتحاد الاشتراكي ، فإذا تسكَّلت اليساريون في جانب ، ووقف المعتدلون في جانب آخر ، فكيف يمكن أن يجمعهما إطار واحد ؟

وأنا شخصياً وقفت متردداً في الالتحاق بهذه المؤسسة لما كتبه عنها في الطبعة الأولى والثانية من هذا الكتاب ، ولكنني سمعت نغمة تفاؤل عند بعض الناس فخطر ببالى أن أكون متفائلاً ودخلت هذه المؤسسة حتى لا يفوتني أن أسهم في خير بلادي إن سارت هذه المؤسسة في طريق الخير ، فإن عادت القهقري إلى حياتها الأولى عُدت أدراجي إلى السلبية كما كنت من قبل .

عهد في الميزان أو حصيلة عشرين عاماً

يقضى الفكر الاجتماعى أن يتوقف الإنسان من حين لآخر
وينظر خلفه ليحاسب نفسه وليعرف ماذا كسب وماذا خسر ، وما سرُّ
الكسب أو الخسارة ، أو باللغة العالمية يتوقف قليلاً لتقييم عمله .

فهل وقف جمال عبد الناصر طيلة عهد حكمه ليرى نتائج سياسته ؟
وليُحدِّث فيها بعض التغيير نتيجة الدرس والحساب ؟

كل المعلومات تجيب بالنفى ، فالسجون والمعتقلات بقيت كما هي
ولم تنقل إلا بعد انقضاء عهده ، والحراسة ، والمخابرات ، وعلاقاتنا مع
دول العالم ، وفصل القضاة ، وصراعنا الأعمى مع إسرائيل كل
هذا ظل كما بدأ حتى زال هذا العهد .

والفترة التي حكمها عبد الناصر تعتبر فترة انقلاب فكرى
 واجتماعى فى العالم كله ، لأنها الفترة التي صعد فيها الإنسان إلى
 القمر ، وطوّر فيها كل شيء فى الميدان الصناعى والزراعى
 والاجتماعى ، وقد سارت كل دول العالم فى مجال التقدم ، وإن اختلفت

نسبة التقدم تبعاً لاختلاف الظروف والأحوال ، وحسبك أن تفكر في الدول التي تشبه في مستواها مصر فتضع في الميزان دولة مثل إيران أو تركيا أو العراق أو السعودية لترى كيف كانت سنة ١٩٥٢ وكيف أصبحت سنة ١٩٧٠ وستجد إن التحول الذي حدث في هذه الدول في كل مجالات الحياة تحول يدعو للدهشة والإعجاب ، بل لو نظرنا إلى الدول التي نعمت بالاستقلال في الستينات مثل تونس والجزائر لرأينا أنها حققت حتى الآن مفاخر رائعة في جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياحية وغيرها .

ماذا حدث في مصر خلال هذه العشرين عاماً ؟

وما مدى التطور الذي حققناه في هذا المجال أو ذاك ؟

إن الإجابة سنراها - فيما سنعرضه بعد قليل - حزينة مسيرة ، لأننا لم نحقق أى تقدم ، بل لم نبق كما كنا ، وإنما تراجعنا أشواطاً وأشواطاً إلى الوراء ، ويصدق ذلك على أساليب الزراعة وعلى مياه الشرب وعلى المواصلات ، وعلى صناعات ما قبل الثورة ، وعلى التليفونات والمجاري وغيرها كما سنرى بعد قليل ، هل أن مصر كانت من أحوج البلاد لتحقيق تقدم واسع في سيرها الحضارى ، لأنها حرمت خلال فترة طويلة من الإصلاح الاجتماعى ومن تنمية الفسك والرقى بالمرافق والصناعات .

... وذلك خلال العهد المملوكي الذي لم يكن السلاطين خلاله على درجة مناسبة من التقدم الفكري ، وخلال العصر العثماني الذي اتجه بكل نشاطه إلى الأمور العسكرية ولاقى هزائمه تفوق انتصاراته ، وكذا نعانى مع العثمانيين نتائج الهزائم ولا ننعم بهم بنتائج الانتصارات ، ثم جاء الاستعمار البريطاني فعانت البلاد شرور العثمانيين وشرور الاستعمار البريطاني في آن واحد .

وانقشع عنا ظلام العصر العثماني وخفت وطأة الاستعمار البريطاني بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وبمهادنة سنة ١٩٣٦ فحققنا السكبر من التطور في الميدان الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، ولكن الاستعمار وصراعنا ضده كان يحول دون الانطلاقة الواسعة نحو التقدم .

وزال الاستعمار البريطاني وكنا نتوقع جولة واسعة وسريعة في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ولكن جمال عبد الناصر اتجه للأسف للخارج ونسى الداخل تماماً ، فذهبنا نضرب في مكان وننفق في كل مكان ، إلّا في مصر التي لم تنم بها إلّا مشروعات وهمية ذكرناها فيما سبق ، وأصبحنا كالشجرة تلتقي ظلها وثمارها بعيداً عن أصحابها ، وكان من نتيجة ذلك ما نعاينيه الآن مما سنمطلي به من الصور عنه .

صور مرئية من عهد عبد الناصر

بقى على أن أذكرك بصورة بلادك التي تراها كل يوم ، وما
أكتبه هنا - هو بالإضافة إلى أنه تذكير لك - تسجيل الجيل جديد
لم يأت بعد ، ليعرف كيف عشنا ، وبدرك ما عانينا ، وأرجو أن يعيش
هذا الجيل في ظروف أحسن من الظروف التي عشناها ، وأن يشكر الله
أن احتملنا الصعاب حتى أسلمناه لبر السلامة .

والآن إليك بعض الصور المرئية :

— الأمية تستوعب أكثر من نصف المواليد الذين جاءوا للحياة

في عهد عبد الناصر .

— مدينة القاهرة الحبيبة : تعيش تحت ثقل السنين والقرون ، وحسبك

أن تُطَّلَّ من الأدوار العليا من دار أخبار اليوم لترى أكواخ بولاق
وبيوتها المتداعية ، ومثل هذا المنظر تراه في حى الأزهر الذى يبدو من
الداخل كما وجد منذ قامت هذه المنطقة في عهد الفاطميين ، وتراه
كذلك في باب الشعرية وعلى شواطئ النيل في ماسبيرو ومصر القديمة
وطره ، وتراه في أى زقاق تنحدر له من الأزقة المتفرعة من شارع الجيش

وشارع عبدالعزيز وما إن ترك العابر الذى نطل على الشارع وتنساب بضعة أمطار بالداخل حتى تجد نفسك فى عالم لا يابى بالقرن العشرين وبأ كبر عاصمة فى إفريقيا .

لماذا لم تتجه يد عبد الناصر بعد أن زال الاستعمار لتزيل الآلام عن القاهرة قلب العروبة وأعظم مركز إسلامى فى الأرض ؟ لماذا لم تقوم بهذه المناطق فاطحات سحب تحمل أزمة الإسكان ؟ لماذا لم ننقذ السكان الحاليين من مساكن لا تعرف الشمس ولا الضوء ولا الهواء النقي ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ لا أحد يجيب .

— القرية المصرية لا تزال تعيش فى ظلام الصور الوسطى ولم توجه لها — أية جهود ، ويقول هواة الأرقام إن النفقات التى دفعناها فى البين وحدها كانت كافية لإعادة بناء كل قرى مصر ، ونحن هنا نصرخ بأن القرية المصرية هى التى أخرجت أكثر العلماء والضباط والجنود ، وهى التى تنتج الطعام والخضروات والفواكه ، ومع هذا فهى محرومة من كل شئ ، لأنها تستحق فى عهد النور تخطيطاً منظمًا لإعادة بنائها ، وضمان المياه الصالحة للشرب لها ، وضمان النور ، والنظافة ، والطب ، والمدارس ، والأندية ، والطرق الداخلية بها ، والطرق التى تربطها بسواها ، وحرام أن نضيف يوماً واحداً إلى

العهد الماضى سهل فيه القرية المصرية التى تمنح كل شئ ولا تنال شيئاً .
حرام أن يبقى فيها الحفاء والجوع والأسمال والأكواخ ، والجمل ،
والانمزالية ، والأسراض ، فلندفع بقرينتنا إلى النور فى عهد
الأمل والعبور .

ويقولون إن سكان الريف يتدفقون إلى المدن وبخاصة إلى القاهرة ،
حتى أصبحت المدن تضيق بالسكان ، وأصبحت القاهرة توشك على
الانفجار ونقول لهم إن الوسيلة الحقة لإيقاف الهجرة هو محاولة
الرقى بالريف ، وبدون ذلك ستستمر الهجرة كما حدث على مر التاريخ .
إن العناية بالريف لن توقف الهجرة فحسب ، ولكنها يؤمل أن
تقوم بعمل مضاد ، أى أن تجذب بعض الناس الذين تقل مصالحهم
بالمدينة إلى اللجوء للريف حيث الخضرة والطبيعة الجميلة والهدوء الرائع .
— الفلاح المصرى لا يزال يستعمل وسائل الفلاحة التى كانت
تستعمل منذ آلاف السنين ، كما جاء فى بيان الرئيس أنور السادات
والرئيس نيكسون .

— المواصلات داخل المدن ، وبين مدينة ومدينة لا تلبق
بالبشر ، ولقد أصبحت عربات الكارو أسهل المواصلات بمصر
وأكثرها أمناً .

— ١٩٢ —

— المرافق : مياه الشرب تنزل من الحنفيات حافلة بالأكراد والأوساخ ، والمجارى تندفع فى كل مكان ، وانقطاع الكهرباء شئ عائد للناس .

— صناعات ما قبل الثورة ونكستها : كانت عندنا قبل الثورة صناعات ناجحة ، ولكن انتكست كنكسة يونية سنة ١٩٦٧ ، ومن هذه الصناعات صناعة الصابون والزجاج والعلطور والجلود وغيرها .

— اسم بلادنا ونهايته على يد عبد الناصر : لقد قضى عبد الناصر على اسم بلادنا التاريخى (مصر) وسماها الجمهورية العربية المتحدة ، لتكون تلك التسمية إطاراً للدول العربية التى توقع أن تندمج فى الدولة الجديدة ، وأعلنت سوريا الانفصال ، وبمذنا عن كل الأقطار العربية ومع هذا ظلت هذه التسمية بدون مدلول ، ونحن ندعو بالخير للزعيم الذى أعاد لبلادنا اسمها الحبيب .

— صناعات المزيمة : وليتذكر القارىء حقيقة خطيرة هى أن كل جهودنا الآن سياسياً وعسكرياً ترمى للعودة لخطوط ما قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، ومن أجل هذا المهدف أرقنا دماء الآلاف ، وذقنا الحرمان وشغلنا العيش ، ولا نزال .

من الذى قام بمغامرة الخامس من يونيو ودفننا إلى هذا المصير ؟
لماذا تحررنا لوراء هذا التحرك المريب ؟

ولماذا فتحنا ميدانين للحرب في وقت واحد ، فبينما كانت جيوشنا وكثير من أسلحتنا لا تزال غارقة في صراع الين ، بدأنا صراعاً جديداً ضد إسرائيل ، وفتح ميدانين في وقت واحد هو عند العسكريين فتح باب فسيح للهزيمة .

— مديرية التحرير : تعبير يزكم الأنوف دائماً ، ويثير النساء دائماً ، وتحدث الجماهير سرّاً وعلانية عن خيانات وصور من الإهمال والجهل تتصل بمشروع «مديرية التحرير» ومع هذا نظل نعيش في غموض ، ونرجو أن يحىء اليوم الذى نعرف فيه حقيقة الأمر ، وهل هناك جماعات خانت الشعب وأموال الشعب باسم هذه المؤسسة ؟ — إهمال حقوق الشعب فى استفتاءات عبدالناصر : سألقى قارئ عربى لماذا كانت نتائج الاستفتاءات المتصلة بعبد الناصر تمثل شبه إجماع؟ مع وجود الانحرافات التى إن جبهلها البعض فقد عرفها الآخرون؟ ويبدو أن هذا المتساءل قرأ كتاب محمد حسنين هيكل عن عبد الناصر ، وفى هذا الكتاب يسأل الأستاذ فؤاد مطر عن ارتفاع النسبة المئوية فى الانتخابات المتصلة بعبد الناصر أو بمشروعاته ارتفاعاً يتسم بالمباغة حين يصل إلى ٨٤ ٪ / ٩٩ أو أحياناً أكثر من ذلك ، ويجب هيكل بأن حماسة الناس لعبد الناصر كانت غلابة ، وأنه حرص

(١٣)

على تتبع حماسة الناس في الاستفتاء على الميثاق وبيان ٣٠ مارس وكان هناك الدفاع هائل للاستجابة والموافقة^(١) .
وأشهد الله أنى هنا أروى تجربتى التى انطبقت على جماعات لا يحصيهم العدد ، وهى كالآتى :

— لم يكن هناك أحد يستطيع أن يتخلف عن الاستفتاءات أو أن يقول غير ما يريد به جمال عبد الناصر ، والويل كل الويل لمن تحدثه نفسه بذلك ، فقد كانت المعتقلات مفتوحة ، والتعذيب فى انتظار المعارضين بدون شفقة ، ومن هنا جاء التدفق الذى رآه هيكل .

— بل لم يكن فى استطاعة أحد أن يمارس هذه الاستفتاءات بطريق الكتابة ، وربما لو حاول ذلك يعرض نفسه للخطر .

— وقد ذهبت مرة إلى صندوق الاستفتاء بالمعادي ، وأنا معروف جداً فى هذه الضاحية ، ولما وقعت أمام الذين يجلسون أمام الصندوق قال لى أحدهم : أهلا يا دكتور شلبي متشكرون . وعدت أدرجى دون أن يسألنى رأى فهو يعرف أن ليس لأحد رأى ، وسررت بذلك لأنه كفى مثوثة الكذب ، وحل ذلك بالنيابة عني ، وحدث ذلك مع كل الناس فى هذه الدائرة .

(١) بصراحة عن عبد الناصر س ١٠٨ - ١٠٩ .

— وفي قريتنا « عليم محافظة الشرقية ، كان هناك شاب اسمه « غريب حجازى » لم يكن لديه ما يخاف عليه ، فدخل اللجنة وطلب بطاقة الانتخابات ليمارس حقه كتاباً ، واضطربت اللجنة ، وتجمع ذوو الشأن بالمركز ، وكلهم يخاف أن يوجد فى صندوق الدائرة صوت يقول « لا ، لعبد الناصر وهددوا هذا الشاب بكل الوسائل ، وتمسك الشاب بموقفه ، وجرت اتصالات على مستوى عال خضعوا بعدها للشاب ولسكن بعد ما أشاعوا عنه بأفى به اختلالاً عقلياً أو نفسياً يعفيه من المسؤولية .

— وفي إحدى الانتخابات بوحدة من وحدات الجيش لم يكن المرشح عبد الناصر بل أحد أتباعه هو « محمد فائق » وكان يشرف على الانتخابات ضابط مخلص من ضباط الجيش ، وسارت الانتخابات عادية ، يمارس كل عضو حقوقه فيها كما يرى ، وقبيل النهاية جاء مندوب من القصر الجمهورى ليسأل عن سير العمل ، فأجيب بأن كل شئ يسير سيراً عادياً . ودهش هذا الرجل وسأل : ما النتيجة بالنسبة لمحمد فائق ، وأجيب بأن لا أحد يعرف وفهم من هذا أن الانتخابات حرة وأن محمد فائق قد يرسب فيها أو ينجح بنسبة لا ترضى ولى الأمر ، فصرخ : لا يمكن هذا ، واختفى هنيهة ثم عاد بحقيبة حافلة ببطاقات

جديدة ملئت كما بهوى محمد فائق أوسيده ، ووضعت هذه البطاقات في الصندوق وأخذ الرجل في حقيقته الأوراق الصحيفية ، ثم أعلنت النتيجة فكانت كالمهد بها أكثر من ٩٩٪ .

— وفي إحدى المرات كان على مجلس الشعب أن يرشح عبد الناصر لرياسة الجمهورية تبعاً للدستور ، ومجلس الشعب عينه عبد الناصر ، وهو لهذا طوع يديه ، ومع هذا فقد صدرت التعليمات لكل المؤسسات والبلدان أن تزحف إلى مجلس الشعب تطلب منه أن يرشح عبد الناصر ، وصدرت هذه التعليمات أيضاً لأساتذة الجامعة ، وزحفنا إلى مجلس الشعب ولم نكن نملك غير هذا إلا إذا كننا مستعدين للفصل من الجامعة كما حدث لزملاء كثيرين منا ، أو مستعدين للتعذيب كما روى لنا بعض الزملاء الذين عذبوا ، وكننا في طابور الزحف ينظر بعضهم إلى بعض نظرات فيها سخرية وفيها شكوى إلى الله ، ولعل هيكل رأى زحف أساتذة الجامعة لمجلس الشعب فأعجبه هذا وأطربه .

وعلى هذا لم تكن الانتخابات والاستفتاءات مؤشرا صادقا لإقبال الناس على عبد الناصر وحاستهم له ، وكان هناك — على كل حال — وسيلة واحدة عبر بها الشعب عن انصرافه عن عبد الناصر تماما ، تلك الوسيلة هي الصحيفة التي كان عبد الناصر نفسه صاحب امتيازها ، صحيفة

الجمهورية ، فقد تجاهلها الجمهور تماما ، وأخذت تصدر بالليل وتصدر بالنهار دون جدوى ، ووضع عبد الناصر في هيئة تحريرها خيرة الأسماء والعمال المفسكين ، ولكن أحدا لم يقدم عليها ، وتركها الناس تموت موتا بطيئا ، فلقد كان انصرافهم عنها هو وسيلة التي لا تقاوم لبيان مخطئهم على هذا العهد الأسود .

وفي ختام هذه الدراسة الواقعية لأريد أن يسخر منا الناس ، وأن يصيّمونا بالجين ، فلقد ثرنا في الجامعة على الظلم ، وثار العمال في كنف الدوار ، وثار الإخوان المسلمون ، وثار رجال القضاء ، وثار المحامون والأطباء ، وثار الطلبة . . . ولم تبق هيئة إلا ثارت ضد الظلم ، ولكن زعماء الشرطة وزعماء الجيش كانوا أدراة في يد عبد الناصر لضرب هذه الثورات وقمع الحركات الوطنية بعد أن سلبت قوة الجيش التي كان ينبغي أن تواجه أعداء الإنسانية في إسرائيل .

صور صوتية عن حكم مصر من فاروق إلى السادات

— وهناك صور صوتية يردّها الناس ، وهي ترتبط بآخر ثلاثة
حكّوا مصر : فاروق — عبد الناصر — السادات .

وتقول هذه الأصوات : لقد حرّكت مصر فاروق وزوجته وأولاده
وصاردرت قصوره وأملاكه ولكن هؤلاء تذكروا مصر وهي تجاهد
سنة ١٩٧٣ ، وبعثوا ببعض المال واشتركوا في مظاهرات بأوروبا
لتأييد مصر .

وتقول هذه الأصوات عن أسرة جمال عبد الناصر : إن الدولة
تصرف لها مرتبات الرئيس ومخصصاته ، على الرغم من أن كثيراً
من أولاده تخرجوا وتزوجوا ، وهيئت لهم وظائف سخية ، وعلى
الرغم من أنهم لا يزالون يعيشون لا أقول في قصر ، وإنما في شارع
خاص بهم بقصوره وحدائقه وبما يصل له الخيال ومالا يدركه الخيال ،
ولكن هؤلاء لم ينشر عنهم أنهم اشتركوا بطريق ما في حومة
الوغى ، ولم يقدموا قرشاً واحداً للدماء والأرواح التي لاقت ربهما
والتي تستعد للقاء .

وتستمر هذه الأصوات لتنتقل في كثير من الدهشة خبر خطوبة ابن جمال عبد الناصر الحفيدة البدر اوى باشا عاشور ، وتبدى حيرة بالغة ، فقد عاش جمال عبد الناصر عمره يهاجم الإقطاع ويصادر الإقطاعيين ، فكيف لم يتأثر به ابنه ؟ وكيف أتى بنفسه في أحضان ما يسمى الإقطاع وتقول الأصوات إنه يبدو أن الابن قد قفز إلى الطابوقة التي عاش أبوه ومات وهو يجاربها .

وتنسب هذه الأصوات إلى مراكز القوى علامات أعمال القرصنة ، ومع أننا لا نوافق على استعمال تعبير « مراكز القوى » ، نرى أن نحاسب عبد الناصر نفسه على كل ما نسب لما يسمى « مراكز القوى » فنحن في هذا الموضوع بالذات نوافق على أن ننسب هذا العمل لهذه المراكز لسبب ضرورى هو أنها ارتكبتته بعد وفاة جمال عبد الناصر ، والذين يتكلمون عن موضوع القرصنة هنا هم جماعة من الخبراء يؤكدون أن « التركيبة » الرخامية نادرة المثال الموضوعة فوق قبر جمال عبد الناصر مأخوذة ظالما من الضريح القدى كان الأمير محمد على توفيق قد أعدّه لنفسه . فهل هذا صحيح ؟ وهل جلال التركيبة فى الخارج سيعفى الجثة الخبيثة بالداخل من الحساب ؟ .

وتصل الأصوات إلى الرئيس السادات فتذكر أن الرجل يبذل

طاقة أكبر من طاقة البشر ليعالج أمراض البلاد ، وأن أخاه كان من شهداء الحرب ، وأن زوجته خرجت تكدح وتجاهد في سبيل الوطن ، وفي عدة مجالات ، وكان خروجها حافزاً لآلاف من السيدات المصريات للخروج إبّان المعركة وبعدها للاقيام بدور اجتماعي عظيم ، وبنات الرئيس خرجن وغسلن الأطباق بالمستشفيات ، وبذان كل مافي وسعمن لخدمة الوطن والمعركة .

وقد نلخص أنور السادات أشواط السكفاح التي عاناها من أجل مصر بقوله لو فد من أساتذة الجامعات الأمريكية : لقد عملت بصفة مستمرة من أجل الشعب :

ففي عام ١٩٧١ حققنا لمصر دستورا أنما وصفينا المعتقلات
وفي عام ١٩٧٢ أنهيت خدمة الخبراء السوفييت وقضيت على نكسة
الولاية علينا

وفي عام ١٩٧٣ تمت حرب أكتوبر المجيدة بانتصاراتها الرائعة
وفي عام ١٩٧٤ وضعت سياسة الانفتاح
وفي عام ١٩٧٥ أعيد فتح قناة السويس للنشاط العالي .

ونحن نسجل هذه الأصوات بدون تعليق .

— وصورة أخيرة نلتقطها من أخبار اليوم (٢٧ / ٧ / ١٩٧٤)

يصرخ فيها المحرر بأننا في حاجة لمن ينتقم لنا من رئيس شركة المياه الغازية الذي يبيع لنا الصراصير داخل الزجاجات .

نريد أن يستجوب لنا وزير التموين عن الجمعيات التعاونية التي تباع الفراخ المغنفة ، والأسماك غير الطازجة ، والزيت غير النقي ، والصابون الذي يلهب الجلد ، والسكر الأسمر اللون .

ونريد من يصرخ في وجه شركة الأدوية التي تباع فيتامينات بلا فيتامين ، وحقنها بها شوائب ، وأدوية فقدت فعاليتها .

وهذه الخمازي هي نتيجة عصر المزايم ، ونتججه الجهود الآن لمعالجها بعد أن كَشَفَ النقدُ البناء القناعَ عنها ، وكانت من قبل مستورة يحميها مقص الرقيب ، وبالتالي يظل الداء بدون دواء .

وأريد في ختام هذه الملاحظات أن أقرر ما ذكرته من قبل أن العشرين سنة الماضية حقق فيها العالم أروع انتصاراته ، وقدمت البشرية خلالها أوسع خطواتها ، وينطبق هذا الكلام على العالم أجمع بنسب مختلفة ، ولكن مصر كانت وحدها التي تراجعت شوطاً بعيداً خلال هذه العشرين سنة ، وليس ذلك تشاؤماً ، وإنما هو حقيقة ، وقد عاش جيلنا الفترة الأخيرة التي سبقت عهد الثورة ، وحاربنا ملوكها ، وسدقنا للثورة بمرارة ، ولكن للأسف كان رغيـف

— ٢٠٢ —

مقابل الثورة أنقى وأنصح به أيضاً من رغبة همد جمال عبد الناصر، وكان الاقتصاد المصري أرسخ قديماً، وكان المجتمع المصري أشد أمناً، ومثل هذا يقال عن المواصلات والطرق، بل عن الأخلاق والذمم. لماذا تقدم العالم وتراجعنا ؟؟ .

سؤال يتحتم أن نتدارسه، ونعرف أسبابه بصدق، ونزيل هذه الأسباب لنعوض ما فاتنا ونحن نؤمن أن ذلك ممكن اليوم نفعله منأخذ مكاننا الطبيعي بين الشعوب .

وبعد، هل لا يزال هذا الجيل مضللاً بعد هذا البيان القصير المبرر ؟؟ .

الظروف التي ضللت بعض الإخوة العرب

زرتُ كثيراً من البلاد العربية - كما قلت من قبل - واستقبلت في القاهرة أعداداً وفيرة من العرب الوافدين على العاصمة المصرية ، ورأيت وسمعت هنا وهناك تصفيقاً وتقديراً وإعجاباً بعبد الناصر ، مع أنهم كانوا يرون ما نعانى ، ويرون تهافت شبابنا على الهجرة الدائمة أو الهجرة للعمل في بلادهم ، ويرون الفارق الكبير بين حياة الحرمان التي نعيشها وحياة الترف التي تشمل كل البلاد العربية تقريباً ، حتى كان بعضهم يعيّرنا بأننا أكلة الفول والطعمية ، وهم أكلة مالد وطاب ، ومع أنهم سمعوا عن كبوت الحريات ، وعن السجون والمعقلات .

ما الظروف التي ضللت هؤلاء الإخوة العرب ؟

ولماذا تخاذلوا عنا في محنتنا الداخلية وصفقوا لمن عذبنا ؟

هذا ما سنجيب عنه فيما يلي :

أولاً - العاجلة والتطبيب :

يقول الأستاذ صالح جودت في المصور الصادر بتاريخ ١٩٧٤/٢/١٥ :

« إحقاقاً للحق ، أقول إن « الماضي » (يقصد بالماضي جمال

عبد الناصر) كان له جانبان : الواجهة والتطبيق ، الواجهة رائعة ، قضاء على الرأسمالية ، والإقطاع ، والاستغلال ، والحزبية ، ومكافحة الاستعمار ، وتقوية الجيش ، وإنصاف الفلاحين والعمال ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، ونصنع البلاد ، وتوحيد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج .

واجهة رائعة ، بهرتنا في البداية ، كما بهرت الأمة العربية كلها ، إلى حد أن البدوي الساذج ، في عمق أية صحراء عربية ، كان لا يشتري الراديو إلا إذا تأكد أولاً أن هذا الراديو يحمل إليه صوت مصر ، الذي يبشر بهذه الواجهة الرائعة .

وهكذا آمن العرب بهذا « الماضي » إيماناً يقرب من العقيدة ، وأصبح صاحب هذا الماضي نصف إله ، تقام له التماثيل ، وتقدم له القرابين ، وتنشأ باسمه الهيئات والمنظمات التي تهتف باسمه وتعتنق أيديولوجيته .

هذه هي الواجهة .

أما التطبيق فقد كان شيئاً مختلفاً تماماً ، وكان التطبيق لا يصدّر إلى الخارج ولا يصل إلى أسماع العرب خارج حدود مصر ، وهكذا لم يُتبع لهم أن يعرفوا عن هذا الماضي إلا الواجهة دون التطبيق .

وكان التطابق هنا ، عافيناه - نحن المصريين وحدنا - ولم يكن
؛ من سمات الواجهة شيء .

وانطلق الأستاذ صالح جودت بعد هذه المقدمة يتحدث عن نماذج
سأ أوردناه من قبل : اضطهاد - سجون - كبت حريات - تعذيب
عقوبات - حراسة - مجاعة للشعب وإثراء حرام لفئة من الحاكمين . .
نقتبس فيما يلي سطوراً من هذا المقال مما لم نوردته من قبل . .

• العلماء الشبان في كل ميدان ، هربوا إلى الخارج وملأوا جامعات
لدينا ومعاهدها علماء وابتكاراً وذكاء ، وما نحن أولاء نستعجدهم في
هذا العهد ليعودوا إلى حظيرة الوطن .

• وفلذات أ كبادنا ، وأولادنا في الجامعة ، الذين أنفقت عليهم
مصر ما أنفقت ليتعلموا وليبنوا مستقبلها ، لم يبق لهم أمل بعد أن
بتخرجوا أجهل من أن يغادروا مصر ، ويهاجروا إلى الخارج ، حيث
العيش الرخي ، والرجل الصحيح في المكان الصحيح ، والجزاء على
نذر العمل .

• عمالنا المهرة : الميكانيكي والنجار والبناء وعامل الفندق . .
وحق السفرجي . . هجروا وطنهم ، وذهبوا إلى السعودية والكويت

وليبيا وغيرها من فجاج الوطن العربى ، التماساً للقيمة طيبة ، وابتعاداً عن القهر .

وهكذا كانت الواجبة التى حملتها أجهزة الأعلام عندنا إلى الإخوة العرب شديدة التأثير فيهم مع اختلافها التام عما صاحب الواجبة من تطبيق ، وكانت هذه الواجبة من الأسباب التى ضللت الإخوة العرب .

ألمانيا — الهجوم على الاستعمار ودراسة مولد :

على أن هناك أسباباً أخرى كانت شديدة التأثير فى الإخوة العرب كذلك ، ورتقت اللمة بينهم وبين جمال عبد الناصر ، ومن أهم هذه الأسباب أن عبد الناصر أطلق لسانه بحدة ضد الدول الاستعمارية ، وكان هناك خوف وكبت لدى الجماهير العربية فى هذا المجال ، فلما انطلق عبد الناصر يسخر من أمريكا ، وبلعن إنجلترا ، ويقلل من شأن ألمانيا ، ولما انطلق يدعو هؤلاء وأولئك ليشربوا من البحر الأبيض أو الأحمر كان عبد الناصر بذلك ينفس عن الجماهير ويعبر عما فى نفوسهم ، فأصبح بذلك لسانهم الناطق وعقلهم المفكر .

وفى هذا المجال نذكر الذين انتقنوا بهذا الموقف من عبد الناصر بحقيقتين مهمتين . . .

أولاهما : أن كثيرين من الزعماء المصريين سبقوا عبد الناصر فى

المهجوم على الاستعمار ، ومن هؤلاء المرحوم محمود فهمى النقراشى الذى صرخ فى مجلس الأمن فى الأربعينات قائلاً عن الإنجليز أنهم قراصنة ، ومن هؤلاء الزعيم مصطفى النحاس الذى ألقى معاهدة سنة ١٩٣٦ قائلاً : « لقد أمضيت هذه المعاهدة ويقتضىنى واجبى أن أنفيها » وأوقف كل هون وكل يد عاملة عن الجيش الإنجليزى ، ووظف كل عمال القناة ليجدوا لهم بديلاً عن العمل لدى قوات بريطانيا ، وكان ذلك أمضى سلاح هدد جنود الإنجليز فى القناة .

ثانيهما : أننا دفعنا الثمن غالياً لموقف عبد الناصر وهجومه على الدول الاستعمارية ، وكان من ذلك تلك الحروب التى دمرت حياتنا ، وكان منها توقف كثير من المصانع لعدم ورود أجهزتها من ألمانيا وغيرها .

ثالثاً — الهجوم على الملوك والرؤساء العرب :

ومن الأسباب التى كانت شديدة التأثير على الإخوة العرب أن عبد الناصر هاجم أكثر الملوك والرؤساء العرب ، وطبىعى أن كثيرين من الناس فى البلاد العربية ارتاحوا لهذا الهجوم ، لأنه كان كذلك تنقيساً عن أشياء فى نفوسهم ضد هؤلاء الملوك والرؤساء .
وتعالقنا على هذا السبب أنه أضعف الجبهة العربية ، وكان من

أسباب الهزيمة ، وقد تخلى عنه عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ وبعد تقديم الدعم الذى تطوعت به بعض الدول العربية بدفعه ، ومعنى هذا أن الهجوم على الدول العربية لم يكن له أساس صحيح ، وأنه كان من الممكن أن يشتري بالمال .

رابعا - فسوة عبر الناصر طأنت على الشعب المصرى وعمره :
ومن الأسباب التى كانت شديدة التأثير على الإخوة العرب أنهم لم يمسسهم سوء من عبد الناصر ، وربما مس الخير بعضهم ، فلقد كان عبد الناصر قاسياً على المصريين ومدمراً لحياتهم ، ولسكن نفوذه فى هذا المجال لم يتخط حدود مصر ، وفى نفس الوقت أنفقت مصر بسخاء على كثيرين من الوافدين العرب وبخاصة أولئك الذين لهم صلة بالإعلام والدعاية .

خامسا - الاقنوم المأجورة :

وأخيراً هناك سبب مهم جداً فى تضليل الإخوة العرب ، ذلك هو أن عبد الناصر اشترى من الصحافة العربية والأفلام العربية ما استطاع شراؤه ، وبذلك انتهالت أموال الشعب المصرى للخارج ، وجاع هذا الشعب ، وعملت هذه الأموال عمالها فى تضليل كثير من الشعوب العربية .

سادسا - بيروت تستغل سياسة عبد الناصر وتشجعها :

وهناك سبب مهم يتصل بلبنان بوجه خاص ، ذلك البلد العربى الذى وُجد به من يؤيد عبد الناصر أقوى تأييد ، ولكن السبب واضح يعرفه كل من له صلة بلبنان ؛ فلبنان بلد تجارى ، وسِلعة التجارة من نوع آخر غير السلع التى يعرفها العالم .

ومصر بالنسبة للعرب جنّتهم التى كانوا يرتادونها فيجدون بها كل ما يأمّلون ؛ وكانت لهم مشق ومصيفاً ووطناً ومعبداً ومستشفى .

فلما جاء عهد عبد الناصر وساءت علاقة مصر بكل العرب تقريباً اتجهت الوفود العربية إلى لبنان ، وأجادت لبنان انتهاز الفرصة ففتحت ذراعيها للوافدين ، ولكن الوافدين العرب لم يجدوا فى لبنان ما كانوا يجدونه فى مصر الرحبة السمحة التى لا تعرف الاستغلال ولا الانحراف .

وكان أذكىاء لبنان يخافون دائماً أن تعود مصر فتفتح أبوابها للعرب ، وعندئذ يفقد لبنان وفود السياح العرب ، وتُسحب الأموال العربية من بنوك لبنان وتكسد أسواق التجارة اللبنانية .

ومن هنا حرص كثيرون من الكتاب فى لبنان أن يمدحوا عبد الناصر ويزينوا له طريقه الذى سار فيه ، فأبعد عنه وفود العرب وملوك العرب .

وهناك حكاية شهيرة يرويها الكثيرون ، فقد سأل أحدُ المصريين مرةً صحفيًا لبنانيًا هذه السؤال : لماذا تحبون عبد الناصر وتبغون في حبه ؟

فصرخ الصحفي اللبناني قائلاً : نحن يا أخى لا نحب عبد الناصر فقط ، وإنما نعبده ، فعبد الناصر هو الذى فتح لنا أبواب الخير والثراء ، ولولاه ولولا سياسته ما هب علينا هذا اللسيم .

وعندما بدأت مصر سياسة الانفتاح قلق لبنان وقالت صحافته بوضوح إن الشرق العربى لا يحتمل حاصمتين منفعتين ، ولا يمكن أن يكون به رخاء لمصر ولبنان معاً . وكأنها بذلك تطالب أن نظل في الانطواء والانسكاش والعوز لتبقى لبنان في الترف والثراء .

ويوم يرفع العربى القناع عن عقله سيشارك مع المصريين في إحساسهم ، وسيدرك أن قوة مصر قوة للعرب ، وأنه لا رئيس بدون شعبه ، ولا قوة لفرد بدون تأييد الجماهه .

والآن نقرر أن هذه هى الأسباب التى قادتنا إلى الهزيمة وما كان يمكن أن نتصر مع هذه الجراح ، ولذلك نسأل لنتبين وجه الحق :
من المسئول عما وصلت له جبهتنا الدخولة من انهيار ؟

- ٢١١ -

ومن المسئول عما وصلت له علاقاتنا الخارجية من قطيعة وتوتر ؟
ومن المسئول عن هذه المزايم العسكرية التي لحقت بجيشنا
وأراقت دماء الآلاف من أبنائنا ؟

لقد عشنا في مصر قومية واحدة متحاببة متعاونة ، وكنا دائماً نحرص
على أطيب الصلات بالعرب والمسلمين وسوامهم ، وإذا استعرضنا تاريخنا
البعيد والقريب لا نضيق لنا أن جيشنا حقق أعظم انتصارات في التاريخ
القديم على يد أحسن وتمتس ، وفي التاريخ الوسيط ضد المغول
والإسلاميين ، وفي التاريخ الحديث في إفريقية والأناضول واليونان ،
ولذلك يحق لنا أن نسأل في حسرة :

من المسئول عن هذه المزايم العسكرية والسياسية والاقتصادية ؟
هل المسئول مراكز القوى أو مراكز النفوذ ؟
وما رأى تراثنا الإسلامي في هذا التعبير الذي انتشر وشاع ؟ .
إن الإجابة عن هذه الأسئلة ستوضح من الدراسة التالية .

مرا كز القوى

تعبير يرفضه التفكير الإسلامى

يختلف الكتاب فى مصر فى تحديد المسئول عن الكوارث التى
أوردناها، وأكثروا يتحدث عما يسمى «مرا كز القوى» أو «مرا كز
النفوذ» وهو نفس التعبير الذى استعمله الرئيس السابق .

أما الأستاذ صالح جودت فىلقى المسئولية على ما يسميه «الماضى»
وقد أوشك أن يحدد هذا «الماضى» عندما نسب له تنبؤات بعض
ملوك العرب ، وسبب أمهات بعضهم ، واتهام هذا بالخيانة ، وذلك
بالجنون ، ولكنه لا يزيد على ذلك، فهو يكتفى بتجديده بالوصف دون
أن يحدده بالاسم .

واسكنى كباحث فى الحضارة الإسلامية لا أستطيع أن أتبع هذا
الاتجاه أو ذاك ، فالتفكير الإسلامى لا يتيح لى نسبة ما وقعنا فيه من
كوارث إلى تعبير مبهم مثل «مرا كز النفوذ» أو «مرا كز القوى»
ولا يتيح لى غموض الحديث عن «الماضى» .

والتفكير الإسلامى يضع المسئولية بوضوح على ولى الأمر ،
فهو المسئول عن حسن اختيار مساعديه ، والمسئول عن مراقبتهم

ومتابعهم بعد الاختيار ، وقد روى عن الرسول قوله : من وَلِيَ
من أمر المسلمين شيئاً ، فَوَلَّى رجلاً وهو يجد من هو أصلح منه
للمسلمين ، فقد خان الله ورسوله . ورُوى عنه كذلك : من قَلَد رجلاً
عملاً على جماعة وهو يجد في تلك الجماعة من هو أفضل منه ، فقد
خان الله ، وخان رسوله ، وخان جماعة المسلمين^(١) .

وبناء على ذلك كان الخلفاء الراشدون يَعُدُّون أنفسهم مسؤولين
عن أخطاء مساعديهم حتى بعد أن يحسنوا اختيارهم ، وكان عمر
رضي الله عنه إذا أراد أن يختار والياً ذكر الشروط التي يراها
ضرورية فيه ، ثم يترك للحاضرين مساعدته في تحديد من تنطبق عليه
هذه الشروط^(٢) .

وعن مسئولية الرئيس في اختيار ولاته ، ومسئوليته في تتبع
أحوالهم بعد الاختيار يقول الإمام عليّ كرم الله وجهه : كُلِّي وَلِيَّ
الأمر أن يختار لأحكم أفضل الرعية ممن لا تضيق به الأمور ، ولا يتمادى
في الزلة ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون
أقصاه ، وينبغي أن يكون اختيارهم بالاختبار لا بالحباة والأثرة ، وعليه

(١) الدوكاني : نيل الأوطار

(٢) عباس المقاد : الديمقراطية في الإسلام ص ٧٩

إن يتفقد أعمالهم ، ويبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن
تَبِعَهُ لأمرهم حَتَّى لَمْ يَلْمِ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالْعَدْلِ مَعَ الرِّهْيَةِ (١) .
وتنفيذاً لهذا الاتجاه الإسلامي نذكر أن الخليفة طيب الذكر
عمر بن الخطاب عزل القائد الذي أبلى في خدمة الاسلام أعظم البلاء ،
خالد بن الوليد ، عند ما أحس بافتتان الناس به مما يوشك أن يكون
مركز قوة (٢) .

وفي القصة الشهيرة التي حدثت بين عمر والعجوز ، تقول
الرواية : إن عمر خرج في ليلة شديدة البرد كثيرة العواصف فرأى
من بُعد ناراً ، فهرول لها ليتعرف خبر أصحاب النار ، فوجد امرأة
ومعها أطفال ورأى قدراً منصوبة على النار ، وسمع الأطفال يبكون ،
فتقدم عمر نحو المرأة ، ودار حوار بين عمر والمرأة وضحت فيه المرأة
ما يعانيه أطفالها من جوع ، وكيف أنها تخدعهم بقدري بها ماء حتى يناموا ،
وصرخت في وجه عمر وهي لا تعرفه قائلة : الله بيننا وبين عمر . فاهتز
عمر لهذه الصرخة ، وقال لها : وما يدري عمر بكم ؟ فأجابت المرأة :
يتولى مورنا ويفل عنا . وهكذا شككت المرأة ما اعتقدته ففلة

(١) نهج البلاغة ص ٣٣٩ - ٣٤٠

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧٦

من عمر ، وعمر لم يكن غافلا عنها وإنما كان يجوارها .
وتستمر النصبة لتزوى أن عمر أسرع لبيت المال وأحضر الدقيق
واشترك في الطهو وإطعام الأطفال

وقد وضح عمر بن عبد العزيز مدى مسئولية الحاكم ، فبهروى
أنه عقب توليه الخلافة رآه مولاه د مزاحم ، مفتعاً كشيئاً ، فسأله :
مالى أراك مفتعاً ؟ ، فأجاب عمر : لمثل ما أنا فيه ، بينهم ، ليس أحد من
الأمّة إلا وأنا ملزم أن أوصل إليه حقه غير كاتب إلى فيه ولا
طالبه منى (١) .

فانظر مدى إدراك عمر بن عبد العزيز للمسئولية منذ اللحظة الأولى .
ويروى أن زوجته دخلت عليه عقب توليته الخلافة ، فوجدته
يبكى ، فقالت له : ألسنء حدث ؟ قال : لقد توليت أمر أمة محمد ،
نفكرت فى الفقير ، والمرضى ، والمقهور ، والمظلوم ، والغريب ،
والأسير ، والشيخ الكبير ، وعرفت أن رضى سائل عنهم جميعاً ،
فخشيت ألا تثبت لى حجة فبكيت (٢) .

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٣١

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢٩

واستكمالاً لعرض الفكر الإسلامى فى هذا الموضوع نسأل سؤالاً
قد يخطر بالبال ، وهو : ماذا لو عظم مراكز من مراكز القوى بحيث
أحسن ولى الأمر أنه لا يستطيع عزله ؟

والاجابة قوية واضحة هى أن الرئيس إذا لم يكن كامل السيطرة
على مساعديه ، التزم أن يخلى مكانه فى الحال ، ويرد الأمانة إلى الشعب
الذى اختاره ، وإلا تحمل المسؤولية كاملة لكل ما يرتكبه هؤلاء
للمساعدون .

وبناء على التفكير الإسلامى الذى أوردنا عناصره ، نقرر أننا
كما ننسب للرئيس السابق جمال عبد الناصر حسين مفاخر هذه مثل
مبدأ تحديد الملكية الزراعية التى كانت أمل الملايين ، ومثل جعل
سياسة مصر رسم فى مصر ، ولا تفد لها أو تفرض عليها من الخارج (١) ،
فإننا ننسب له الأخطاء التى أوردناها ، لأنه الشخص المسئول عن
أحداث عصره وأخطاء معاونيه .

(١) كانت هذه هى سياسة مصر فترة ، ثم فوض عبد الناصر الاتحاد السوفيتى
فى أن يتكلم باسم مصر ، وقرر أن مصر تعطى هذا التفويض بدون حدود
ولقد شرحنا ذلك بإفاضة عند كلامنا عن نهاية الاحتلال البريطانى .

ومن ناحية أخرى لا يمكن أن نعترف أن الأحداث الكبرى خلال هذه الفترة كانت تجري من خلف جمال عبد الناصر حسين ، فقد كان صوته شخصياً واضحاً في فرض الحراسة ، وفي فصل القضاة ، وفي القبض على بعض الجماعات ، وفي المحاكمات والمقبوبات ، وفي الخلاف بيننا وبين الدول العربية ، وفي الخلافات بيننا وبين أمريكا وألمانيا وغيرها . وفي التحرك إلى اليمن ، وفي التحركات التي ارتبطت بحركة يونيو الخامسة .

ويقول الأستاذ حلمي سلام أحد الصحفيين الذين كانوا قريبين من عبد الناصر ما يلي : عبد الناصر هو الذي كان يملك ، ويحكم ، لأحد فوقه ، ولا أحد معه ، ولا أحد بجانبه^(١) وقد اتضح ذلك وضوحاً لا يحتمل الشك مما أوردناه من قبل من تشكيله محكمة الدجوى وإهماله مجلس الرئاسة واستبداده بالأمر .

واقعة أخرى وقع فيها أكثر الكتاب سيراً وراء جمال عبد الناصر حسين ، فقد كان هو أول من نسب الأخطاء والخطايا التي نزلت بمصر إلى مصدر أسماء « مراكز القوى » أو « مراكز النفوذ » ولم يجد

(١) مجلة الفجر القطرية عدد ٧٠/٦/٢١

شخصاً أو أشخاصاً ينطبق عليهم هذا التعبير ، ونحن نسأل : لمصلحة من نسب ما عايناه من كوارث إلى مصدر مبهم ؟ ونقرر أننا نستنكر أن نستتر على مجرم في حق الوطن ، وندعو الكتاب إلى الكشف عن هذا التعبير الزائف .

وسؤال آخر هو : أين نضع جمال عبد الناصر إذا تصورنا خاتمه في يد غيره ؟ وأن الدنيا تدار من حوله بدون رأيه ؟ في اعتقادي أن من يقول بذلك ينتقص الرجل من حيث لا يدري .

وسؤال ثالث هو : أين مراكز القوى الآن أي بعد جمال عبد الناصر ؟ والاجابة أنها انهارت أو على الأقل ضعفت في عهد أنور السادات . ومعنى هذه الاجابة أن مراكز القوى كانت معروفة ، وأن القضاء عليها أو تفليم أظافرها كان ممكناً ، ولذلك نسأل : لماذا لم يفعل جمال عبد الناصر ما فعله أنور السادات ليتخلص من أعوان السوء ؟ ولا يبقى بعد هذا إلا الاعتقاد بأنها كانت تعبيراً عن هواه ، وامتداداً لنفوذ .

وقد أوردنا من قبل معلومات محددة وصلت مباشرة إلى أذن جمال عبد الناصر حسين وبطريق محافظ من المحافظين الذين عينهم جمال عبد الناصر ، ولكن هذا الرئيس بدل أن يكشف القصة عن

الظالمين صاحب في الحافظ قائلا : إنك لا تعرف ما يجري في محافظتك .

وقد أعلن جمال عبد الناصر بوضوح أنه المسئول عن هزيمة يونيو ١٩٦٧ وعن غيرها من المشكلات ، ولست أدري بعد ذلك لماذا يلف الباحثون ويدورن دون أن يسهروا في الطريق الواضح المستقيم ، ودون أن يحددوا المسئول عن الخلل وعن الشر ، وهو واضح لكل عين ترى وعقل يفكر ، أما مراكز القوى التي يتحدثون عنها فقد كانت تدور في فلكه ، وتعمل بتوجيهه ، وعند ما أراد كشف مفاصل بعضهم كشف ذلك ، ولم تستطع هذه المراكز أن تفعل شيئا .

فلنقلها كلمة صريحة لوجه الله والمخرج : إن جمال عبد الناصر حسين هو المسئول عن أحداث عهده ، وهذه الفكرة هي التي تحمي حاضرنا ومستقبلنا ، وهي التي نضعها أمام كل رئيس في كل زمان وفي كل مكان ، دون أن نخاف تعبيرات زائفة تعطى فرصة للتقليد والانحراف ، وبالتالي للارزايا والسكرات ، وإلنه إن العجب أن يهيش هذا الشعب في فقر ، وفي قلق ، وأن يعاني الهزيمة في كل حرب خاضها عبد الناصر ، ومع هذا يقف مدافعا عنه ، إنها أبواق الدعاية ، وصور الخوف التي قابلت الحق باطلا ودحا من الزمن .

— ٢٢٠ —

رحمى الله لادنا وعارن قادتها فيما يبذلون من جهد لتصحيح
مسار الحياة .

والآن ، وظلمة الليل تنراجع أمام أشعة الصباح ينبغي علينا أن
نذكر كلمة نصوّر فيها الانسان المصرى على حقيقته ، ونصور كذلك
أصحاب السلطان والنفوذ الذين اتخذوا وسائل متعددة لتزييف إرادته ،
وسلب حقوقه السياسية ، اقد ظنوا أنهم يخذعون ، اسكنهم فى الحق
لم يخذعوا إلا أنفسهم .

الإنسان المصرى وموقف بعض الحكام منه

الفلاح المصرى فى حقله مجتهد دؤوب لا يجد الوسائل اللازمة لتطوير عمله ، ولكنه يبذل من فكرة وعرقه ما يعوضه عن هذه الوسائل .

والعامل المصرى فى مصنعه كادح ذكى صبور .
ومثل هذا يقال عن القاجر المصرى ، والمهندس المصرى ، والطبيب المصرى ، والمعلم المصرى

وهذه حقيقة تراها على أرض مصر ، وتراها بزيد من الوضوح خارج مصر ، عندما ينتقل هذا الإنسان ليعمل بدولة أخرى ، أو مهاجراً ، لوطن جديد ، ويتنافس سواء من الكفاءات العالمية .
هذا من ناحية العمل .

ومن ناحية الحقوق السياسية والالتزامات الوطنية ، عرّف الإنسان المصرى هذه الحقوق وأدّى هذه الالتزامات ، فقد رأينا بهب مدافعاً عن بلاده ضد الفرنسيين عندما تخلى العثمانيون والماليك عن الدقاع

عنها ، ولم يتأخر مواطن عن هذا الشرف من رشيد إلى أسوان ،
حقى أصبحت كل قرية مركز ثورة ، وقدم الإنسان المصري دمه
بسجاء ، ودون من كلما دق ناقوس الخطر أو أعلن الجهاد .

واستعمل الإنسان المصري حقوة السياسة أحسن استعمال ، فهو
الذى اختار زعماءه وأيدهم قبيل أسرة محمد على فأحسن الاختيار ،
وهو الذى اختار زعماء ثورة ١٩١٩ وثار وأرغى وأزبد عندما قبضت
قوات الاحتلال البريطانى على زعيم هذا الوفد ورفاقه ، وظل الجمهور
المصري مخلصاً لحزب الوفد ، فكلماً اتهمت له فرصة التعبير الحقيقية
عن نفسه كان يختار ممثليه من هذا الحزب .

هذا هو دور الإنسان المصري على مر التاريخ فى مجال العمل
وفى مجال السياسة .

فما هو دور الملوك والرؤساء وبعض الكبار من هذا الإنسان ؟
إنه كان للأسف دوراً يسكت فيه الجور عليه ، وساب حقوقه ، وقد
سلك هؤلاء طرقاً متعددة لتحقيق هذا الجور :

جاروا عليه عندما أنزلوا به ألواناً من القهر والظلم كما رأينا فى
هذا الكتاب .

وجاروا عليه عندما استغلوا فقره وحاجته فقدموا له المال ليعتزلوا

من لا يرتضيه ممثلاً له في البرلمان ، وكثيراً ما خدعهم ، أخذ أموالهم ولم يستجيب لإرادتهم .

وجار عليه ملك حل مجلس النواب في أول جلسة له وأقال حزب الأغلبية عدة مرات .

وجاروا عليه عندما زيفوا لإرادته وعينوا من يمثله مع انقطاع الصلة الروحية بين الجانبين .

وجاروا عليه عند ما أرغموه في استفتاء أو في انتخاب ليقول ما لا يعتقد .

ثم راح هؤلاء يصفونه بأنه لا يستحق هذه الحقوق ، لأنه لا يستطيع أن يمارسها ، والحق أنهم هم الذين لا يعرفون الحقوق والواجبات ، وأنهم هم الذين ينبغي أن يعرفوا مدى حقوقهم ومدى التزاماتهم .

إنها كلمة حق نقولها للظلمة أن يكفوا أسنتهم عن اتهام الإنسان المصري ، وأن يرفعوا الوصاية التي فرضوها عليه ، وحينئذ سيستعيد مكانه ويمارس حقوقه على خير وجه كما فعل على مر التاريخ .

لقد صارع العدو الأجنبي بقوة وإيمان ، وكان يكره دائماً أن يصارع في الداخل ، فلا تظنوا به الظنون .

— ٢٢٤ —

إن من يسلب الحق السياسي للإنسان ما ، يرتكب جرماً أعظم من
يسرق مالا أو متاعاً .

وكما أن سارق المال لا يُثرى بالمال الحرام ، فسارق الحقوق السياسية
لن ينال ثمرها بما سرق ، بل سينال سوء الذكرى واهنة التاريخ .

والآن ، بعد هذا الليل الذي طال ، والكوارث المدممة التي
انقابتنا ، والدعر الذي حطم نفوسنا ، انتهى ذلك العهد مخلقاً أسراً
الذكريات وهتفنا في صمت ورجاء : ليسكن الله معنا ونحن نبدأ مرحلة
جديدة في تاريخ الكفانة الحبيبة .

العَجْرُ الْجَدِيدُ

من عهد إلى عهد

في وسط هذا الظلام المظلم، والألم القاتل تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية، وكان الناس يشفقون عليه من حمل هذا العبء الثقيل، ولم يكن أكثر الناس يعرفون أنور السادات معرفة حقيقية^(١) على الرغم من أنه الذي أذاع البيان الأول للثورة، وأنه الذي كان يمكن أن يقاد إلى المنعلة لو فشلت هذه الثورة، فلم يكن قد برز من أسماء قادة الثورة إلا هو والواء محمد نجيب، وإن كان الأخير لم يكن من مدبري الثورة، ولسكنه اختيار في آخر لحظة لقيادتها أسنّه، ولما كان ينعم به من مكانة نزيهة وقوفه في وجه الملك فاروق دون خوف أو هلع.

ولكن بعد نجاح الثورة وتمسكها، أبعده جمال عبد الناصر

(١) من الحقائق التي دوتها في كتابي «رحلة حياة» أني — عقب أن فُصلني مجلس قيادة الثورة من الجامعة سنة ١٩٥٤ — حملت في المؤتمر الإسلامي وكان الرئيس أنور السادات سكرتيراً عاماً لهذه المؤسسة، وقد كنت يحكم هذا العمل خير بعيد عنه، وأشهاداً لقد رأيت منه صوراً توضح سعة الأفق، وعمق السياسة، وسفاهة النفس، والهلل الكبير، ولذلك عندما تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية أحسست بالأمل يثبتني، وموقعت على يده كثيراً من الخير.

ومن حسن حظ هذا البلد أن أنور السادات قد حفظه الله، ثم عين نائباً لرئيس الجمهورية عندما كان هذا مسافراً إلى روسيا، وقد ظل أنور السادات في هذا المنصب حتى وفاة الرئيس السابق، فآل له هذا التراث، وتم اختياره رئيساً للجمهورية في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٠ وبعد شهرين على توليه هذا المنصب هبت عواصف تريد سلب السلطة منه لأنه اتجه بالحكم وجهة جديدة فيها بشار الحرية والوضوح، وحدثت أزمة ١٥ مايو سنة ١٩٧١ وتمت حركة التصحيح، فبدأ خط جديد في حياة مصر، أساسه القضاء على صراكن النفوذ التي تربت في العهد الماضي وأرادت أن تستمر في نفوذها الجائر في العهد الجديد.

دعائم النصر :

ومنذ ذلك الحين اتجهت مصر اتجاهها حقيقيا للاستعداد للمعركة ،
فأزالت عن المواطنين كابوس الظلم ، وأعدت القضاء المعزولين ،

وأدققت المصادر التي كانت تتخذ كلمة الحراسة اسماً لها، وقررت نوعاً من الحرية للصحافة والمجتمع^(١).

وقد نلخص الرئيس أنور السادات هذه العوامل في ورقة أكتوبر، وكل كلمة من كلماته لها معان عميقة، استمع إليه يقول:

— كان لابد أن يزول الخوف، وأن تختفي بذور الشك، وأن تتراجع الحزازات والأحقاد.

— وكان لابد أن يحس كل فرد أنه آمن على يومه وغده، وعلى نفسه وأهله ورأيه وماله.

— وكان لابد أن يعرف كل مواطن أن الحرب التي هو مقدم عليها لن تحرره أرضه فقط، ولسكنها سوف تحمل له حياة أكرم وأرحب، وقيماً أعلى وأرفع.

— وكان لابد أن يدرك كذلك أن النصر سوف يحقق للشعب آملاً أن يتطاع إلى مزيد من الديمقراطية، لن تتحقق له كاملة إلا في وطن هزيمته متحرر.

(١) أقول نوعاً من الحرية، فلا تزال ننتظر المزيد من أنور السادات في مجالات مختلفة، كأن يختار رئيس الجمهورية بالانتخاب الحر لا بالاستفتاء، وأن توفر الحرية الكاملة في انتخابات مجلس الشعب، وتتمتع الصحافة حرية تامة، وترفع حرية الرأي لأساتذة الجامعة إلى أوسع مدى.

- وكان عامل النصر الخامس هو وضوح الرؤية ، وتحديد الهدف ، فقد كان لابد أن يخضع قرار الحرب لحساب دقيق ، وينطلق من عزم قاطع ، ووضوح في الرؤية شديد ، وإلمام بعشرات من العناصر العسكرية والسياسية والاقتصادية والنفسية ، المحتلّ منها والدول على السواء . فقد سبقت الأمة العربية إلى الحرب مع إسرائيل عدة مرات خلال ربع قرن من الزمان ، دون أن يكون لهذه الحسابات وجود ، ودون تحديد سابق لهدف الحرب وغايتها وكل الاحتمالات التي تصاحبها .

الصعب والفائق :

ذلك هو برنامج الرئيس أنور السادات الذي وضعه لمواجهة إسرائيل ، وقد حقق هذا البرنامج كثيراً من آمال المواطنين ، فالتقى القائد والشعب في الحلبة ، وأحس الشعب العربي في مصر برئيس يحبه ويقبل عليه ، ويعيش له ، ويدبر أمره بحكمة ، وسرعان ما اتجه الشعب للرئيس الجديد بكل الجهد وكل الكفاءة ، نافضاً غبار الماضي ومخطئاً اتجاهات الركود والدواكل ، فإن معدن هذا الشعب أصيل ، ولكن السنين المريرة ربّت فوقه طبقة من الصدأ ، ولهذا الشعب بطولات نادرة ولكنه كان حبيس قفص من الاضطهادات والعسف ، و

شعب يحب العمل والسكدح ولكنه خلد إلى اللامبالاة عند ماسرقت عصابة من المتهربين نتائج كدحه ، وهو شعب حقق انتصارات عالمية ، ولكن قادة العهد الماضي فرضوا عليه المزايم ، وفي ربا النيل بدأ موكب الحضارة ، ولكن جهل الحكام قضى علينا بالتخلف ودفع أعداءنا إلى السبق .

فلما أشرق الصبح ، وظهر أنور السادات مقبلا على مصر ، أقبلت عليه مصر بكل طاقاتها وقدراتها ، فبدأ الطريق يمد للنصر المؤزر .

وقبل أن نستعرض في الحديث عن هذا العهد الذي مهد للنصر المبين ، وعمل جاهداً لتحقيق أهداف ثورة ١٩٥٢ ، ينبغي أن نقف وقفة نتحدث فيها عن الثورات التي هبت بمصر في العصر الحديث لنقود الشعب وتبهر عن آماله ، ونوضح مدى نجاح هذه الثورات في تحقيق هذه الآمال ، فليست ثورة ١٩٥٢ إلا حلقة في سلسلة الثورات المصرية ، وفيما يلي هذا البيان :

الثورات المصرية في العصر الحديث وما حققته من أهداف

عمر مكرم والسادات والقواوي :

دخل العثمانيون مصر سنة ١٥١٧ ، وأصبحت مصر بذلك جزءاً من الإمبراطورية العثمانية الفسيحة ، والذي يدرس تاريخ مصر خلال العهد العثماني يُدرك أن المصريين لم يروا في العثمانيين إلبان همودم الأولى غزاة أو مستعمرين ، بل اعتبروهم قادة يعملون على توحيد الصف الإسلامي وإعادة مجد الخلافة الإسلامية ، ومن هنا لم يحدث صراع بين المصريين وبين العثمانيين خلال فترة طويلة ، وكان المصريون يفسرون انحراف السلاطين العثمانيين على أنه انحراف شخص الخليفة ، ويطلبون إلى خليفة يتبعد عن الانحراف .

وكان المماليك ينعمون بمخبرات مصر ، ويستبدون بالأمر فيها قبل العثمانيين ، وكان هؤلاء المماليك يُعدّون مصريين ، إذ لم يكن لهم وطن سوى مصر ، ويسميهـم الجبرتي « الأمراء المصريين » .
وعاش المصريون ردحاً من الزمن يسلمون زمام السلطات للمماليك وللعثمانيين في ضوء التفسير السابق .

وعندما جاءت الحملة الفرنسية انهار العثمانيون والمماليك أمامها وعقب
انهيارهم تخلّى هؤلاء وأولئك عن مصر ، ولم يشغلوا أنفسهم بإعادة
الاستعداد للدفاع عنها ، وحمل المصريون وحدهم هذا العبء ، وثار
مدن مصر وقراها من رشيد حتى أسوان ، وقدّم المصريون الضحايا
غير مبالين بشيء ، وأنزلوا بالعدو ضربات شديدة قتلوا بها ديبون
وكليبر وغيرهما .

وتحدّثت الحملة الفرنسية هذا النصر فبطشت واستعملت كل
ضروب القسوة ، ولكن المصريين لم يلبثوا ولم يخضعوا ، وكان علماء
الأزهر هم قادة هذه الحركة وعلى رأسهم السيد عمر مكرم والشيخ
الشرفاوى ، والشيخ السادات ، وكان ذلك مبدأ بروز الشخصية
المصرية الحقيقية .

وخرجت الحملة الفرنسية من مصر واستمرت الشخصية المصرية
في حمل مسئولياتها وفي مسيرتها ، وتحدّثت تركيا ، وعزّزت الوالى الذى
عينته الأستانة وهو خورشيد باشا ، وعين المصريون محمد على والياً على
مصر ، واضطرت الأستانة أن تنحى أمام هذه الرغبة وتوافق على هذا
التعيين .

وتمدّت حركة مصر بقيادة العلماء أولى النورات المصرية فى العصر

الحديث وقد نجحت هذه الثورة ، إذ أبرزت الإرادة المصرية وأعلنت الشخصية المصرية^(١) .

ثورة عرابي :

وقد حقق محمد علي وحفيده إسماعيل كثيراً من الأتجاد الداخلية لمصر
تحدثنا عنها في الجزء الخامس والجزء السادس من موسوعة التاريخ ،
وانحرف أحد أبناء محمد علي وهو الخديوي توفيق ، متأمرًا مع الشراكسة
والإنجليز ضد البلاد ، فجاءت ثورة جديدة بقيادة أحمد عرابي لتعيد
مكانة الشخصية المصرية ، ولكن ثورة أحمد عرابي لم يقدر لها النجاح ،
وانتصر الإنجليز عليه ودخلوا مصر ، وبدأ الاحتلال البريطاني البغيض .

مصطفى كامل والحزب الوطني :

وجاءت الثورة الثالثة بقيادة مصطفى كامل والحزب الوطني ،
وأتجهت بقوتها لمصارعة الاحتلال الإنجليزي ، واضطر مصطفى كامل
أن يحسن صلته بالعثمانيين ليتخذهم عوناً في صراعه ضد المحتل الأوربي ،
وكان العثمانيون لا تزال لهم علاقة بمصر من الناحية الشكلية ، ولكن

(١) انظر تاريخ مصر في الجزء الخامس من « موسوعة التاريخ الإسلامي »
للمؤلف .

وفاة مصطفي كامل المبكرة ، ونفى خلفه محمد فريد ، وضجيج الحرب العالمية الأولى ، وقرار بريطانيا بقطع الصلة بين الأتراك العثمانيين وبين مصر . . . كل هذه الاموال وغيرها أضمت صوت هذه الثورة .

ثورة ١٩١٩ وسعد زغلول :

وهبت الثورة الرابعة سنة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول واستجاب لها الشعب من كل أطراف البلاد ، وأرغمت هذه الثورة المستعمر أن يعنى لها ويستجيب إلى كثير من مطالبها ، فأصدر تصريح ٢٨ فبراير وأصبحت مصر تنعم بدستور برلمان وصحافة حرة ، وبدأت مصر في ظل الوضع الجديد تحقق كثيراً من أهدافها ، ثم جاءت معاهدة ١٩٣٦ ، وكانت هذه المعاهدة امتداداً لثورة ١٩١٩ وفي ظل المعاهدة الجديدة أضافت مصر إلى النجاح نجاحاً ، وخطت بالبلاد خطوات واسعة لاستكمال استقلالها وتحقيق مزيد من التقدم في الميادين المعددة ، في الداخل والخارج ، ففي المجال العلمي نهضت البلاد نهضة واسعة ، فكثر بها المدارس من رياض الأطفال حتى التعليم الجامعي ، وقُفِيَ على الازدواج في التعليم بالمرحلة الأولى ، وانتشرت الجامعات بمصر خلالها ، فقد أصبحت الجامعة المصرية القديمة جامعة رسمية حكومية بها كل نظم

الجامعات ودرجاتها منذ سنة ١٩٢٥ ، وجاء بعدها جامعة الإسكندرية ،
لجامعة عين شمس ، لجامعة أسيوط ، ونال الأزهر عناية كبرى في هذه
الفترة ، فصدرت قوانين إصلاحه ، وأنشئت به الكليات وكثرت
المعاهد في عدة أقاليم .

وفي هذه الفترة نظم الري والصرف ، وتم بناء قناطر نجح حادى ،
ووجهت عناية كبرى للزراعة ، وأنشئ المتحف الزراعى .
وفي المجال الاقتصادى أنشأ طاعت حرب بنك معروض شركاته ، وصدر
قانون الشركات ، وخففت الضريبة على صغار الملاك ، وارتفع صوت
محمد خطاب فى برلمانات ذلك العهد بضرورة القضاء على الإقطاع وتحديد
الملكية الزراعية .

وفي الميدان السياسى صارت هذه الفترة الاحتلال البريطانى صراعاً
لا هوادة فيه ، حتى أنها ألقت معاهدة ١٩٣٦ ومنعت العمال المصريين من العمل
فى المعسكرات البريطانية بالقناة ، وأوجدت لهم وظائف بديلة ، ومنعت
عن الجيش المحتل كل خيرات البلاد ، وكان ذلك من الأسباب التى
أضعفت شأنه .

وهكذا حققت هذه الثورة ألواناً من النجاح فى ميادين متعددة^(١) .

(١) انظر تفاصيل ذلك فى الجزء الخامس من موسوعة التاريخ المؤلف .

— ٢٣٧ —

ولسكن الملك فؤاد والملك فاروق هالهما أن ينعم الشعب بهذه الحقوق الواسعة التي خلقتها الوضع الجديد ، وهالهما كذلك أن تحدد سلطاتهما ، فتأمر مع الاستعمار ضد هذه الثورة ، وعلا على إبعاد حزب الأغلبية ؛ وعلى جعل الدستور كليات لا مدلول لها ، وحى الملك فؤاد والملك فاروق الإنقطع ورأس المال ، فقد كانا هما والأسرة المالكة أوسع الإقطاعيين أرضاً وأكثرهم ثراء ، ولم يتحمس الملاك ضد الاحتلال الإنجليزي ، فقد كان فيهما تراث من الخديوى توفيق الذى تعاون مع الاستعمار وجامله .

ثورة ١٩٥٢ ومبادئها ونتائجها :

وهبت بذلك ثورة ١٩٥٢ لتتغى على الأسرة المالكة التي كان يتمثل فيها التجدي ومقاومة آمال الشعب ، وأعلنت برنامجها فى نقاط ست هى :

- القضاء على الاستعمار وأعوانه .
- القضاء على الإقطاع
- القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .
- إقامة عدالة اجتماعية

- ٢٣٨ -

- إقامة جيش وطنى قوى .

- إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وصفق الناس لهذه الثورة ، فقد كان يرفأعها يعبر عن آمال الشعب وأمانيه ، وصر الزمن حتى سنة ١٩٧٠ ، حينما انتهت حياة الرئيس جمال عبد الناصر ، وإذا وضعنا هذه الحقبة فى الميزان يتبين لنا أنها كانت حقبة تعمق فيها الأسى والضرر ، وتعرض الشعب خلالها لألوان من الآلام والموان حتى أصبحت الهجرة أعظم مطمع يتجه له المواطنون ، واحتوتنا عزلة مريرة ؛ بعد أن انقطعت صلاتنا بأكثر الدول العربية والإسلامية والعالمية ؛ وانشغلت صحافتنا بالمهاشات ضد من أسعوم الرجعية ، والثورة المضادة ، وضد الملوك والرؤساء العرب ، كما انشغلت بتضليل الشعب ، وفقنا طعم المزائم عدة مرات ، وقد تحدثنا من قبل عن هذه المواقف ؛ والمهم أن هذه المشكلات شملت عصر جمال عبد الناصر ، فلم تتحقق على يده مبادئ ثورة ١٩٥٢ :

صحيح أن الاستعمار الانجليزى قد انتهى ، ولكن هذا العهد جلب لمصر - بسياسته وهزائمه - استثماراً أفسى وأمر هو الاستعمار الصهيونى الذى احطل جزءاً هزيباً من بلادنا وهدد الباقى بشراسة .

وقد يكون الاقطاع الزراعى قد انتهى ، ولكن الذى لاشك فيه
أنة قد حلت محله صنوف أخرى من الاقطاع فى الشركات والعمارات
والاثراء الحرام .

ولم تعد لرأس المال فعلا سيطرة على الحكم ، ولكن مراكز
النفوذ سيطرت عليه ، وكانت أخطر على الحكم ألف مرة من
رأس المال .

ولم تتحقق العدالة الاجتماعية ؛ فقد افتقر الأغنياء وجاع الفقراء
وقد سبق أن اقتبنا ذلك .

أما الجيش فى العهد الماضى فقد ذاق طعم الهزائم فى كل معاركه ،
وكان اليهود يصفونه بالأراغب ، وذلك بسبب قيادته الهزيلة
المنسية المنحرفة .

ولا يمكن أن يدعى أحد أن بلادنا شهدت الديمقراطية السليمة
فى ذلك العهد ، فقد وصل الأمر إلى تعيين مجلس الأمة ، وتحديد من
يلغزم الناس باختياره ، وحجب الحرية تماماً عن الصحافة ، وفصل
الأحرار من وظائفهم ؛ وتحطيم الأقلام والنفوس .

ومن أجل هذا الانخفاق فى مختلف النواحي ثار جيل ثورة

— ٢٤٠ —

٢٣ يوليو ، ويصف الأستاذ موسى صبرى ذلك في الأخبار يوم
١٩٧٤/٤/٢١ بقوله :

« إن جيل ثورة ٢٣ يوليو قمر على قيادتها في مظاهرات عام
١٩٦٨ بعد الهزيمة المرة ، وأعلن حينئذ سقوط جميع اللامتيازات ،
وطالب بالحرية ، ورفض أن تمر الهزيمة بغير حساب ، ودعا إلى
الديمقراطية وحكم الدستور ، وتحدى سياسية القمع » .

أنور السادات وثورة التصحيح

اختير أنور السادات — كما ذكرنا — نائباً لرئيس الجمهورية ، ثم اختير رئيساً للجمهورية عقب وفاة جمال عبد الناصر ، وحاولت مراكز النفوذ أن يسير عهد أنور السادات كما سار عهد سلفه ولكن الرجل كان طبيعة أخرى ، بعثته العناية الإلهية دواء للجراح ، وأملهم بعد اليأس ، ورجاء بعد الشدة ، وضوءاً بعد الظلام الذى طال وامتد ، فتصدى بقوة للخفافيش التى تجمعت فى الظلام ، وأمدّه الله بالحنن فقضى على أوكارهم فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، وبدأ بذلك عهد جديد . هل يعدّ عهد أنور السادات عهداً جديداً أو استمراراً لعهد جمال عبد الناصر ؟

فى الإجابة عن هذا السؤال نقرر بإصرار أن عهد أنور السادات عهد جديد ، بقيم جديدة ، وتخطيط جديد ، وأنه فى سياسته الداخلية والخارجية يسير فى فلك جديد ، وفى ضوء جديد ، فلا اعتقالات ولا كبّات ، ولا حراسة ولا تأمين ، ولا صراع بيننا وبين الدول العربية ، ولا قطيعة بيننا وبين دول العالم ، وصنرى ذلك بعد قليل عند الكلام عن ملامح العهد الجديد . ولعل ذلك هو الذى حدا بالكوتور وحيد رافت (١٩)

والدكتور مصطفى أبو زيد أن يسميا عهد أنور السادات بـ ١٥ مايو سنة ١٩٧١ بالجمهورية الثانية .

واستمراراً لهذا الاتجاه يرى بعض المفكرين أن شرعية الحكم بمصر قد سقطت نهائياً في يونيو ١٩٦٧ ، بعد الفشل الشامل في كل مرافق الحياة ، وأنها عشنا فترة غير شرعية منذ ذلك التاريخ ، حتى قامت شرعية جديدة مختلفة في نوعيتها وأخلاقياتها ، وتطبيقاتها يوم ١٥ مايو سنة ١٩٧١^(١) .

وسؤال آخر هو : هل يعتبر أنور السادات مسئولاً عن عهد سلفه ؟ .

يقول الرئيس أنور السادات في الإجابة عن هذا السؤال : إنه مسئول عن عهد سلفه ، ونحن نهرب معارضين هذا الاتجاه تحكمنا في ذلك مقاييس علمية يقتضي أن نخضع لها ، وفي قمة هذه المقاييس قوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى »^(٢) . ثم إن الرئيس أنور السادات بعد حل مجلس قيادة الثورة في ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٤ شغل مناصب كثيرة بعيدة عن السلطة التنفيذية ، فقد كان سيادته سكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامي ،

(١) الأستاذ صالح جودت : مجلة المصور في ٨ مارس ١٩٧٤ .

(٢) سورة فاطر : الآية ١٨ .

وكان مشرفاً على دار التحرير للصحافة ، وكان رئيساً لمجلس الشعب ، ولا يمكن بهذا أن يعد مسئولاً عن قرارات اتخذتها السلطة التنفيذية . وقد رأينا الرئيس السادات يُلغى قرارات كثيرة صدرت في عهد سلفه مما يدل على عدم رضاه عنها ، وذلك كإلغاء الحراسة ، وإعادة أساتذة الجامعة المفصولين ظلماً ، والاعفو عن المسجونين السياسيين وغير ذلك . ولا يمكن أن يعتبر أنور السادات راضياً عما حدث قبله ، بدليل أنه بعدَ بعداً واسعاً عن سياسة ذلك العهد ، التي طالما فزع منها الشعب وشكها إلى الله ، وقد برهن أنور السادات عن أن طبيعته في الحكم تختلف اختلافًا تاماً عن طبيعة العهد الذي سبقه ، وتلك حقيقة نقررها ونؤكددها لوجه الحق والدين والوطن .

وسؤال ثالث هو : ما العلاقة بين أنور السادات وثورة ٢٣ يوليو ؟

إن أنور السادات وثيق العلاقة بالإعداد لهذه الثورة ، وهو الذي تحمل مخاطر إعلان قيامها كما قلنا من قبل ، ولكن الثورة بقيادة جمال عبد الناصر اتجهت وجهة خاصة ، تمت مسئولية هذا القائد الذي أعلن بصراحة أنه المسئول عن هزائم سنة ١٩٦٧ ، وعن الزحف على اليمن وغير ذلك من الأحداث ، وفشَل هذا العهد في مسيرته ، وفشل

في تحقيق أهداف الثورة كما شرحنا آنفاً ، وآل الأمر لأنور السادات الذي بدأ من جديد يعمل لتحقيق الأهداف التي أعلنها باسم الثورة في صبيحة الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ ، وعلى هذا فارتباط أنور السادات بالثورة يكون بإسقاط حقبة طويلة تبدأ منذ انحرفت الثورة عن مسارها الصحيح في مطلع عام ١٩٥٤ حتى أعادها سيادته إلى وضعها الطبيعي بثورة التصحيح ، ونحن ندعو لسيادته من كل قلوبنا أن يوفق في تحقيق مبادئ الثورة التي فشلت سواء في تحقيقها ، وأن يجعل اليمن على يديه ، وخير البلاد مقروناً باسمه .

ومن الحق أن التعرف على الداء هو الوسيلة الضرورية لوصف الدواء ، وقد منعنا القوى الجائرة ردحاً من الزمن أن نصف الداء ، فظل الرض كامناً ، واستمر ينتشر ويتعمق ، وقد أتيج لنا بعد لأى أن نعرف على الدواء ونعلمه ، وبالتالي أن نصف الدواء ليزول به سقم المريض ، ويسترد المريض صحته ، رجاء أن نلحق بركب التقدم الحضارى الذى يسارع الخطا .

الجملة الأخيرة نختم بها حديثنا عن ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢ هي أن ثورة ١٩١٩ مهدت الطريق للثورة ١٩٥٢ ، ولم تنجح هذه من فراغ

كما قال الرئيس أنور السادات ، ومن مفاخر ثورة ١٩١٩ أنها صقلت المجتمع المصري ، وولدت مصر جيشاً استطاع أن يثور على الباطل ، وشيدت طرقاً وجامعات ومستشفيات عظيمة ، وظهر في أحضانها رجال عماقة ، ومع هذا فهنالك اتجاه لإخفاء تاريخ هؤلاء الرجال ، وإن الإنسان ليتأخذ الدهشة حينما لا يجد مدرسة أو شارعاً أو مؤسسة ذات بال تحمل اسم مصطفى النحاس أو محمد حسين هيكل ، بينما يسمى أعظم طريق في القاهرة باسم صلاح سالم ، ونرجو أن يتداركهم -د- أنور السادات هذا النقص المشين .

ملاحم العهد الجديد

اتجه العهد الجديد وجهة إصلاح الداخل ، ولا نقول إن الإصلاح شمل كل شيء ، فلا تزال المتاعب الاقتصادية تطحن الناس ، ولا تزال المرافق تعاني من الضغط الشديد ، ولكن الإصلاح اتجه للنفوس بالدواء ، فأمن هذا العهد كل فرد على نفسه وعلى ماله وعلى ذويه ، وأوصدت أبواب المعتقلات ، ولم تعد القلوب تدق رهبة إذا طرقت طارقت أبواب الناس بالليل ، ولم تعد هناك حراسة ، وظهر نوع من الحريات يرجى أن يكتمل ، وعلت الابتسامة الوجوه التي عرفت الهم والقلق والوجوم مدة أعوام ، وأعلن أنور السادات أن الحب هو الذي يسيطر على مجتمعا الجديد وأنه لا مكان في مصر بعد اليوم للحق والضعيفة والبهضاء .

والحق أن أنور السادات جدير أن يتصرف هذا التصرف ، لأنه عانى في شبابه صورا من الظلم ، عرف الفصل من العمل ، وعرف السجون والمعتقلات والاستهانة بكرامة الإنسان ، هذا بالإضافة إلى ما تثبته الأيام عنه من سماحة النفس وصفاء ضمير ، وتلك سككات نقولها باسم الحق ولحق التاريخ .

واتجهت الدولة بعد هذا الإصلاح الداخلى تعيد بناء صلاتنا بالإخوة العرب ، وكانت استجابة هؤلاء سرية وشاملة ، فسرعان ما نسي الملوك والرؤساء ما أصيبوا به من غمزات أو لمزات ، ومدرا أيديهم إلى مصر وفتحوا خزائهم ، فتبادل المنفعة هو وحده الذى يحمى مصر ويحمى العرب .

واتجهت مصر المدرك الإسلامية تعيد الارتباط الذى رسمه يد الله عندما قال جل وعلا « إن هذه أمتكم أمة واحدة »^(١) والذى أيده سيدنا رسول الله عندما قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . واتجهت مصر إلى إفريقية كأنخت كبرى لاتقطع إلى زعامة ولا تنقص من أحد ، وإنما تمد يدها بالعون ما استطاعت وترجو الخير لكل الجيران ، معتقدة أن الخير يمد ظله وتقوى أشعته .

حرب النمصر

وتهيأت مصر بذلك المعركة الكبرى ، ومرت شهور حافلة بالجهد والعرق فى طل الإيمان والإخلاص حتى الأول من أكتوبر سنة ١٩٧٣ عندما عُقد اجتماع على أعلى مستوى عسكري حضره الرئيس أنور السادات ، وتمت الخطوة بالتعاون مع أبطال سوريا على

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٢

بدء الهجوم ظهر السادس من أكتوبر ، وكان تعاون مصر وسوريا هذه المرة مبنيًا على أسس سليمة ، ويقول المرحوم المشير أحمد إسماعيل : لقد كان التنسيق الجاد الخالص مع القوات السورية هو قرارى منذ اللحظة الأولى للإعداد للمعركة ، وكنا نقصد بذلك أن نرغم العدو على القتال فى جبهتين فى وقت واحد لتشتت جهوده ، وبذلك نتجاشى ما حدث فى حرب ١٩٦٧ ، إذ كان التنسيق فيها بين مصر وسوريا غير صادق من الطرفين ، ويستمر المشير أحمد إسماعيل قائلاً : وأسجل أن تعاون القوات السورية معى كان تعاونًا صادقًا ومشرفًا ، وهذا يسّر السبيل لتنظيم خطواتنا ، وتحديد ساعة الصفر . . . وبذلك تحقق العبور العظيم .

وقد وُضع قرار الحرب على الرغم من أن القوتين الكبيرتين كانتا قد اتفقتا على ما سعى بالاسترخاء العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط ، وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتى لم يوف بتعهداته فى إرسال السلاح لمصر على نحو ما أرادت مصر .

وكانت إسرائيل قد دبرت أمرها طيلة سنى الهزيمة ، فأعدت عدة شيطانية لحماية نفسها ضد أية محاولة تقوم بها مصر ، وكانت قناة السويس تعد مجرى يؤمن لها الحياة ، وبحوار المجرى كان يقف خط بارليف

العنيد ، ثم السائر الترابي الشاهق الذي كان يحوى كل التحركات والاستعدادات خلفه ، وانتشرت هنا وهناك قوة ضاربة كبيرة أمدتها أمريكا وألمانيا ودول أوربية أخرى بالمال والعتاد ، ولسكن مصر كانت قد أعدت نفسها للثأر والتجرب الأرض ولاستعادة تاريخها الطويل في البطولات والانتصارات ، مؤكدة أن الهزيمة أو الهزائم السابقة نشأت عن إهمال راح إلى غير عودة .

مع حرب السادس من أكتوبر يوماً بيوم

في قفزة أقرب إلى الخيال تغير كل شيء في المنطقة ؛ فالطائرات المصرية لم تعد تلك التي تهجم وهي رابضة ، بل راحت تزداد حتى شأت حركة الفانثوم التي كانت تعتمد عليها إسرائيل ، وقصرت خطواتها .

وانرفع أيدينا عن الكلام لنعطى الزمام لقادة المعركة الظافرة ، وقد تحدثوا بعض الشيء ، وكشفوا ما يمكن كشفه من أسرار المعركة ومن أحاديثهم نقبس بعض لقطات .

يقول الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان السابق عن فترة ما قبل المعركة :

« إن تمركات استمدادنا كان يصحبها تمركات أخرى نقوم بها للخداع ، لنحدث ارتباكاً في تقديرات من يرقب ، ولنعوده إلى النتيجة الخاطئة ، وكانت أصعب أيام الخداع هي الأيام الثلاثة الأخيرة ، فهي تقتضي تمركات معينة ، فاحتجنا إلى دقة شديدة في التقدير لإخفاء هدفها ، وسكنها أولاً وأخيراً رعاية الله لنا ، التي مكنتنا من تحقيق المفاجأة بصورة التي تمت بها .

وبقول المرحوم المشير أحمد إسماعيل :

عندما انطلقت « الشرارة » كما أسماها الرئيس أنور السادات وبدأت خطة « بدر » كما أطلق عليها العسكريون بدأ كل شيء يتحرك وفقاً لهذه الخطة :

ضربة الطيران الرئيسية : مائتا طائرة تقوم من الجبهة المصرية بالضربة الأولى على مواقع العدو الحساسة ، ومائة طائرة تقوم بالضربة الأولى من الجبهة السورية .

تمهيد هائل بالمدفعية : ألفا مدفع تهر في قصفات متلاحقة .

موجات الهجوم الأول : نخاذ وعدو أمامه ثمانية آلاف

رجل ينزلون إلى قوارب اللطاط وغيرها من الوسائل ويبدأون العبور تحت الماء .

فأرم العدو من النقط الحصينة لخط بارليف على طول القناة ،
وبواسطة الدبابات الرابضة في مكانها بجانب النقط الحصينة ،
واشتركت المدفعية التي تعززها في صد موجات الهجوم الأولى .

جنودنا يصلون إلى النقط الحصينة برغم كل مقاومة ، بعض النقط
الحصينة كانت عنيدة في دفاعها ، ولكن جنودنا يتمتعون بالمدافع
الرشاشة والقنابل اليدوية هذه الحصون .

كان السائر الترابي في بعض المواقع عرضه مائتا متر ، ولم تكن
الأرض صالحة لنصب كبرى العبور ، لكن المهندسين كانوا في أعظم
لحظات حياتهم ، وكان مدير سلاح المهندسين يشرف بنفسه على مواقع
العبور ، واستشهد نائب مدير سلاح المهندسين على أحد جسور
العبور .

قواتنا البحرية تتحرك لتضرب أهدافاً حيوية للعدو على شاطئ
البحر الأبيض وعلى شاطئ البحر الأحمر

قواتنا الخاصة أنزل وراء خطوط العدو في عمق سيناء لتضرب
خطوط إمداده ولتتعطل هجماته المضادة وتمزقها .

التدفق من الغرب إلى الشرق مستمر في نفس الوقت ، لا يقف
ولا ينقطع .

في أربع وعشرين ساعة كانت لدينا في الشرق خمس فرق كاملة ،
وذلك شيء لم يحدث مثله من قبل في تاريخ الحروب .
أخذنا ندسف مواقع خط بارليف ونزيلها من مكانها إلى الأبد ،
مخيفين بوحدة منها للعبرة والذكى . في أول يوم دمرنا ١٤ موقعا ،
وفي اليوم التالى تسعة ، وهكذا حتى تحولت المواقع ، حلم إسرائيل في
الأمن المطلق ، إلى أنقاض وركام .

* * *

وقناة السويس كانت تعتبر مانعا مائيا فريداً يختلف عن جميع
الأنهار والقنوات الأسباب التالية :

١ — انحدر الشاطئ من الناحيتين وتديشه ، مما يعوق المركبات
البرمائية من النزول إلى المانع للماء أو الصعود منه إلا بعد تجهيزات
هندسية صعبة . ولا يشترك مع قناة السويس في هذه الصفة سوى قناة
بنما وعدد محدود من القنوات الصناعية .

٢ — قيام العدو بإنشاء سائر ترابى على الضفة الشرقية للقناة
مباشرة بارتفاع ١٠ إلى ٢٠ متراً مما يجعل من المستحيل على أى مركبة
برمائية العبور إلا بعد إزالة هذا السائر .

٣ — إنشاء خط بارليف على طول الساحل الشرقى للضرب على

ات تحاول العبور . وقد انتخبت مواقع هذا الخط بعناية فائقة ،
يتحكم في جميع الاتجاهات وتستطيع أن تغمر بالنيران الجانبية أى
تعب القنارة وفي أى جزء منها .

١ — وجود خزاناته للمواد المتفجرة يسمع كل واحد منها مائتي
ن هذه المواد ، على مسافات متقاربة ، بحيث يمكن العدو أن يدفعها
سطح المياه ثم يشعلها ، فيتحول سطح القنارة إلى حمى متفجرة تحرق
ىء فوق الماء ، بل تشوى الأسماك في عمق القنارة وتلفح حوائثها
ص الذى يبعد عنها بمسافة ٢٠٠ متر ، ويستطيع العدو أن يتحكم
بتمرار هذه النيران باستمرار دفع المواد المتفجرة إلى سطح الماء .

ومن هنا نجد أن قناة السويس ليست مجرد مانع مائى ، بل أنه مانع
- ليس له شبيهه في العالم ، وايست هناك خبرة سابقة في التاريخ لعبور
، هذا المانع ، وكان لا بد من حل جميع المشاكل ، وقد قمنا بتجزئة
كلية العبور الكبيرى إلى عدد من المشاكل ، وأخذنا نحاول ونجرب
نذل ، إلى أن تم حل جميع هذه المشاكل . .

والآن ، كيف بدأ العبور ؟ وكيف تم التغلب على المشاكل

في العبور ؟

مشكلات العبور والتغلب عليها

يقول رئيس الأركان السابق : كانت المشكلة الأولى التي يجب علينا أن نتغلب عليها هي كيف نتغلب على النيران الملتهمية التي سوف تغطي سطح القناة عند بدء العبور ، وقد اتجه تفكيرنا أول الأسر إلى إطفائها وقتنا بعمل تجارب على ذلك في أماكن شديدة بالقناة ، فاتضح لنا أن حماية الإطفاء تحتاج إلى مجهودات ضخمة ، وأن النيران تبقى مشتعلة حوالي نصف ساعة إذا لم يتم تزويدها بكميات إضافية من المواد الملتهمية ، ومن هنا اتجه تفكيرنا إلى ضرورة إبطال استخدام هذه المواد قبل العبور ، وإذا حدث أن أخفقنا في إبطال استخدامها في بعض الحالات ، وجب علينا أن نمنع العدو من تغذية الحريق بكميات إضافية من المواد الملتهمية وذلك لإتقاص فترة تعرض قواتنا للحريق إلى أقل وقت ممكن ، ومن هنا بدأنا العمل ، وتم استطلاع تجهيزات العدو الخاصة بهذا الموضوع ، فاتضح أنه يضع هذه المواد في خزانات كبيرة مدفونة تحت سطح الأرض حتى يصعب تدميرها بواسطة المدفعية ، وكانت هذه الخزانات متصلة بمواسير تحت سطح المياه لتندفع منها السوائل الملتهمية إلى سطح المياه . وكان من الواضح أنه لو أمكن إغلاق هذه المواسير بأي وسيلة قبل بدء

عملية العبور ، فإن السوائل المتهبة ان تصل إلى سطح الماء ولن يحدث الحريق وكان هذا هو الاتجاه الذى أخذنا به وبدأنا نتدرب عليه . وهكذا اتجهنا إلى أن نبعث ببعض الأفراد المتسللين لإغلاق هذه المواسير بالأسمنت مع تكاليف بعض أفراد من الصاعقة بسرعة الاستيلاء على هذه المستودعات ومنع استخدامها فى حالة الفشل فى إغلاق المواسير الموصلة إلى المياه ، وزيادة فى الحيلة درسنا اتجاه التيار فى القناة على طول ساعات اليوم وانتخبنا قطاعات الاختراق بحيث تعبر قواتنا فوق التيار ، وبذلك نتفادى النيران فوق سطح الماء ، وقد تمت العملية بنجاح تام ، ولم ينبجج العدو فى إشعال حريق واحد فوق سطح القناة ، وتم الاستيلاء على مستودعات المواد المت سليمة بكل ما فيها ، بل وتم أسر الضابط المهندس الإسرائيلى . قام بتصميمها ، وقد أدلى فى أقواله أنه حضر إلى القناة فى اليوم السابق للانتال السكى يختبر هذه المستودعات .

وكانت المشكلة الثانية هى كيف يمكن إزالة السائر الترابى الذى أقامه العدو على الضفة الشرقية حتى يمكن أن تقيم المعديات والسكريارى على القناة ، ويمكننا أن نتصور ضخامة هذه العملية إذا علمنا أن ثغرة واحدة فى السائر الترابى عرضها حوالى سبعة أمتار تعنى إزالة ١٥٠٠ متر

مكبب من الأتربة ، وكانت احتياجات العبور تتطلب فتح ٦٠ نفرة على طول القناة في كل جانب ، أى إزالة حوالى ٩٠.٠٠٠ متر مكعب من الأتربة من السائر التراى شرق القناة ، فإذا علمنا أننا خلال السنوات الست الماضية كننا قد أقمنا أيضاً سائراً تريبياً في غرب القناة خشية أن يقوم العدو بهجوم مفاجئ علينا ، اتضح أن المشكلة أصبحت مضاعفة ، وأنه يتحتم علينا أن نفتتح نفقات مماثلة في السائر التراى الغربى ، فاتجه تفكيرنا أول الأمر إلى أن نفتتح هذه النفقات بواسطة التفجير ، واستمرت نظرية التفجير هي السائدة حتى منتصف عام ١٩٧١ إلى أن اقترح أحد الضباط المهندسين الشبان نظرية التجريف ، وهي استخدام المياه المندفعة تحت ضغط عال في إزالة هذه الرمال وقننا بعمل التجارب وثبت نجاحها وأفضليتها على نظرية التفجير ، وأخذنا ندخل التحسينات بزيادة قوة الماكينات إلى أن أصبح في مقدور رجال سلاح المهندسين أن يفتحوا النفرة الواحدة في مدة تتراوح بين ثلاث ساعات وخمس ساعات .

لم يكن فتح النفرة في السائر التراى هو نهاية المشكلة بل كان من الضروري تهذيب جوانب القناة بالنسف والتسوية حتى يمكن

تثبيت الكبارى أو تجهيز هذه الثغرات لتشغيل المديدات وعبور المركبات البرمائية .

وإذا جاز لنا أن نقدم كشف حساب عما قام به المهندسون العسكريون ، فلننا نقول إنهم قاموا بشق ٦٠ ثغرة فى الساتر الترابى ، وأقاموا عشرة كبارى ، وما يقرب من ٥٠ معدية عبر القناة ، كل ذلك خلال فترة مابين ٦ و ٩ ساعات ، وقد تم التنفيذ طبقاً لما كان مخططاً تماماً فيما عدا القطاع الجنوبى من القناة ، حيث كانت الأرض غير صالحة لعمليات التجريف ونتج عن ذلك بعض التأخير فى إقامة الكبارى والمديدات عما كان مخططاً ، وإن هذه الأعمال الهندسية الباهرة سوف تكون دائماً مشار فخ للمهندسين المصريين فى جميع أنحاء العالم .

وكانت المشكلة الثالثة هى كيف يستطيع المهندسون أن يقوموا بهذه الأعمال الهندسية الضخمة وهم تحت نيران العدو المسيطر فى الضفة الشرقية ، وكانت الإجابة الفورية هى ضرورة دفع المشاة عبر القناة لتأمين المهندسين ، وهو ما يطلق عليه فى التمييز العسكرى « تأمين رؤوس الكبارى » .

وكانت المشكلة الرابعة هى كيف يستطيع المشاة أن يعبروا القناة ويؤمنوا رؤوس الكبارى إلى أن تتدفق الدبابات والمدافع والأسلحة (١٧)

الثقيلة عبر المعببات والسكبارى التى أقامها المهندسون ؟ وكيف يصمد المشاة أمام هجمات العدو المضادة بواسطة الدبابات لمدة تقارب بين ١٢ و ٢٤ ساعة إلى أن يكتمل عبور الدبابات والأسلحة الثقيلة ؟ وبعد دراسة مطولة أمكننا حل هذه المشكلة بناء على الأسس التالية :

(١) قوة المشاة التى تُكَلَّف العبور تحمل معها أقل ما يمكن من التعمين والمياه ، وأكثر ما يمكن حمله من سلاح وذخيرة ، وكان لإجلى ما يحمله كل جندي حوالى ٢٥ كيلو جراماً ، وكان يصل أحياناً مع بعض الجنود إلى ٢٥ كيلو جراماً .

(٢) ابتكار عربات جر صغيرة يضع فيها المشاة ما لا يستطيعون حمله ، ويجرونها بأيديهم عبر السائر الترابى وعند تحرّكهم شرق القناة .

(٣) تسليح المشاة بأسلحة مضادة للدبابات ، ولا سيما الصواريخ الخفيفة التى يمكن حملها بواسطة الأفراد ، وذلك لصد هجمات العدو المضادة بواسطة الدبابات .

(٤) تسليح المشاة بالأسلحة المضادة للطائرات ، وبخاصة الصواريخ الخفيفة التى يمكن حملها بواسطة الأفراد ، وذلك لصد هجمات العدو الجوية ضد قواتنا فى أثناء العبور وبعبءه .

(٥) تجهيز المشاة بسلام لمساعدتهم في تساق الساتر الترابي وجر أسلحتهم وذخائرهم للحملة في عربات الجر .

(٦) تنظيم عبور المشاة في قوارب تنظيمياً تفصيلياً بحيث يعلم كل جندي مكانه في القارب ومكان العبور ووقته وواجبه في أثناء العبور . . . إلخ .

(٧) التسالل خلال خط بارليف وعدم مهاجمة النقاط القوية لهذا الخط إلا بعد استكمال عملية العبور وإكمال حصارها .

وخلاصة القول لقد استخدمنا المشاة بنفس الأسلوب الذي كان يستخدم به المشاة منذ العصور القديمة ، وإن اختلفت الأسلحة التي كانت في أيدينا عن تلك التي كانت في أيديهم .

وكانت المشكلة الخامسة هي كيف يمكن لقوة المشاة أن تعبر هذا المانع بنجاح ما لم ندمر وإسكات الرشاشات والمدافع التي تطل من فتحات خط بارليف وتعمر القناة بطولها . وقد قمت مدفعيتنا بحل هذه المشكلة على أحسن وجه . وكانت نتيجة ذلك أن تمكن مشاتنا من عبور القناة بخسائر طفيفة جداً .

وكانت المشكلة السادسة هي كيف نعيد تنظيم قواتنا على الشاطئ الشرقي ؟ وكيف تصل الدبابات والمدافع والذخيرة إلى وحدات المشاة

التي سبق عبورها . ؟ كيف يتم كل ذلك ليلاً وتحت ضغط العدو ، وكيف تتميز هذه الدبابات والأسلحة طريقها وتتعرف على وحداتها ؟ ويمكننا أن نتصور هذه المشكلة إذا تخيلنا أن آلاف الدبابات والمركبات والمدافع الثقيلة كان يتحتم عبورها لتتجمع إلى وحدات المشاة التي عبرت لتزبد من قدرتها على التمسك بالأرض ، وضد هجمات العدو المتكررة . . وقد أدى سلاح الإشارة وإدارة الشرطة العسكرية واجبهما على الوجه الأكمل ، فقد أمكن مد كوابل الإشارة عبر القناة منذ اللحظات الأولى للعبور ، وتم تحديد الطرق والمدقات بحيث كان يعلم السائق أنه إذا اتبع اللون الأحمر مثلاً فإنه سيصل إلى وحدته في رأس السكوبري بينما يتبع سائق آخر اللون الأخضر ، وهكذا . وقد درّبت القوات قبل المعركة على ذلك وقامت بتنفيذها بكفاءة تامة . وامتلاً ميدان المعركة برائحة الدخان والدم والوت ، كما امتلاً بالضجيج والتراب والزمان . . أصوات انفجارات ، وأزيز طلقات الرصاص ، وصفيح القنابل الساقطة من جوف الطائرات ، وصيحات العدو الذي لا يعرف كيف يصد الهجوم .

وكان هذا بالضبط ما أرادته القيادة: أن تفرق مواقع خط بارليف للنعم بوجات متتالية من البشر ، وعلى امتداد خط المواجهة كله ،

فى وقت واحد ، حتى لانتاح فرصة لموقع لمساعدة موقع آخر ، وحتى
تبعز للقيادة الإسرائيلية عن نجدة هذه المواقع كلها . .

كانت القيادة المصرية تعرف أن هناك احتياطات معدة لنجدة
المواقع المختلفة ، وأن هذه المواقع قادرة على التدخل لنجدة بعضها
لبعض . . ولكن تخطيطنا جعل كل موقع جزيرة معزولة محاطة بأمواج
بشرية مصرية . .

وعندما اندفعت هذه الاحتياطات لصد الهجوم المصرى ، كانت
الصواريخ المضادة للدبابات فى انتظارها . . وانفجرت عشرات الدبابات
والدروع المدرعة الإسرائيلية ، واصطدمت الدوريات الإسرائيلية
بالسكان المصريين المعدة للتعامل معها .

ومع المواجهه الثانية عبرت مجموعات من المشاة تحمل صواريخ
« ستوريللا » سام ٧ لحماية القوات التى ستنشئ رؤوس الجذور من
التدخل الجوى . .

وظهرت بطولات وتضحيات أسطورية لا يتسع لها المجال .
لقد فشل العدو فى مقاومة العبور ، وخاب أمل موثى ديان الذى
صرح بأن العمالية سوف يقضى عليها فى يوم واحد ، ففقد بنى رأيه
على التقديرات التالية :

(١) ضرورة فشل المصريين في العبور نتيجة النيران الكاسحة التي يمكن أن تطاق عليهم من حصون خط بارليف وكذلك السوائل الملتصبة التي كان يأمل أن تغلى القناة . وبذلك فليس هناك أى أمل في وصولنا إلى الشاطئ للشرق .

(ب) عدم قدرة المهندسين في إزالة الساتر التراب وإنشاء الكبارى والمعديات دون تأمين الجانب الشرقى ، وأنه بفرض نجاح المصريين في اقتحام جزء من القناة فإن المهندسين سوف يحتاجون إلى حوالى ٢٤ ساعة لإنشاء هذه الكبارى ، وبالتالي فإن الدبابات والأسلحة الثقيلة لن يتم عبورها قبل حوالى ٤٨ ساعة من بدء الهجوم ، وكان هذا الوقت يكفى لجلب الاحتياطات المدرعة من العمق لتقوم بتصفية القوائى التي نجحت في إنشاء رؤوس الكبارى في الشرق .

وقد أخطأ ديان الحساب عند تقديره لإمكاناتنا في العبور وبخاصة في النقاط الرئيسية التالية .

(١) قدرة المشاة على صد الدبابات والطائرات المعيرة التي تكون على ارتفاع منخفض ، والنشبت بالأرض ولو بدون أسلحة ثقيلة لمدة طويلة .

(٢) كفاءة مهندسينا وقدرتهم في إقامة السكبارى والمعديات على هذا المانع في مدة تتراوح بين ٦ و ٩ ساعات .

(٣) التنظيم الجيد للعبور، والذي وصل إلى أن كل ضابط وجندى في القوات التي تقوم بالعبور أو تقوم بتقديم الدعم له ، كان يعلم جيداً دوره بالتفصيل ، والوقت الذي ينبغي فيه هذا الدور بالدقيقة ، إلى الحد الذي جعل عملية العبور تعتبر سيمفونية رائعة يشترك فيها عشرات الألوف من البشر في وقت واحد .

(٤) المفاجأة التي حققتها قواتنا والتي ظهرت نتيجةها بوضوح في الأيام الأولى للمعركة ، حيث كانت جميع تصرفات العدو تنقسم بعدم التنسيق والارتجال لمدة يومين على الأقل .

(٥) العقيدة والإصرار الذي كان يقاتل بها جنودنا البواسل ، فاقم كان كل ضابط وجندى يعلم جيداً أنه يدافع عن شرف مصر وشرف العربوا الذي اهلّ به بالتراب أحداث ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ظلماً ، وكان يحاول أن يسترد أرضه ، ويستعيد كرامته وهزته ، بينما كان الجندى الإسرائيلي يقاتل دون هدف واضح مقنع . هل وضع ديان في حسابه الأثر المعنوي الذي أحدثته المئات العظمى ، الله أكبر ، الذي ردّه الجنود وهم يهرون القنّاة ؟ لا أعتقد أنه أدخل ذلك في حساباته .

- ٢٦٤ -

شهادة من المعهد البريطاني للجندى المصرى

أصدر المعهد البريطانى لدراسات الحرب تقريراً ذكر فيه أن عبور
الجيش المصرى لقناة السويس الذى نتمّ فى السادس من أكتوبر كان
يصعب تحقيقه بهذا النجاح حتى لو كان الأمر مجرد عملية تدريب بدون
عدو مواجه ، وقبل أن نورد فقرة هذا التقرير التى تحمل هذا المعنى
نذكر أن الجندى الذى عبر القناة فى سنة ١٩٧٣ هو نفس الجندى الذى
هزم سنة ١٩٦٧ أو أخوه أو ابن عمه ، وكل ما تغير فى الأمر هو ظروف
مصر وقيادة مصر ، ونص الفقرة التى أشرنا إليها هو :

« كل التآمر نشير إلى أن المصريين هاجموا بشجاعة بالغة وإصرار ،
ودافعوا عندما كان عليهم أن يفعلوا ذلك بعزيمة ونجاح ، ولقد صمد
مشاتهم بكل تأكيد أمام هجوم كبير بالمدفعات ، وهى من أكثر
الأشياء إثارة للعرب عند مواجهتها .

ولسوف يوافق كل المحترفين على أن عبور القناة قد تم
بصورة رائعة غير عادية ولو افترضنا أن المرء كان مكافئاً بأية

تدريبات في أى ظرف آخر دون أن يكون هناك أى عدو ، وكان عليه أن يقوم بكل أعمال تجميع القوات الهندسية والقيام بواجبات أركان الحرب ، والانطلاق بها دون أية غلطة ، لئلا يكون الأمر من الصعوبة بمكان ، وكان لإنجازه بلا خطأ أسراً مرضياً جداً مع عدم وجود عدو . ولم يكن هناك من يصدق أن المصريين كانوا قادرين على ذلك منذ عشر سنوات ، ولكنهم فعلوه . . لقد دفعوا بقوات هجومهم عبر القناة ، وحققوا النتائج التي ترفونها . . لقد استيقظت روح القتال بكل تأكيد لدى المصريين .

مزايعهم باحطة عن أسباب النصر

لقد شرحنا من قبل الأسباب الحقيقية التي قادت إلى النصر ، والتي بدأت من إحطاق الحريات ، ثم أزال الصدد من الجبهة الداخلية ، وأقامت علاقات طيبة بيننا وبين الدول العربية ، وبذلك أقمى الجهد فى الإعداد الحقيقى للجيش ، فأزال القيادات العالمة المتسببة ، ووضعت القيادات السليمة المشهود لها بالكفاءة

ولكن عندما حقت جولة الجيش انتصاراتها الباهرة فى العائى من رمضان (٦ أكتوبر ٧٣) بفضل ذلك الجهد الأدبى والمادى ، أطلت الأشباح من مكانها تنسب هذه الانتصارات إلى عهد الناصر ،

استمع إلى ابن جمال عبد الناصر يقول لندوب روز اليوسف في العدد الصادر في ١٣/١/١٩٧٥ : ومنذ ١١ يونيو سنة ١٩٦٧ أعطى عبد الناصر لشعبه كل قوته وصحته وعمره ، وبدأ مرحلة بنساء القوات المسلحة حتى تحقق لنا النصر في أكتوبر ١٩٧٣ .

ويردد محمد حسنين هيكل هذا المعنى فيقول عن جمال عبد الناصر إنه بنى حائط الصواريخ الذي كان نقطة الارتكاز في عملية العبور في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ^(١) .

ونحن نسائل هذه الأموات : أين جهود عبد الناصر في حرب ١٩٥٦ ؟ وفي حرب اليمن ؟ وفي حرب ١٩٦٧ ؟ ولماذا كانت الهزائم قاسمة وسريعة في كل هذه الحروب ؟ وأين الاستعدادات العسكرية الماثلة والأسلحة الجبارة التي كانت معنا وغنمتها منا إسرائيل ، وكانت في بعض الأحيان تأخذها بصناديقها دون أن تفتح ، إن المسألة لم تكن سلاحاً ولا أجهزة ولكن كانت فكرياً ورجالا ، وإن حائط الصواريخ بدون رجال كان سيمثل صنماً يقفز عليه المعتدون ، فليسكرف الناس عن الباطل ولترتفع كلمة الحق لوجه الله ووجه الوطن .

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ١٧١ .

نتائج معارك أكتوبر

حدد الرئيس أنور السادات نتائج معارك أكتوبر بقوله في المؤتمر القومي يوم ٢٢/٧/١٩٧٥ : إن من نتائج هذه المعارك انهيار نظرية الأمن الإسرائيلي ، وتصدير أزمة الشك والتمزق وهدم الثقة من العالم العربي إلى المجتمع الإسرائيلي ، واقتناع العالم بأن إسرائيل لم تعد سلاح الإرهاب الذي يستغمد ضد العرب ويحمي المصالح الخارجية . . وأن هذه المصالح لا يحميها إلا التفاهم مع العرب . . ثم ظهور القوة البترولية والمالية للعالم العربي ، وإقبال كل القوى العالمية على الحوار معنا ، وترتيب مستقبلها في التفاهم مع أصحاب الأرض .

ويقول الزعيم الحبيب بورقيبة : إن حرب أكتوبر مكنتنا من أن نرفع رؤوسنا بعد هزيمة ١٩٦٧ المرة ، ولولا معونة أمريكا لإسرائيل في هذه الحرب لمنيت إسرائيل بهزيمة ساحقة^(١) .

ويقول الرئيس جعفر النميري : إن الواقع العربي محكوم وسيظل محكوماً لفترة طويلة بالنتائج الباهرة التي حققتها حرب أكتوبر ، وإن حرب أكتوبر طحنت السكبان الإسرائيليين ومزقته ، وأفقدت إسرائيل قوى الدعم الخارجي ، وحولت الرأي العام العالمي لصالح العرب^(٢) .

(١) مجلة الفجر القطرية الصادرة في ٢١/٦/١٩٧٥ .

(٢) حديث نصر في الأخبار أول يوليو سنة ١٩٧٥ .

وأجاب المرحوم المشير أحمد إسماعيل على سؤال الأستاذ محمد حسين هيكل عن نتائج ٦ أكتوبر الإيجابية . قال :
 هناك نتائج محققة ، وهذه النتائج يمكن تقسيمها إلى مجموعات مختلفة :
 هناك مجموعة من النتائج العسكرية هي كما يلي :

١ - لقد زالت خرافة الجندى الإسرائيلى ، بعد أن كادت تثبت فى بعض الأذهان بطريقة خطيرة ، لقد وجدناه جندياً عادياً ، دُرِبَ تدريباً حسناً مَرَّزَ من قدرته القتالية ، وهذا هو كل شيء . أى أنه فى مقدور أى جندى آخر غيره درِبَ تدريباً حسناً يعزز قدرته القتالية أن يتصدى له وأن يهزمه .

٢ - لقد ثبت لى أن الجندى المصرى من أشجع الجنود وأصلبهم فى العالم ، ويكفيه صبره وبسالته ، فلقد صرّت علينا أيام كان لنا فيها جنود يعيشون على نصف التعيين المقرر لغذائهم ، ولكن استعدادهم لقتال لم يتأثر . وهناك ضمانات يجب أن نعطيها للجندى المصرى لنأخذ منه أحسن ما عنده : تدريب جيد ، وسلاح يثق فيه ، وضابط يشمر به ، هذا هو كل شيء .

٣ - إن أى عمل يحسن التخطيط له ملياً ، ويحسن التدريب عليه عملياً قابل للنجاح بنسبة مائة فى المائة .

٤ - هناك دروس أخرى مستفادة ، في نواح فنية ، ولا أظنها مما يهتم الناس بصفة عامة ، وإنما هي تهم القوات المسلحة بصفة خاصة .
ويواصل المرحوم المشير أحمد إسماعيل قائلاً :
أنتقل بملء ذلك إلى مجموعة أخرى من النتائج السياسية والاستراتيجية ،
وأعدها كما يلي :

- ١ - لقد كسرنا الجود الذي كان يحيط بأزمة الشرق الأوسط .
- ٢ - لقد غيرنا صورتنا أمام العالم كله ، فبعد أن كان يظننا جنة هامة ، رأنا قادرين على الحركة ، قادرين على القتال ، قادرين على الانتصار ، ولم تتغير صورة مصر وحدها أمام العالم ، ولكن تغيرت صورة الأمة العربية كلها .
- ٣ - لقد أثبتنا لإسرائيل أن منطقها في الحدود الآمنة منطق مضروب : لم تسكن قناة السويس مانعاً كافياً أمام إرادة مصممة ، ولم يكن خط بارليف حائلاً كافياً أمام استعدادنا للتضحية ، وإذن فإن على إسرائيل أن تبحث عن منطق آخر في الأمن ، ووفق ذلك ، فإن إسرائيل في أي منطق الآن تحاول العثور عليه ، لا بد لها أن تعرف أن أمامها في مصر عدواً يتحتم عليها أن تحسب حسابه ، بل أقول وعليها أن ترهبه .

٤ - إن الحرب أثبتت بطريقة قاطعة أن شرم الشيخ ليست لها الأهمية الكبرى التي كانت لإسرائيل تظنها وتبنى عليها بقاءها في سيناء ، إن شرم الشيخ لم تعد مفتاح إيلات ، وإنما نزل هذا المفتاح إلى أقصى الجنوب عندما ظهرت استراتيجية عربية للبحر الأحمر قررنا بمقتضاها قفل باب المندب .

ويلخص اللواء سعد مأمون مساعد وزير الحربية ما حققته حرب أكتوبر فيما يلي : (١)

إن القوات المصرية ، كما قال الرئيس أنور السادات ، قامت بمعجزة على أى مقياس عسكري ، وأن التاريخ العسكري سوف يتوقف طويلاً أمام عملية السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، ولقد أثبتت هذه الحرب بالدلائل القاطعة خطأ نظرية الحدود الآمنة المستندة إلى أقوى التجهيزات العسكرية والموانع الطبيعية ، واضطروا وزير الجيش الأمريكي يوم ١٨ أكتوبر إلى الاعتراف بأن عبور القوات المصرية لقناة السويس هو علامة بارزة في الحرب الحديثة سوف تغير الاستراتيجية العسكرية ، والواقع أنه لأول مرة في التاريخ العسكري الحديث تتمكن قوة عسكرية من إنجاز عملية عبور ضخمة كهذه في مواجهة عدو مزود بطيران حديث درن أن تفقد القوات التي عهت أية طائرة من طائراتها .

العرب والمعركة

وهذا الانتصار الكاسح الذى ظهر منذ اللحظات الأولى للزحف
 يحقق نتائج سريعة كانت بدورها شديدة التأثير فى نجاح المعركة ،
 فالإخوة العرب هزم هذا الانتصار وملاهم سروراً ، وأزال عن
 نفوسهم كابوساً كان ثقيلاً ومريراً ، فراحوا يتغنون بالمنتصرين
 ويشجعونهم ، وأخذت الصحف العربية تتحدث عن الانتصارات
 قائلة : تخطى جيشنا ، واستطاع رجالنا ، وحقق أبطالنا وأمثال
 هذه العبارات ، فقد اعتبر الجميع أن جيش مصر جيشهم وأبطال مصر
 أبطالهم ، وهذه حقيقة نقرها ونفخر بها ، وأسرعت وحدات من
 الجيوش العربية إلى أمكنتها فى ساحات القتال ، وكان ذلك شرفاً
 حرص الجميع على أن ينالوا منه نصيباً ، وفى وسط أهاليج النصر فتح
 بعض العرب خزائهم ليقدموا للجيش المصرى والسورى ما يحتاجانه
 من إمدادات وأسلحة ومساعدات .

ثم خطا العرب خطوة أخرى كانت عظيمة النتائج ، فقد قرروا
 تخفيض ضخ البترول بنسب معينة ، ومنع تصديره تماماً إلى الولايات
 المتحدة وهولندا ، فتوقفت مصانع ، وظهرت أزمة الطاقة كأكبر
 معلم من معالم سنة ١٩٧٣ وكان السادس من أكتوبر هو صاحب

الفضل في هذا التجمع العربي الهائل ، وبدون السادس من أكتوبر
كان تحقيق هذا التضامن يحتاج لعدة قرون^(١) .

أمريكا والمعركة

واضطربت الولايات المتحدة لما أحرزته مصر من انتصارات ،
ورأت أن هزيمة إسرائيل هزيمة لأسلحتها ، كما صرح بذلك وزير
خارجية الولايات المتحدة ، اندفعت لإسرائيل بأحدث الأسلحة ،
وأمدتها إمدادات مجنونة مسعورة حتى تحفظ وجهها أمام العالم ، ويقول
الرئيس أنور السادات : إنه أصبح واضحاً أن أمريكا طرف أساسي
في المعركة ، إذ تدخلت تدخلا كاملاً ، وأقامت جسراً جويًا هائلاً
إلى سيناء ، فأصبح مطار العريش يستقبل الطائرات الضخمة التي تبلغ
سعة كل منها ١٢٠ طنًا ، وكانت الدبابات تنزل في المطار وهي جاهزة
ببئزنها وطقمها كله ، وتوجه مباشرة إلى الدفرسوار^(٢) .

ويقول في تصريح آخر إن هناك أموراً لم تعلن ، وأسراراً لم
تُكشف بعد عن حرب أكتوبر ، وهي مذهلة يشيب لها شعر الولد ،
وستعلن في الوقت المناسب ، فلقد كان هدف أمريكا القضاء على قوات

(١) من حديث للرئيس أنور السادات نشر في ٣ / ١ / ١٩٧٥

(٢) الأهرام في ٣ / ١ / ١٩٧٥

مصر ، وذلك بإبادة جماعية مدروسة ، وذلك دون سواء هو الذى جعلنى أقبل وقف إطلاق النار^(١) .

وتسبب عن هذه الإمدادات الهائلة بالمال والأسلحة والخبراء وطائرات الاستطلاع الحديثة (س ٧١) أن استطاع جيش إسرائيل أن يحدث ثغرة يدخل بها غرب القناة ، ولكن ذلك حدث بعد صراع سرير وتضحيات هائلة من الجانبين ، ولكن هذه الثغرة لم تكن سوى عمل سياسى لأنها من الناحية العسكرية أوقعت الجنود الإسرائيليين فى الفخ ، وأحاط بهم الجيش المصرى كعائل من فولاذ ، وأخذ يصطادهم بشراسة ، ولاشك أن كل مصرى يفخر بالعهد الجديد عندما يقارن اليهود الجبارة لآتى واجهنا بها جيش إسرائيل غرب القناة بالاستسلام الذى انتابنا هتف هزيمة ١٩٦٧ والذى عبر عنه قائد ذلك العهد بأنه لم يكن هناك جندى واحد بين الجيش الإسرائيلى الزاحف وبين القاهرة .

(١) الأهرام فى ١٠/١/١٩٧٥

الشجرة فنح حرص اليهود على الخلاص منه

ونعود إلى الشجرة فقرر أنها لم تكن سوى فنح وقع فيه الإسرائيليون وأحاط بهم جنودنا من كل اتجاه، مستعدين للاقتضاض عليهم مهما كلفهم ذلك، وقد أدرك سياسة إسرائيل هذا الوضع فتلصصوا الوصيلة لنجاح المفاوضات لذلك الارتباط لينسحبوا من هذا الفتح المحكم كما سنرى فيما بعد .

ولو تدارسنا توقع المفاوضات التي قام بها الدكتور كيسانجر في مارس سنة ١٩٧٥ لذك ارتباط جديد، لأدركنا أن سبب تشدد إسرائيل هو إحساسهم بشيء من الأمن في منطقة الممرات، ولو كانوا يعانون نفس الخطر الذي رأوه في الشجرة لصبغت المفاوضات، ولعل ذلك أبلغ ردًا على جبهة الرفض التي تحاول أن تقلل من قيمة ماحقته جيشنا من نجاح، وتعظم شأن هذه الشجرة التي لو كانت عملاً مفيداً من الناحية العسكرية ل زاد بها صلف إسرائيل، ولم يخف هذا الصلف إلا لأن إسرائيل أدركت أن هذه الشجرة يمكن أن يلاقى فيها جنودهم نهايةهم الأليمة .

- ٢٧٥ -

مجلس الأمن والمحركة

وأصدر مجلس الأمن قراره بوقف القتال على أن ينفذ قرار مجلس الأمن الصادر في نوفمبر سنة ١٩٦٧ والذي يقضى بجلاء إسرائيل عن كل الأرض التي احتلتها في معارك يونيو المشنومة ، وقبلت كل الأطراف هذا القرار ، وكتب الرئيس أنور السادات للرئيس حافظ الأسد كتاباً تاريخياً في ١٩ أكتوبر يوضح فيه سبب قبول مصر لهذا القرار ، وفيما يلي نص هذا الخطاب :

أخي الرئيس حافظ الأسد :

« لقد حاربنا إسرائيل إلى اليوم الخامس عشر ، وفي الأيام الأربعة الأولى كانت إسرائيل وحدها ، فسكسفنا موقفها في الجبهتين المصرية والسورية ، وصقط لهم باعترافهم ٨٠٠ دبابة على الجبهتين وأكثر من مائتي طائرة ، أما في الأيام العشرة الأخيرة ، فإنني على الجبهة المصرية أحارب أمريكا بأحدث ما لديها من أسلحة .

« إنني ببساطة لا أستطيع أن أحارب أمريكا وأن أتحمّل المسؤولية التاريخية لتدمير قواتنا المسلحة مرة أخرى ، لذلك فإنني قد أخطرت الاتحاد السوفيتي بأنني أقبل وقف إطلاق النار على الحدود الحالية بالشروط التالية :

— ٢٧٦ —

- ١ — ضمان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بانسحاب إسرائيل كما عرض الاتحاد السوفيتي .
 - ٢ — بدء مؤتمر سلام في الأمم المتحدة للاتفاق على تسوية شاملة كما عرض الاتحاد السوفيتي^(١) .
- « إن قلبى ليهطر دماً ، وأنا أخطرك بهذا ، ولكننى أحسن أن مسئوليتى تحتم علىّ اتخاذ هذا القرار ، وسوف أواجه شعبنا وأمتنا في الوقت المناسب لكي يحاسبنى الشعب » .
- مع أطيب تمنياتى .

أنور السادات

ويقول الرئيس أنور السادات : لىنى هندما وافقت على وقف إطلاق النار آنذاك ، ثم وافقت بعد ذلك على فك الارتباط ، لم يكن هذا ولا ذلك مع إسرائيل ، وإنما كان مع أمريكا^(٢) .

وتوقف القتال بعد محاولات تهدد قامت بها إسرائيل ، ولكن المصريين لم يلقوا السلاح ، فراحوا يهاجمون الأعداء كل يوم ، وكل

(١) كوسيجين كان قد زار السادات في أثناء المعركة ، وألح عليه بوقف إطلاق النار فرفض .

(٢) الأهرام في ٣/١/١٩٧٥

أقامهم في هذه الثغرة محفوفاً بالخاطر ، وزرعت
 وخمسين ألفاً من الألقام لحماية جنودها ولكن ذلك
 سدرت القرارات المصرية على أن كل فرقة يتبعهم أن
 إلى مائة متر وألا تترك العدو ينعم لحظة بهدوء .
 ولات أسطورية في مواقع كبريت ، والجزيرة
 جيش الثالث ، وهذه البطولات أعادته مجد المقاتل
 ، العار عن أخيه وابن عمه الذي قيل إنه انهزم
 ١٩٦٧ ، ولكن الهزيمة كانت من القادة وللقيادة ،
 لم أن نصفه بأنه انهزم لأنه في الحقيقة لم يخض المعركة
 اب ، وكان هذا الأسر بمثابة القضاء عليه بالهزيمة .

بعد المعركة

ضعت نقّة أمريكا في كلب الحراسة ، وهزّ الانتصار العربي والوحدة العربية دول العالم ، فراح السّكل يمدّ يده للتعاون مع العرب ، وأخذت أمريكا دور القيادة في الوصول إلى حل ، وتم الاتفاق على الفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية بأن تنسحب إسرائيل إلى ما يقرب من منطقة المرات في سيناء ، وتم ذلك في الخامس من مارس سنة ١٩٧٤ ، وعادت القناة لمصر مع حطام خط بارليف ، ومع حطام عدد ضخم من الطائرات والدبابات ومع آلاف الضحايا من اليهود .

وكذلك تم الاتفاق على الفصل بين القوات السوديّة والإسرائيلية في الجولان في أوائل يونيو .

وفي كلمة سريعة : لقد تغيرت صفحة العالم ، وابتسم الفجر الجديد على أخوة عربية طيبة ، وامتدت الابدانة إلى العالم الإسلامي فُعقد مؤتمر لاهور في مارس سنة ١٩٧٤ ، واتخذ المجتمعون قراراً بضرورة إكمال الانسحاب وتحرير القدس ، وبقائها عربية ، وبحقوق شعب فلسطين .

والباخرة تسير باسم الله مجراها ومرساها .

المعركة والمستقبل

من الحق أن نقرر أنه من الغفلة أن نعتقد أن انتصارات أكتوبر قد وضعت نهاية للصراع بين العرب وإسرائيل ، فهزيمة إسرائيل في الأيام الأولى من المعركة ، وضحايا إسرائيل من البشر لم تمرّ بسهولة ، فقد سقطت وزارة وقامت وزارة ، وأُلفت بإسرائيل لجان للتحقيق لمعرفة أسباب الهزيمة ، وصرخ أهل القتلى بأصوات عالية ، وانعكس كل هذا على زعماء الصهيونية في العالم وبخاصة في أمريكا ، فهُزِلَ نيكسون لأنه بدأ يعرف الحق ويَعِدُّ - مجرد وعد - أن يعمل لتحقيقه ، وقُدِّمت الإغاثات المسعورة وأحدث الأملاح لإسرائيل ، وبدأ العالم يتسكهن بحرب جديدة تحاول فيها إسرائيل أن تنأر الضحاياها ، وتسترد كرامتها التي استُهِنَتْ ، وتقتل من أجهاد العرب التي أخذت ترتفع خفاقة شاذخة .

وهل هذا ظلمة لا تزال دائرة ، والجهنم الذي يجب أن يبذل الحجة للصراع ينبغي أن يفوق الجهد الذي يُبذل للحصول على هذا النصر ، فن الشائع أن كثيرين يستطيعون أن يصلوا إلى الجهد ، ولكن قلة قليلة تستطيع أن تحافظ على الجهد الذي حقّقته .

ومن أجل هذا فإننا في ختام هذا البحث عن الماضي ، نتطالع إلى

المستقبل ، ونسبهم مع المفسكرين في رسم خططه ، واعتقادي أن عبء الإمداد للمستقبل بالنسبة للمصريين وبالنسبة للعرب يمكن أن يُرسم في الخطوط العريضة التالية :

مصر ومستقبل الصراع ضد إسرائيل

إن جند مصر يقفون بثقة وإيمان في الميدان ، ليزودوا من الوطن العربي بأرقى درجات البسالة والاستعداد للتضحية ، وليحافظوا على النصر الذي حققوه ، وليضيفوا إليه جديداً هند ما يجد الجند . ويقف الشعب المصري من خلفهم كتلة قوية كادحة ، تقدم لهم السلاح والعون ، ليعطى مع الجند لواء النصر .

ولا شك أن هناك شائعات تنبثق من حين لآخر باحتفال قيام صلح منفرد بين مصر وإسرائيل ، وذلك في الحقيقة أمنية إسرائيلية تظهر بوسائل متعددة ، وقد سمعنا شخصياً كأمل كبير شرحه مفكر يهودي عالمي ، ولكن مصر ترى أن هذه الشائعات مجرد خرافة ، فليس هناك مصري يقبل أن يدير ظهره لسوريا الحبيبة أو إلى الإخوة العرب ، أو يكف يده عن هونهم ، ومن جهة أخرى فنعين نحس أن من يؤثر السلامة الآن سيأكله الوحش يوماً ويصرخ : إنما أكلت يوم أكل النور الأبيض .

يبد أن هناك نقاطاً ترتبط بمستقبل مصر في الكفاح ينبغي أن
نمطها شيئاً من التفصيل .

١ - في مطلع عام ١٩٧٥ هبت مظاهرات بالقاهرة ، ويقرر
الفكر العلمي حق الطوائف في المظاهرات لإعلان رأى ومشرحه
والدهاية له ، واسكن إذا تحولات المظاهرات إلى تدمير ، وإذا حاول
المظاهرون أن يرفعوا صوامع على السير معهم ، فتلك هي الفوضى
والخيانة الوطنية ولا بد من إيقافها بكل حزم حماية للشعب وممتلكاته
وانتصاراته .

وربما انضم المتظاهرين جماعة من الذين يعانون مستوى الغلاء
وشظف العيش ، ومن الواضح أن الغلاء يطعن الناس طعنًا ، وأن
هذا الأبعد احتمال من المشاق الاقتصادية أكثر من طاقة البشر ،
ولكننا إحقاقاً للحق نقرر أن العهد الحالي ليس هو المسئول عن هذا
العناء ، فلقد ورث هذا العهد تركة مثقلة ، ولنورد هنا بعض أرقام
عن الماضي

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٦٠٠٠ تكاليف شراء أسلحة حتى سنة ١٩٦٧ .

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٠٠٠ » » » بعد سنة ١٩٦٧

لتمويض الأسلحة التي ضاعت في الحرب الخاسرة .

..... أرقام لا حدود لها أنفقت في الخارج
لمساعدة حكومات متداعية أو ضد حكومات معادية، وعلى هذا
فنحن نهتف بالعهد الحالي ألا يذكر أنه المشلول عن الماضي ،
ونهتف به كذلك أن يقلل من عناء الشعب ، فالجائع لا يفكر
ولكنه يشور ويضطرب .

٢ - هناك تعبير ذائع في بعض الأوساط في الخارج ، ولدى بعض
الناس في مصر ولكن لا يُعترف له مدلول واضح ، وذلك
التعبير هو « الناصرية » ونحن في التفكير الإسلامي لا نحب أن
نسمى الإسلام باسم سيدنا رسول الله فلا نقول « الدين الحمدي »
وانتقدنا بروفيسور « جب » عندما سمي كتابه عن الإسلام
Muhammadanism ومن أجل هذا نسأل : ما الناصرية ؟ وهل تختلف
أو تتفق مع مبادئ الثورة ومبادئ العرب ؟ وقد كفانا الرئيس
أنور السادات مثونة التفكير في هذا الموضوع عندما قال : هناك
مبادئ ٢٣ يوليو وليس هناك ناصرية ^(١) . . .

ولكن مع هذا الاتجاه القويم نرى مؤثرات تعقد في القاهرة

(١) الأهرام ١٩/١/١٩٧٥ .

عن الناصرية ، وذلك لا يتماشى مع ما قاله أنور السادات وما يدين به الشعب .

وقد خلف العهد الماضى فى حياتنا جراحاً عميقة ، ولا نحب أن تعيش فى حياتنا الحاضرة كلمات كالناصرية توحى بأنها تحمل اتجاهات الماضى المريب ، تلك الاتجاهات التى قادته إلى الهزائم والآلام .

٣ - إن الدين الإسلامى أساس مهم من أسس نهضتنا ، وهو عميق الغور فى تكوين أخلاقنا ، والمهتاف العظيم « الله أكبر » كان مطلقاً قوياً افتتح به جنودنا معركة النصر ، ولكن الأزهر الذى حل راية الإسلام أكثر من ألف عام مسه الضرر فى العهد الماضى باسم « التطوير » الذى يشبه سما وضع فى عسل ، وقد شرحت بإفاضة مشكلات تطوير الأزهر فى كتابى « رحلة حياة » وأنا هنا أدعو للعودة لدراسة هذا الموضوع ، كما أدعو لإعداد الشعب إعداداً روحياً فى كل السكيات والمعاهد ، فذلك خير سلاح نواجه به مستقبلنا العسكرى والاجتماعى .

٤ - يقولون إن مصر وحدها بين بلاد العالم هى التى تدفع لرئيسين متهات و مخصصات ، فهل يليق هذا الأمر مع ما نعانى من أزمات اقتصادية ؟ وإذا جاز هذا عندما كانت أهباء أسرة

جمال عبد الناصر ثقيلة ، فهل يستمر بعد أن زالت هذه الأعباء
بتخريج أكثر أولاده وحصولهم على وظائف هامة المستوى والمرتب ؟
على أن هذه النقطة تحتاج إلى مزيد من الإيضاح ، فلقد ذكرتها
في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، وأنا أحرف أن قراء الكتاب
قليلون فهم نوع من الخاصة ومحبي الاطلاع ، ولكن هذه الفكرة
تكررت في مقال الصحفي الفاضل الأستاذ إبراهيم سمدة الذي نشر
بصحيفة أخبار اليوم في ٨ / ٣ / ٧٥ ، وتوقعتُ بعد ذلك أن يتحرك
المسؤولون من المال العام ومن هرق الفقير ، ولكن أحداً لم يستجب ،
ومن هنا فأننا أضع أمام القراء كلمات الأستاذ إبراهيم سمدة ، لعل لإجماع
القول وكثرة تردد كلمة الحق تذهب إلى إنهاف الشعب من تصرف
قام به من يسمون « مرا كز القوى » منتهزين فرصة تهيج المواطنين
على إثر وفاة جمال عبد الناصر . وفيما يلي مسطور من كلمة
الصحفي الفاضل :

المال لمن لا يستحقه

لو كنت أحد نواب مجلس الشعب ، لطالبت بإعادة النظر في
الخصومات التي يحصل عليها البعض بدون وجه حق .
ولن يكون هذا بدءاً في تاريخ الحياة النيابية في العالم ؛ فمجلس

المعروف البريطاني شهد هذه الأيام ، حملة من هذا النوع ، تزعمها النائب العمالي ويل هاملتون . ويطلب بمنع التصديق على منح الأسرة المالكة البريطانية هلاوة ، تساعد على مواجهة أعباء الحياة وارتفاع الأسعار .

ولحسن الحظ أن مصر سبقت بريطانيا في إنهاء النظام الملكي وإعلان النظام الجمهوري ، ولكن من سوء حظ مصر أن بريطانيا سبقها في المطالبة بوضع نهاية لهذه الخصومات الخيالية التي يتقاضاها من هم ليسوا في حاجة إليها !

وهناك الذي انتقل إلى رحمة الله ، بعد حياة حافلة ، وأسرفت الدولة في منع أسرته « معاشا استثنائيا » ، كما تقرر أن يعرف لأسرة المرحوم كافة الخصومات التي كان رب الأسرة يتمتع بها في حياته . . . والغريب أن الذين يحصلون على تلك الخصومات ، ليسوا حقيقة في حاجة إليها . أو على الأقل لا يستحقونها كما ينص القانون .

والأغرب من هذا كله أن أولاد وبنات المرحوم استمروا في صرف الخصومات التي تقرر لهم ، بعد وفاة والدهم ، رغم أن الأولاد كبروا ، وتخرجوا في الجامعة ، وحصلوا على وظائف مرموقة ومرتبات مغرية ، ورغم أن البنات كبرن ، وتخرجن في الجامعة ، وتزوجن ، ويعشن في فيلات

خاصة بهم. ويعملن في وظائف مريحة ومجزية. فما الداعي إذن لاستمرار صرف هذه الخصومات من خزانة الدولة، التي يمولها المواطن العادي من هرقه وقوته ؟

هذه لمحات سريعة نرجو أن تكون موضع العناية والاهتمام .

العرب ومستقبل الصراع ضد إسرائيل

فيما يتعلق بالعرب ومكانهم في صراع المستقبل ضد إسرائيل يمكننا أن نورد بعض الحقائق التي نعتقد أن كل المفكرين يقبلونها دون مراء .

١ - إن أطاع إسرائيل والاستعمار لا تقف عند حد ، وإن البترول العربي يشد ببريقه هذه الأطماع ، وقد سبق لإسرائيل أن هددت بأن ذراعها طويلة تستطيع بها أن تضرب البعيد كما تضرب القريب ، وقال شارون في ٢٦ يوليو سنة ١٩٧٣ « لقد خدمت إسرائيل من القوة لدرجة أن باستطاعتها أن تغزو المنطقة العربية كلها من الخرطوم إلى بغداد إلى الجزائر ، في غضون أسبوع واحد ، إذا دعت الضرورة لذلك » ثم إن أمريكا التي تسليح إسرائيل ، وتعددها للعدوان تنجبه أطماعها إلى منابع البترول أكثر من اتجاهها إلى سوريا أو الأردن

٢ - إن أكثر الدول المنتجة للبترول أقل عددا وعدة من أن تقف أمام أطماع إسرائيل وأطماع الاستعمار ، وإن يكون من الممكن أن تحاول ذلك .

٣ - إن دول المواجهة لا تدافع عن نفسها فحسب ، وإنما تدافع عن الجبهة العربية ، وإذا ضعفت دول المواجهة هن ذلك امتدت المركة إلى نطاق جديد ، وإن الصراع الذى يدور الآن ضد دول المواجهة ليس موجها لها فى ذاتها ، وإنما هو فى الحق بمحاولة لإضعاف الجبهة العربية ، وإذا - لا قدر الله - ضعفت جبهة القتال كانت السيطرة على الدول المنتجة للبترول سهلة وبسيطة ، وبلغة أخرى أكثر صراحة تقول أن الجنود الرابضين على خط النار يدافعون عن الثراء العربى والبترول العربى ، وينبئى ألا أنصل إلى الدرجة التى عبر عنها العربى القديم بقوله : واحد يسك بقرنى البقرة لهنال آخر حليبها !!

٤ - إن دول المواجهة خسرت فى وقوفها أمام إسرائيل دماء زكية كثيرة ، وخسرت آلاف الملايين من الجنيهات فى حال الحرب أو الاستعداد لها . ويقدر الباحثون ما خسرت مصر وحدها فى حروبها مع إسرائيل بألاف الملايين من الجنيهات .

٥ - إن حرب أكتوبر سببت ارتفاعا باهظا في أسعار البترول وبالتالي في مزيد من الأرباح للدول العربية المنتجة للبترول ، وعانى الشعب المصري من ارتفاع أسعار السلع الذي تسبب عن ارتفاع أسعار البترول .

٦ - نحن نعطى من الدماء ومن القوت ، وينتفع بجهنمنا كل هربي حتى ذلك الذي يعيش في القرف والثراء ولديه قاض لا تخصصه الأرقام

٧ - صحيح أن العرب قدموا دهماً أو قدموا منفعاً ، ولكن المسألة كما نراها ليست كذلك ، إنها التزام تحمل كل دولة نصيبها في تكاليفه بنسبة دخلها ، وفي ضحاياه بنسبة عدد سكانها ، ولما أن تشعرك في إدارة هذه المعارك حتى النهاية .

هذه صرخة لا أقول إنها نابعة من فسكري بل إنها تعبر هذا وهناك ، وأرجو أن تجد أذنًا صاغية وعقلا واعياً ، وليتذكر الجميع أن المعركة لا تزال في عنفوانها ، وأن أصابع الصهيونية التي هزأت نيكسون وقصرت خطأ أمريكا نحو السلام تحتاج منا إلى تعاون منظم في مختلف الميادين الفكرية والعسكرية والاقتصادية والسياسية ، ومثل هذا التعاون يضمن النصر الذي نطمح فيه .

وبالله التوفيق

محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة
مقدمة الطبعة الاولى	١٤ - ١٦
مقدمة الطبعة الثانية وتشمل دراسات هن :	
عنوان الكتاب	١٨
أهمية دراسة الحروب	١٩
الاسباب الحقيقية لازمتنا الاقتصادية	٢١
مصادر هذا الكتاب	٢٢
حقيقة الثورات وتأثير ثورة ٢٣ يوليو على المؤرخ المصرى	٢٦ - ٣٢

حرب ١٩٦٧

أحداثها - نتائج الهزيمة فيها - الاسباب الحقيقية للهزيمة

٣٦	يوميات حرب يونيو وتعليقات عليها
٤٠	المؤتمر الصحفى الذى عقدته عبد الناصر فى ٢٨ مايو
٤٤	مشاعر الناس حتى الرابع من يونيو
٤٦	الخامس الحزين والمعركة الخاسرة
٤٩	صدى الهزيمة
٥٠	جماهير ١٠ يوليو

الموضوع	الصفحة
مؤتمر القمة بالخرطوم	٥٣
خسارة مصر القاذحة في هذه الحرب	٥٥

نتائج هزيمة ١٩٦٧

النتائج العسكرية	٥٧
الاضرار الادبية	٥٩
الاضرار الاقتصادية	٦٠
الاضرار النفسية والاجتماعية	٦١

الاسباب الحقيقية للهزيمة

١ — أسباب ترتبط بالجبهة الداخلية وتهمرها

الفزع والبلع :	٦٤
ملك التعذيب	٦٦
فصيب المفكرين والكتاب من الظلم	٦٩
هككة الدجوى وكيف شكلت بقرار مزور	٧١
الاضطهادات والسجون	٧٨
الابرياء في مستشفى الامراض العقلية	٧٩
قصة الشيخ عاصور	٨٠

الموضوع
الصفحة
غيبية العدالة:

٨٢	مأساة كشميش كنموذج من الظلم ...
٨٣	رأى محافظ المنوفية في مأساة كشميش ...
٨٨	حيثيات الحكم بالبراءة بعد الإدانة ...
٩٥	مذبحة القضاء ...
٩٦	الثقة لا السكافة ...
٩٩	صورة نائب الرئيس في ذلك العهد ...
١٠٠	المشير والذهب ...
١٠٦	الحراسة ...
١١٣	النفاق ...
١١٨	الإلسان بضاعة في طرد ...

٢ - وسائل أضعفت الجيش

١٢٠	العلاقة بين عبد الناصر والمشير ...
١٢٢	مواهب المشير كما يراها هيكل ...
١٢٣	كبار ضباط الجيش في الوظائف المدنية ...
١٢٤	إبعاد الأكفاء من الضباط عن الجيش ...
١٢٥	الاستيلاء على أكياس الذهب بالين ...
١٢٦	الاستيلاء على جواهر القصور بمصر ...

الموضوع	الصفحة
قادة النصر يحددون المسئول عن الهزيمة :	
أنور السادات يحمي أسباب الهزيمة	١٢٨
أحمد إسماعيل على يروي أسباب النكبة	١٢٨
الجنس يبرز أسباب الهزيمة	١٣٠

٣ - أسباب هزيمة

مكانة مصر في العالم العربي والإسلامي	١٣٣
ماذا قال عبد الناصر عن ملوك العرب ورؤسائهم	١٣٥
حرب اليمن ونتائجها السياسية والاقتصادية	١٣٩
علاقاتنا الدبلوماسية مع الدول الإسلامية بين الضعف والقوية	١٤١
علاقاتنا مع روسيا وأمريكا وأوروبا	١٤٣
المصري بالخارج بين عهدين	١٤٥

جيل مضلل

الأسباب التي ضللت الجيل النافس بمصر	١٤٩
مكاسب عهد عبد الناصر في الميزان	
الاشتراكية : بين المبادئ والتطبيق	١٥٤
الإصلاح الزراعي : مفهومه العلمي وماذا تحقق منه ؟	١٥٩

الصفحة	الموضوع
١٦١	السد العالي : أهدافه وماذا حقق؟ وماذا تقول عنه البحوث العلمية؟
١٦٦	سياسة هبد الناصر وهل جلبت الجلاء أو الاحتلال
١٧٤	تأميم القناة ومدى نفعه
١٧٦	النصنيع وبعض الحقائق عنه
١٧٩	الاتحاد الاشتراكي وحقيقته
١٨٦	عهد في الميزان أو حصيلة عشرين عاما
١٨٩	صور مرثية من عهد هبد الناصر
١٩٨	صورة صوتية عن حكام مصر من فاروق إلى السادات
	الظروف التي ضللت بعض الإخوة العرب :
٢٠٣	— الواجهة والتطبيق
٢٠٦	— الهجوم على الاستعمار ودراسة حوله
٢٠٧	— الهجوم على الملوك والرؤساء العرب وأثره
٢٠٨	— قسوة هبد الناصر كانت على الشعب المصري وحده
٢٠٨	— الأفلام المأجورة
٢٠٩	— بيروت تستغل سياسة هبد الناصر وتشجعها
٢١٣	« مراكز القوى » تعبير يرفضه التفكير الإسلامي
٢٢١	الإلسان المصري وموقف بعض الحكام منه

الصفحة

الموضوع

الفجر الجديد

٢٢٧	... من عهد إلى عهد
٢٢٨	... دمايم النصر
٢٣٠	... الشعب والقائد
	الثورات المصرية في العصر الحديث وما حققته من أهداف :
٢٣٢	... — عمر مكرم والسادات والشرقاوى
٢٣٤	... — أحمد هرابي
٢٣٤	... — مصطفى كامل والحزب الوطني
٢٣٥	... — ثورة ١٩١٩ وسعد زهلول
٢٣٧	... — ثورة يوليو ١٩٥٢ ومبادئها ونتائجها
	... — أنور السادات وثورة التصحيح :
٢٤١	... هل يعد عهد أنور السادات عهداً جديداً ؟
٢٤٢	... هل يعتبر أنور السادات مستمراً عن عهد سلفه ؟
٢٠٣	... ما العلاقة بين أنور السادات وثورة ٢٣ يوليو ؟
٢٤٦	... ملامح العهد الجديد

حرب النصر

٢٤٧	... قرار الحرب والتعاون مع سوريا
٢٤٩	... مع حرب السادس من أكتوبر يوماً بيوم

الصفحة	الموضوع
٢٥٤	مشكلات العبور والغلب عليها
٢٦٤	شهادة من معهد الحرب البريطاني للبحر المصري
٢٦٥	مزايم باطلة من أسباب النصر

نتائج معارك أكتوبر

٢٦٧	في رأى الرؤساء : السادات وبورقيبة ونميري
٢٦٨	في رأى العسكريين
٢٧١	العرب والمركة
٢٧٢	أمريكا والمركة
٢٧٤	الثمرة فتح حرص اليهود على الفرار منه
٢٧٥	بجاس الأمن والمركة
٢٧٨	بعد المركة
	المركة والمستقبل :
٢٨٠	مصر ومستقبل الصراع ضد إسرائيل
٢٨٦	العرب ومستقبل الصراع ضد إسرائيل

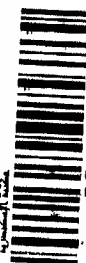
رقم الإيداع ١٨٢٤٣ / ١٩٧٥

أوشك عصر عبد الناصر أن يظهر للتاريخ على غير حقيقته ، فقد
سُخِّرَت لمدحه الكلمة المتولة والكلمة المكتوبة ، وكثيراً ما كانت
الكلمة بعيدة كل البعد عن الواقع ؛ فعندما حلت بنا الهزيمة سنة ١٩٥٦
قالوا إننا انتصرنا وفقى بذلك المغننون ، وخلال عهد كثر التباين
بالعدالة والديمقراطية مع أن القانون كان في إجازة وطالت غيبته ،
وزحف على الين وخضب ترابها بالدماء العربية ، ودعائه يتصيحون بأنه
حامى العرب وناصر العرب ، وعقب كارثة ١٩٦٧ صرّح بأنه كان
يتوقع العدو من الشمال فجاء من الغرب ، ومع هذا كانوا يصفونه
بالملهم !

ولا تزال توجد أقلام مسخرة لهذا الاتجاه ، ولكن من المؤكد
أن صمودها لن يطول .

وكنّت كزورخ معاصر أدوّن التاريخ من الأحداث لامن الكلمات ،
فجاء هذا الكتاب حصيلة لعملٍ دقيق ، وصِفَ بصدق حياة مصر في عهد
عهد الناصر وعهد السادات ، وبالتالي أبرز أسباب الهزائم وم
ووضّح أننا كنا كشجرة تُكَلِّمُ ظلالها وثمارها للخارج و
من الظلال والثمار ، وظللنا نعانى ونعانى حتى جاء عهد النور
مسار مصر ومسار التاريخ .

Bibliotheca Alexandrina



0231204